كرسي الملك عبد الله بن عبد العزيز للقرآن الكريم



عمادة البحث العلمي
DSR.UQU
جامعة أم القرى

السيرة النبوية
في
ضوء الهدايات القرآنية
(العهد المكي)

تأليف
د. فخر الدين بن الزبير المحسي
كلية الدراسات القضائية والأنظمة
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

حكمه جماعة من العلماء

مكتبة المنتبي

السيرة النبوية
في
ضوء الهدايات القرآنية

[العهد المكي]

تأليف:

أ. د. فخرالدين بن الزبير المحسي

كلية الدراسات القضائية والأنظمة

جامعة أم القرى - مكة المكرمة

حكَّمه جماعة من العلماء

١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م

[أصل هذا الكتاب رسالة علمية قدمت لنيل درجة الدكتوراه في التفسير في جامعة أم درمان الإسلامية، بتاريخ (١٠ شوال ١٤٣٩هـ) وأجيزت بامتياز مع التوصية بالطبع]

ح مكتبة دار المتنبي، ١٤٣٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

علي، فخر الدين الزبير

السيرة النبوية في ضوء الهدايات القرآنية./ فخر الدين الزبير علي.

الدمام، ١٤٣٩هـ

٣٢٨ ص ؛ ١٧× ٢٤ سم

١- السيرة النبوية أ. العنوان

ديوي ٢٣٩ ١٤٣٩/٥٨١٣

رقم الإيداع: ١٤٣٩/٥٨١٣

● مكتبة المتنبي

الدمام شارع المستشفى ص.ب ٦١٠ (٣١٤٢١)

٠٠٩٦٦١٣٨٤٣٢٧٩٤/فاكس ٨٤١١٣٩٥/٨٤١٣٠٠٠

الرياض: شارع السويدي العام ت: ٠١١٤٢٤٧١٠٠

جدة: شارع الجامعة -جوال ٠٥٥١١٩٤٧٨٤

E-mail:mb.book.sa@gmail.com

«جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر، ويحظر نشر أو نسخ أي جزء من هذا الكتاب، سواء كان بالتصوير أو بطريقة إلكترونية، أو بأي طريقة أخرى إلا بموافقة كتابية من الناشر، وخلاف ذلك يُعرض للمسؤولية القانونية»

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله، وصحبه، ومن والاه.

وبعد:

فقد أنزل الله تعالى كتابه هداية للعالمين، وهو أعظم مقاصده، وأعلى مراميه وأجلّ فوائده، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤]، فذكر سبحانه وتعالى في هذه الآية ثلاث حكم لإنزال القرآن، وهي: البيان، والهدى، والرحمة، وقطب هذه الثلاث هو الهدى؛ فالبيان وسيلته، والرحمة ثمرته، فجميع مقاصد القرآن تؤدي في غايتها إلى هداية العالمين، وقد تكررت هذه الثلاثية القرآنية في حكمة إنزال القرآن في عدة مواضع، منها: قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأنعام: ١٥٧]، وقوله تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]، وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، وقوله تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٢٠]، وغيرها.

كما بين الله تعالى هذه الحكمة في بداية بيان إنزاله للقرآن، فقال سبحانه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال سبحانه: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ

﴿سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦]، وقال سبحانه تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، فعدى الفعل: (يَهْدِي)، بحرف اللام: (لِلَّتِي)؛ ليدل على اختصاص هداية القرآن الكريم بهذه الصفة[١].

فهو يهدي للتي هي أقوم الطرق، وهي أقربها إلى الحق؛ فإن الطريق المستقيم هو أقرب خط موصل بين نقطتين، وكلما تعوّج بعُد[٢].

قال الزجاج: (أي للحال التي هي أقوم الحالات، وهي توحيد الله - عزَّ وجلَّ - أي شهادة أن لاَ إلهَ إلا الله، والإيمان برسله، والعملُ بطاعته، وهذه صفة الحال التي هي أقوم الحالات)[٣].

وقال الشنقيطي: (وهذه الآية الكريمة أجمل الله جل وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها، فلو تتبعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم؛ لشمولها لجميع ما فيه من الهدى إلى خيري الدنيا، والآخرة)[٤].

ولذلك ذكر الله تعالى في الآيات التالية لآية الهداية أحوالَ المؤمنين والكافرين، وتسخيرَ الكون للإنسان، وقال بعدها: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلا﴾ [الإسراء: ١٢]، (فكل ما يحتاج إليه العباد لتحصيل السعادتين من عقائد الحق، وأخلاق الصدق، وأحكام العدل، ووجوه الإحسان . . . كل هذا فصل في القرآن تفصيلا: كلّ فصّل على غاية البيان والإحكام.

وهذا دعاء وترغيب للخلق أن يطلبوا ذلك كله من القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم في العلم والعمل، ويأخذوا منه ويهتدوا به؛ فهو الغاية التي ما وراءها غاية في الهدى والبيان)[٥].

(١) بدائع الفوائد: (٢/ ٢٥٨).
(٢) الصواعق المرسلة: (٣/ ١١٢٣).
(٣) معاني القرآن للزجاج: (٣/ ٢٢٩).
(٤) أضواء البيان: (٣/ ١٧).
(٥) مجالس التذكير لابن باديس، ص ٤٩.

لذلك كان أول سؤال في القرآن في أول سُوَره هو سؤال الهداية، في قوله تعالى: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ [الفاتحة: ٦]، فكانت الإجابة مباشرة في بداية ثاني سُوَره بأن سبيل الهداية في هذا القرآن العظيم، فقال سبحانه: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [البقرة: ٢]، وهو من وجوه المناسبة بين السورتين.

وإن أول إنسان تحقق بهُدى القرآن هو من أُنزل عليه، وهو رسول الله ﷺ، فامتن الله تعالى عليه بهذا الهُدى، فقال تعالى: ﴿**وَوَجَدَكَ ضَالا فَهَدَى**﴾ [الضحى: ٧]. فكانت الهداية متمثلة بكمالها البشري في رسول الله ﷺ:

- هداية الإيمان والعمل: ﴿**مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى**﴾ [النجم: ٢].
- وهداية الأخلاق: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[القلم: ٤].
- وهداية الصدر: ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ**﴾ [الشرح: ١].
- وهداية الفؤاد: ﴿**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى**﴾ [النجم: ١١].
- وهدية العقل: ﴿**وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ**﴾ [التكوير: ٢٢].
- وهداية اللسان: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى**﴾ [النجم: ٣].
- وهداية البصر: ﴿**مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى**﴾ [النجم: ١٧].
- وهداية السمع: ﴿**قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ**﴾ [التوبة: ٦١].
- وهداية الدنيا: ﴿**لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ**﴾ [الفتح: ٢].
- وهداية الآخرة: ﴿**عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا**﴾ [الإسراء: ٧٩].

وقد اختصرت عائشة رضي الله عنها هذه المعاني، فقالت: (فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن)[1]، أي ظاهرًا وباطنًا، قولاً وعملاً، اعتقادًا وتعبدًا.

ثم أمره بتبليغ هذا الهدى، فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ**

(١) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض، رقم: (٧٤٦).

﴿رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، ووصفه بأنه الداعية الهادي إلى الله تعالى، والسراج المنير، فقال: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦]، وبين أن الهدى في اتباعه وطاعته، فقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤].

فتبين من ذلك أن الهُدى الذي جاء به القرآن بيانًا لفظيًا متحقق في حياة النبي ﷺ عمليًا وواقعيًا؛ فلذلك كانت أقواله وأفعاله وأحواله بحق منارة للاقتداء، ودوحة للائتساء: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ولكل هذه المعاني الإيمانية التي يقصر عندها البيان، ويستعجم عن تجليتها اللسان: كانت هذه الدراسة، التي تبين سيرة النبي ﷺ من خلال القرآن، فالسيرة هي التفسير العملي لآيات القرآن، كالتفسير القولي الذي يكون بالبيان، قال الغزالي: (إن القرآن روح الإسلام ومادته، وفي آياته المحكمة شرع دستوره، وبسطت دعوته، وقد تكفّل الله بحفظه فصينت به حقيقة الدين، وكتب لها الخلود أبد الآبدين، والرجل الذي اصطفاه الله لإبلاغ آياته وحمل رسالاته، كان (قرآنًا) حيًّا يسعى بين الناس، كان مثالاً لما صوّره القرآن من إيمان وإخبات، وسعي وجهاد وحق وقوة، وفقه وبيان، فلا جرم أن قوله وفعله وتقريره وأخلاقه وأحكامه، ونواحي حياته كلها: تعدّ ركنًا في الدين، وشريعة للمؤمنين.

إن الله اختاره ليتحدّث باسمه، ويبلّغ عنه، فمن أولى منه بفهم مراد الله فيما قال؟! ومن أولى منه بتحديد المسلك الذي يتواءم مع دلالات القرآن القريبة، والبعيدة؟!)[1].

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- كما سبق مما هو معلوم اضطرارًا أن القرآن مصدر الهدى، والنبي ﷺ هو المتمثل به، والمبلغ له، فلا بد من بيان تلك العلاقة الوثيقة، والوشيجة العميقة، من خلال التأصيل للسيرة النبوية في ضوء القرآن العظيم.

٢- أن القرآن الكريم يشير إلى أهم المهمات، وأعظم الهدايات، سواء في الاعتقادات

(١) فقه السيرة ص ٣٧.

أو الأحكام أو القصص، فالنظرة العلمية الإيمانية تستدعي الوقفة التدبرية، والفكرة التأملية لما جلاه القرآن وأظهره، وما تركه وأغفله، من جوانب السيرة، مع استنباط الحكم، وتجلية المقاصد في كل ذلك .

٣- لم أجد فيما اطلعت عليه من كتابات في السيرة - مع كثرتها - من خص هذا الموضوع بالدراسة، مع إشارات كثير من المصنفين إلى الآيات في ثنايا سرد الروايات، إلا أنني لم أرَ من سلط الأضواء، وكشف الغطاء عن آيات السيرة النبوية، وما تتضمنه من هدايات إيمانية وتربوية ودعوية .

٤- أنه قد درج العلماء على إفراد الآيات بحسب موضوعاتها، كآيات الأمثال، وآيات القصص، وآيات الاعتقاد، وآيات الأحكام، فأردت في هذا الكتاب إفرادَ آيات السيرة النبوية؛ لعلها تكون إضافة في علمي التفسير والسيرة على حد سواء .

٥- واخترت الدراسة في العهد المكي؛ لجوانب من التوافق التي بينه وبين ما يعيشه بعض المسلمين اليوم من غربة الدين، وتكالب الأعداء، وأصناف الابتلاءات، هذا مع عزمي على متابعة الدراسة لتشمل العهد المدني؛ لتستكمل جميع آيات السيرة، بإذن الله تعالى .

٦- ومن الأسباب الخاصة بي: وجودي في مكة المكرمة، التي تعانق فيها القرآن والسيرة:

- ففيها: مبدأ الوحي في غار حراء، ومنتهاه في حجة الوداع .

- وفيها: مبدأ النبي ﷺ ولادة وبعثة، ثم هجرة، ثم منتهى بلاغه في حَجته .

فلذلك يكثر ذكر القرآن مقرونًا بمكةَ المكرمة والنبيِّ ﷺ، كما في قوله تعالى: ﴿**وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا**﴾ [الأنعام: ٩٢]، وقوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لاَ رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ**﴾[الشورى: ٧]، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١) وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ**

﴿اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [النمل ٩١، ٩٢]، ففي جميعها يقرن بين ذكر القرآن الكريم، والنبي ﷺ، ومكة المكرمة .

٧- ومنها كذلك مشاركتي في الفريق البحثي لمشروع التأصيل لهدايات القرآن الكريم، التابع لكرسي الملك عبدالله بن عبدالعزيز للقرآن الكريم، في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، وهو له تعلق بموضوع البحث؛ فالبحث محاولة للتنزيل والتفصيل، لما تم من تأصيل .

الدراسات السابقة ذات الصلة بالموضوع:

١- وقفت على رسالة علمية بعنوان: (السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية، لمحمد بن مصطفى الدبيسي)، قدمت للدكتوراه في جامعة عين شمس، لكني وجدت الباحث تناول - كما ذكر في منهجه - جوانب معينة من سيرة النبي ﷺ، كثناء القرآن عليه، وعصمته، ودعوته في مكة، ثم بناء المجتمع المدني، وغزوة بدر، ثم ختم بحثه. فالملاحظ عليه أنه لم يقصد استقراء السيرة من خلال آيات القرآن الكريم - كما هو موضوع البحث هنا -؛ فلذلك لم يتعرض إلى الأحداث العظام في مكة، ولم يتناول الوقائع والغزوات عدا بدر، وإنما أراد بيان أمثلة للموازنة بين الآثار وبعض ما ورد في القرآن الكريم، كما أنه لم يتناول موضوع هدايات الآيات الذي يتميز به البحث.

٢- ثم وقفت على كتاب بعنوان: (السيرة النبوية من خلال أهم كتب التفسير، لمؤلفه: عصام بن عبد المحسن الحميدان)، وهو من منشورات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، وهو عبارة عن دراسة منهجية للكتابة في السيرة من خلال بعض كتب التفسير، فهو يعرض لمناهج المفسرين في تناول السيرة، وليس للقرآن الكريم، كما أنه لا يعد كتابًا في السيرة بمعنى سرد أحداثها، وتتبع أخبارها، وسبر أغوارها، واستنباط أسرارها؛ ولذلك فهو يقع في بضع وثمانين صفحة فقط.

فالكتاب أقرب إلى مدخل في دراسة منهج بعض كتب التفسير في تناول السيرة.

٣- وهناك جملة من الرسائل التي تتناول أحداثًا معينة فصّلها القرآن، كغزوة أحد من خلال سورة آل عمران، أو غزوة الخندق من خلال سورة الأحزاب، ونحو ذلك.

وهذا المأخذ كما هو ظاهر يختلف عن النظرة التكاملية للسيرة النبوية، من خلال جميع آيات القرآن الكريم.

منهج البحث:

١- قمت بترتيب الآيات المتعلقة بالسيرة، بحسب تسلسل أحداثها-لا بتاريخ النزول- متحريًا أرجح الأقوال في ترتيبها، من خلال كتب التفسير، والحديث، والسيرة والتاريخ، تحت عناوين مناسبة لها.

٢- بدأت بالكلام عما تتضمنه الآيات من أحداث، ثم المعنى الإجمالي للآيات، ثم ما فيها من هدايات إيمانية، وتربوية، ودعوية، ظهرت من تدبر الآيات وربطها بالأحداث، مع العناية بأقوال المفسرين واستنباطاتهم، ولم أقصد الاستقصاء؛ فإن الهدايات لا نهاية لها، وإنما ذكرت ما له تعلق بمعالم السيرة.

٣- ذكرت بعد ذلك من الروايات ما يبين الآيات، ويوضح الأحداث دون استطراد في التفصيلات، أو الحواشي والتعليقات، ولم أذكر الأحداث التي لم يشر إليها القرآن الكريم تصريحًا أو تلويحًا.

٤- اخترت من الروايات أصحها، من خلال أقوال المحدثين، وجهود بعض المعاصرين؛ فروايات السيرة كما هو معلوم تجمع ما يصح وما ينكر، كما قال الحافظ العراقي[1]:

وليعلم الطالب أن السيرا تجمع ما صح وما قد أنكرا

فكان ترتيب التعليق على الآيات تحت كل عنوان كما يلي:

- تمهيد حول الأحداث.

- المعنى الإجمالي للآيات.

(١) ألفية السيرة للعراقي: البيت: (٥).

- هدايات الآيات.

- صحيح الروايات.

وإنما أخرتها بعد الهدايات؛ ليصوب النظر على دلالات الآيات، ثم بعد ذلك ينظر لما تتضمنه الأحاديث من زيادات، ولأن روايات السيرة أفردت لها كثير من المصنفات كما سيأتي في مناهج المصنفين في السيرة.

٥- لم أترجم للأعلام؛ لعدم الإطالة والإشغال عن عمدة الكتاب، وهو النظر في الهدايتين: القرآنية القولية، والنبوية العملية، وما عدا ذلك فهو وسيلة إليهما، وحاشية عليهما.

٦- راعيت الوضوح في صياغة العبارات، مع الإيجاز قدر الإمكان؛ لتكون هذه الهدايات مبذولة للمسلمين، ليست دُولة بين المختصين؛ فالهدايات التي تمثلت في سيرة الرسول ﷺ هي رسالة للعالمين، وقدوة للناس أجمعين.

خطة البحث:

بدأت البحث بهذه المقدمة.

ثم بتمهيد، وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول: مقدمات حول السيرة النبوية، وفيه ستة مطالب:**

- المطلب الأوّل: مفهوم السيرة.

- المطلب الثاني: نشأة علم السيرة وتاريخه، ومراحل الكتابة فيه.

- المطلب الثالث: مناهج ومدارس الكتابات في السيرة.

- المطلب الرابع: أقوم الطرق في دراسة السيرة.

- المطلب الخامس: فوائد السيرة وأهميتها.

- المطلب السادس: علاقة السيرة بالعلوم الأخرى، ونسبتها إليه.

- **المبحث الثاني: مقدمات حول الهدايات القرآنية، وفيه خمسة مطالب:**
  - المطلب الأول: مفهوم الهدايات القرآنية.
  - المطلب الثاني: العلاقة بين التفسير والهدايات.
  - المطلب الثالث: تعبيرات علماء التفسير عن علم الهدايات.
  - المطلب الرابع: مجالات الهدايات القرآنية.
  - المطلب الخامس: طرق الوصول للهدايات.

ثم قسمت البحث إلى أربعة فصول:

- **الفصل الأول: ما قبل البعثة، وفيه ثلاثة مباحث:**
  - **المبحث الأول:** ما قبل الميلاد الكريم، وفيه مطلبان:
    - المطلب الأول: الرسالة الخاتمة على ألسنة الرسل.
    - المطلب الثاني: التمهيد لميلاد السراج المنير.
  - **المبحث الثاني:** الميلاد والنشأة اليتيمة، وفيه مطلبان:
    - المطلب الأول: المولد والنشأة.
    - المطلب الثاني: حادثة شق الصدر.
  - **المبحث الثالث:** أحوال مكة وبشارات النبوة، وفيه مطلبان:
    - المطلب الأول: أحوال أهل مكة.
    - المطلب الثاني: أهل الكتاب يبشرون بنبوة محمد ﷺ.
- **الفصل الثاني: في البعثة وبداية الدعوة، وفيه ثلاثة مباحث:**
  - **المبحث الأول:** تهيئة بيت النبوة للوحي، وفيه مطلبان:
    - المطلب الأول: ليلة النور المبين.
    - المطلب الثاني: تتابع الوحي والتكليف بتبليغه.

- **المبحث الثاني**: استقبال مكة للرسالة، وفيه أربعة مطالب:
  - المطلب الأول: أمانة الصدع بالدعوة.
  - المطلب الثاني: التربية الإيمانية.
  - المطلب الثالث: السابقون الأولون.
  - المطلب الرابع: إسلام الجن.
- **المبحث الثالث**: الابتلاءات والشبهات والمساومات والبشارات، وفيه ستة مطالب:
  - المطلب الأول: الابتلاءات في ذات الله.
  - المطلب الثاني: الاستهزاء والتكذيب والافتراء.
  - المطلب الثالث: إثارة الشبهات.
  - المطلب الرابع: التحدي والجواب.
  - المطلب الخامس: المساومات والمفاوضات.
  - المطلب السادس: المعجزات وبشارات التمكين.
- **الفصل الثالث: هجرة الحبشة والإسراء، وفيه ثلاثة مباحث:**
  - **المبحث الأول**: هجرة الحبشة، وفيه مطلبان:
    - المطلب الأول: الهجرة الأولى إلى الحبشة.
    - المطلب الثاني: الهجرة الثانية إلى الحبشة.
  - **المبحث الثاني**: عام الحزن، وفيه مطلبان:
    - المطلب الأول: وفاة أبي طالب.
    - المطلب الثاني: في الطائف.
  - **المبحث الثالث**: الإسراء والمعراج، وفيه مطلبان:
    - المطلب الأول: الإسراء.
    - المطلب الثاني: المعراج.

- **الفصل الرابع: الهجرة النبوية، وفيه مبحثان:**
- **المبحث الأول:** ما قبل الهجرة، وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: سنة الإخراج.
- المطلب الثاني: الأمر بالهجرة.
- **المبحث الثاني:** أحداث الهجرة، وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: طلائع الهجرة.
- المطلب الثاني: المهاجرون الأول.

ثم الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات.

ثم الفهارس.

شكر وتقدير:

[في نهاية هذه المقدمة أتقدم بجزيل الشكر والتقدير -بعد شكر الله القدير- لجميع القائمين على جامعة أم درمان الإسلامية -إدارة وأعضاء وموظفين-، على ما يقدمونه من خدمة للعلم، وأخص في هذا الصدد: معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، الذي قرب ما قصى، وذلل ما اعتصى.

والشكر موصول للمشرف على هذه الرسالة فضيلة الأستاذ الدكتور صلاح الدين عوض؛ لتبنيه الإشراف على الرسالة، ومتابعته لها، وللجنة المناقشة الموقرة.

فللجميع جزيل شكري، وخالص دعائي].

وبالله التوفيق، ومنه الهداية إلى التحقيق.

●●●

تمهيد

وفيه: تناول مفردات العنوان، وسيكون ذلك في مبحثين:

المبحث الأول: مقدمات حول السيرة النبوية

والكلام في هذا المبحث حول ستة مطالب ، وهي كما يأتي:

المطلب الأوّل: مفهوم السيرة

أولا: مفهوم السيرة لغة:

- السيرة لغةً: الطريقة والهيئة والحالة والسُّنة[1].

وقد وردت في القرآن بهذا اللفظ والمعنى مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿**قَالَ خُذْهَا وَلاَ تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى**﴾ [طه: ٢١].

قال ابن جرير الطبري: «فإنا سنعيدها لهيئتها الأولى التي كانت عليها قبل أن نصيرها حية، ونردّها عصا كما كانت»[2].

وقال الراغب: (والسِّيرَةُ: الحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره، غريزيًا كان أو مكتسبًا، يقال: فلان له سيرة حسنة، وسيرة قبيحة، وقوله: ﴿**سَنُعِيدُها سِيرَتَهَا الأُولى**﴾: أي: الحالة التي كانت عليها من كونها عودًا)[3].

ثانيًا: مفهوم السيرة اصطلاحًا:

والمعنى الاصطلاحي مأخوذ من هذا المعنى اللغوي، قال الزبيدي: (إن السيرة مأخوذة بمعنى الطريقة، وأدخل فيها الغزوات، وغير ذلك إلحاقًا وتأويلاً)[4].

(١) ينظر: لسان العرب: (٤/ ٣٨٩).
(٢) تفسير الطبري: (١٨/ ٢٩٦).
(٣) مفردات القرآن ص ٤٣٣.
(٤) تاج العروس، مادة: سير: (٩، ١٢/ ١٢١).

فمفهوم السيرة اصطلاحًا:

طريقة النبي ﷺ، وحياته من ميلاده إلى وفاته، قال الحضرمي: «من ذكر مولده ﷺ إلى وفاته، وما بينهما من معجزاته وغزواته»[1].

ومهما تنوعت التعريفات إلا أنها تصب في هذا المفهوم.



(١) ينظر: حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، لمحمد الحضرمي، ص٥٩.

المطلب الثاني: نشأة علم السيرة وتاريخه، ومراحل الكتابة فيه

بدأت الكتابة في السيرة استقلالاً في القرن الأول بمحاولات متفرقة، منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان -رضى الله عنه-؛ حيث كان عبد الله بن عباس -رضى الله عنهما- يدرس تلاميذه نسب النبي ﷺ ومغازيه، وكان تلاميذه يدونون ذلك.

وكذلك فعل عبد الله بن عمرو بن العاص -رضى الله عنهما-.

ومثلهما البراء بن عازب -رضى الله عنه-؛ حيث كان يملي تلاميذه مغازي رسول الله ﷺ.

ثم كان عصر التابعين، ومن أوائل من كتب فيها عروة بن الزبير (المتوفى سنة: ٩٣هـ)، الذي جمع روايات في السيرة، سميت بمغازي عروة، وهي موجودة كروايات في ثنايا كتب الحديث والتاريخ.

ثم أبان بن عثمان بن عفان (توفي سنة: ١٠٥هـ)، والي المدينة لعبد الملك بن مروان.

ومنهم الإمام محمد بن شهاب الزهري (المتوفى سنة: ١٢٠هـ)، وسيرته اعتمد عليها كثير من الحفاظ، ولكنها لا توجد مفردة[1].

ثم جاء إمام السير محمد بن إسحاق (المتوفى سنة: ٢٥١ هـ)، فكتب السير والمغازي بإيعاز من الخليفة أبي جعفر المنصور؛ حيث طلب منه لما قدم بغداد أن يكتب كتابًا لابنه المهدي، في تاريخ العالم من خلق آدم إلى زمنه[2]، ثم اختصره بعد ذلك، حتى جاء ابن هشام فهذبه، واشتهرت سيرة ابن هشام، ومادتها من ابن إسحاق رحمه الله.



(١) ينظر: أوائل المؤلفين في السيرة النبوية، لعبدالشافي محمد، ص ١٩، وما بعدها، وتطور كتابة السيرة النبوية، لعمار عبودي، ص ٣٠، وما بعدها.

(٢) ينظر: السيرة النبوية، لمحمد أبوشهبة: (١/ ٣٠).

المطلب الثالث: مناهج ومدارس الكتابات في السيرة

هذا من أهم المباحث في كل علم؛ فهو مفتاح لأبوابه، ومقرب لأسبابه، وقد قسمت هذه المناهج والمدارس إلى عشر طرق، كما يأتي:

١- **الطريقة التاريخية**: وهي كتابة السيرة ضمن منهج تاريخي، تُسرد فيه الوقائع والأحداث، كتاريخ الطبري، وتاريخ الإسلام للذهبي، والبداية والنهاية لابن كثير.

٢- **الطريقة الحديثية**: وهي كتابتها على صفة الروايات الحديثية، إما مفردة كدلائل النبوة للبيهقي، أو ضمن كتب الحديث كصحيح البخاري، ومسلم، وكتب السنة، ففيها أبواب مختصة بالسيرة.

٣- **الطريقة الفقهية**: أي الاعتناء بالجوانب الفقهية، واستنباط الأحكام الشرعية من خلال أحداث السيرة، ومنها زاد المعاد لابن القيّم.

٤- **الطريقة اللغوية**: أي الاهتمام بالنواحي اللغوية والأدبية في السيرة، كالروض الأنف للسهيلي.

٥- **الطريقة النقدية**: أي الاهتمام بالثابت من روايات السيرة على طريقة أهل النقد والحديث، وهي جهود معاصرة كصحيح السيرة للألباني، وصحيح السيرة للطرهوني، وصحيح السيرة لأكرم ضياء العمري، والسيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة لمحمد الصوياني.

٦- **الطريقة التربوية الوعظية**: وفيها تسليط الضوء على الجوانب التربوية والسلوكية والوعظية، ومن أشهر الكتب في هذه الطريقة كتاب: (وقفات تربوية مع السيرة النبوية لأحمد فريد).

٧- **الطريقة الدعوية**: وهي تهدف إلى إبراز الجانب الدعوي والمنهج النبوي في الإصلاح، وهي كتب معاصرة تحمل مسميات المنهج الحركي في السيرة، ويدخل فيها فقه السيرة للغزالي والبوطي.

٨- **الطريقة القصصية أو الروائية**: وهي صياغة السيرة، أو مواقف منها على شكل روايات عصرية للأطفال، أو النساء، أو العامة، على أنها بدائل عن الروايات الهابطة، والقصص الغرامية الساقطة.

وهي طريقة مفيدة، لكنّ كثيراً مما هو موجود يحتاج إلى تقويم، وإعادة نظر وتصويب؛ حيث كتب من قبل أدباء، ولغويين، غير متخصصين في العلوم الشرعية.

٩- **الطريقة القومية**: أي الاعتزاز بالجانب العروبي؛ لكون العرب لم تبلغ حضارتهم أوجها إلاّ ببعثة النبي ﷺ، كما قال تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ**﴾ [الزخرف: ٤٤]، أي رفعة ومكانة وحضارة، ومن أشهرها: كتاب: (على هامش السيرة) لطه حسين.

١٠- **الطريقة الاستشراقية**: وهي كتابات للمستشرقين تحت ستار البحث العلمي المجرد، والتطلع المعرفي، والتوسع الثقافي، الذي يحمل بين طياته نوايا التضليل، وخطوات التشكيك، والغزو الفكري، ككتابات (جولدزيهر) و(كرومر).

ومن الإسلاميين من عبّ من معينهم، واستقى من سمومهم كما في كتاب: (حياة محمد) لهيكل؛ حيث أنكر جملة من المعجزات.

وقد أضفت في هذا الكتاب طريقة جديدة، وهي: الطريقة القرآنية، وهي دراسة السيرة من خلال هدايات الآيات القرآنية، أسأل الله تعالى أن يكون لها قدم السبق، ولسان الصدق، وأن يتقبلها بقبول حسن.



المطلب الرابع: أقوم الطرق في دراسة السيرة

- **أولاً**: معرفة السيرة ودراستها من خلال القرآن الكريم:

وهو الذي أردنا تفصيله في هذا الكتاب، فأكثر أحداث السيرة لها ذكرٌ في القرآن الكريم، على سبيل الإجمال دون التفصيل في غالب الأحوال، ومنها على سبيل التمثيل ما يأتي:

التوطئة للميلاد في سورة (**الفيل**).

النشأة اليتيمة في (**الضحى**).

حادثة شق الصدر في (**الانشراح**).

البعثة والرسالة في (**العلق**).

التكليف بالدعوة في (**المدثر**).

الأمر بالجهر بالدعوة في قوله تعالى: ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ [الشعراء: ٢١٤].

حادثة الهجرة إلى الحبشة ودعوة النجاشي في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ**﴾ [المائدة: ٨٣].

حادثة الإسراء والمعراج في سورة (**الإسراء**) و(**النجم**).

حادثة الهجرة في قوله تعالى: ﴿**إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ**﴾ [التوبة: ٤٠].

غزوة بدر في (**الأنفال**) و(**آل عمران**).

غزوة أحد في نحو (٦٠) آية من (**آل عمران**).

غزوة الخندق في (**الأحزاب**).

حادثة الإفك في (**النور**).

صلح الحديبية وفتح مكة في سورة (**الفتح**).

غزوة حنين في (**التوبة**).

غزوة تبوك في (**التوبة**).

عام الوفود في (**آل عمران**).

حجة الوداع في(**المائدة**).

اكتمال الدين ونهاية الأجل في (**النصر**).

- **ثانيًا**: قراءة السيرة من خلال كتب الحديث كالصحيحين والسنن وغيرها، ففيها مادة جامعة في السيرة المسندة.

- **ثالثًا**: كتب الدلائل: وتتناول المعجزات والدلائل على صدق النبي ﷺ، ومن أقدم من كتب فيها الفريابي (ت٢١٢هـ) في كتابه «دلائل النبوة»، ثم المدائني (ت٢٢٥هـ) في كتابه «آيات النبي ﷺ...» إلخ[1].

- **رابعًا**: كتب الشمائل: وهي التي تبين أخلاق النبي ﷺ وصفاته الخلقية والخلقية، وأقدم من ألف فيها أبو البختري وهب بن وهب الأسدي (ت٢٠٠هـ) في مؤلفه «صفة النبي ﷺ».

ومن أشهر كتب الشمائل: «الشمائل المحمدية» للترمذي.

- **خامسًا**: دراسة الكتب التي اعتنت بالصحيح، كالكتب المعاصرة السابقة، التي جمعت ما صحّ في السيرة.

- **سادسًا**: قراءة الجوانب التربوية والدعوية واللغوية من خلال ما سبق في الطريقة التربوية والدعوية واللغوية.



(١) ينظر: مصادر السيرة للزهراني، ص٥٢، وما بعدها، ومصادر تلقي السيرة النبوية للبكري، ص٣٥، وما بعدها.

المطلب الخامس: فوائد السيرة وأهميتها

علم السيرة النبوية هو من أجمع العلوم لأصول الشريعة ومبانيها، ومقاصدها وتفاصيلها، ويمكن إجمال فوائدها فيما يلي:

١- تعظيم الله تعالى، من خلال التفكر في معجزاته المؤيدة لرسوله، وحكمته، ورحمته، وحلمه، وانتقامه، وغيرها من صفات كماله.

٢- زيادة الإيمان بالله تعالى، واليقين على صدق رسالة نبيه ﷺ، بما يشهده من عظمة التقديرات، وجلائل المعجزات.

٣- محبة رسول الله ﷺ؛ فكلما تأملت سيرته وخُلقه، وجهاده وتضحيته، وحرصه على أمته: ازدت له حبًا، وللقائه شوقًا، ولسنته اتباعًا.

٤- تحقيق الاقتداء به ﷺ، ولا يكون الاتباع صحيحًا إلاّ بالعلم بالمتبوع على وجه التفصيل، ومعرفة صفاته وأحواله، وأقواله وأفعاله.

٥- السيرة منهج متكامل، ودستور شامل، لحياة المسلم، ونظام للمجتمع في جميع جوانبه.

٦- فهم القرآن، ومعرفة أسباب النزول، وتدرّج الأحكام، وحكم التشريع.

٧- فهم الأحاديث، بمعرفة ملابسات وأحوال ورودها، وهو رافد قوي في تصور دلالاتها، ومن ثم الاستنباط منها، والبناء عليها.

٨- عامل للثبات، والصبر عند تشابك حلقات المحن، وتلاطم أمواج الفتن، فكل ما يمر على الأمة له وزان من السيرة تستلهم منه دروسها.

٩- فهم كثير من الأحكام الشرعية، والمسائل الفقهية، وذلك من خلال معرفة ملابساتها، والحوادث التي شرعت فيها.

١٠- التعرف على أسباب النصر، وعوامل التمكين، ومكامن الهزيمة والضعف، وسبل نهوض الأمة، وتخطيها لعقباتها.

١١- تصور منهج الدعوة، والتمرس على طريقتها، مع اختلاف الأحوال والأزمان، ومعرفة ما يناسب كل حال على مقتضى الحكمة النبوية.

١٢- الوقوف على فضائل الصحابة رضوان الله عليهم، ومحبتهم، وتعظيمهم، ومعرفة تضحياتهم في سبيل الله؛ نصرة لدينه، ودفاعًا عن رسوله ﷺ.

١٣- السيرة متعة روحية، وراحة نفسية، وغذاء للأفئدة، وزاد للقلوب، وتسلية للمكروب.

١٤- الوقوف على عظمة هذه الشريعة، وتكاملها، وجليل مقاصدها، وحِكم نصوصها، وأسرار أحكامها.

١٥- الإفادة منها في الممارسات التربوية، والمناهج التعليمية، في مختلف المؤسسات.

ولكل هذه الفوائد الجليلة وغيرها كثير قال الواقدي: (وسمعت محمد بن عبدالله يقول: سمعت عمي الزهري يقول: في علم المغازي علم الآخرة والدنيا)[1].



(١) البداية والنهاية: (٣/ ٢٤٢)، وينظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: (٢/ ١٩٥).

المطلب السادس: علاقة السيرة بالعلوم الأخرى، ونسبتها إليه

جميع علوم الشريعة ترجع في أصلها إلى علمين رئيسين:

أ- علم يعنى بإصلاح الباطن: وهو علم التوحيد أو الاعتقاد أو الإيمان.

ب- علم يعنى بإصلاح الظاهر: وهو علم الفقه والأحكام.

وبهما تكون النجاة في الآخرة؛ لذلك قرن الله بينهما في أكثر من أربعين آية، كما في قوله تعالى: ﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾[البقرة: ٢٥].

فالقرآن الكريم:

-إما أخبارٌ: والواجبُ فيها الإيمان بها، والتصديق لها.

- أو أوامر ونواهٍ: والواجب فيها الامتثال، أو الاجتناب.

وهكذا الحديث الشريف.

وأما الأصول والقواعد والمصطلح واللغة وغيرها فهي آلات لفهم هذه العلوم.

والسيرة لها تعلق بالإيمان تصحيحًا وتقوية، وبالعمل إصلاحًا وتقويمًا، فهي منتظمة لجلّ العلوم الشرعية، وتعتبر تطبيقًا للوحي على واقع الحياة، فهي جامعة للأصول الإيمانية، والأحكام الفقهية، والإرشادات التربوية، والتفسيرات القرآنية، والمناهج الدعوية.



المبحث الثاني: مقدمات حول الهدايات القرآنية

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الهدايات القرآنية

أولاً: معنى الهدايات في اللغة:

الهدايات: جمع هداية، وأصلها من هَدَى، يهْدي، هَدْيًا، وهُدَى، وهِدَايَةً، وهِدْيَةً.

قال ابن فارس: (الهاء والدال والحرف المعتلّ: أصلان، أحدهما: التقدُّمُ للإرشاد، والآخر: بَعثة لَطَف، فالأوَّل قولُهم: هدَيتُه الطَّريق هدايةً، أي تقدّمتُه لأرشدَه، وكلٌّ متقدِّم لذلك هادٍ... والأصل الآخر الهَديّة: ما أهدَيْتَ من لَطَف إلى ذي مَودَّة. يقال: أهدَيْتُ أُهدِي إهداءً، والمِهْدَى: الطَّبقُ تُهدَى عليه)[1].

وقال الجرجاني: (الهداية الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب، وقد يقال هي سلوك طريق يوصل إلى المطلوب)[2].

والهدايات: جمع درج عليه العلماء المتأخرون[3]، وإن كان ليس على قاعدة جمع المؤنث السالم[4].

ثانيًا: الفرق بين الهُدى والهداية:

جاءت لفظة الهداية في القرآن الكريم بمعنى الهدى في آيتين، وهما:

قوله تعالى: ﴿ **قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(١٦)** ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦]، فالفعل يهديهم، ومصدره الهداية.

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة هدى: (٦/ ٤٢، ٤٣).

(٢) التعريفات للجرجاني: ص: ٣١٩، وينظر: التحرير والتنوير: (١/ ١٨٨).

(٣) ينظر: تاج العروس، للزبيدي: (٤٠/ ٢٨٣).

(٤) ينظر في ضوابط الجمع: موسوعة النحو والصرف الإعراب، لإميل بديع، ص٣١٦-٣١٧.

وقوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٧)**﴾[فصلت: ١٧]، فالفعل هنا هديناهم الذي مصدره الهداية، وعبر هنا عن الهداية في الآية بالهدى.

وكما وردت لفظة الهداية بمعنى الهدى في القرآن، وردت كذلك في السنة النبوية، في قوله ﷺ: «**يا علي سل الله الهدى والسداد، واذكر بالهدى هدايتك الطريق، وبالسداد تسديدك السهم**»[(١)].

لذلك قال العلماء: الهدى والهداية في اللغة: شيء واحد، قال الراغب: (والهدى والهداية في موضوع اللغة واحد)[(٢)].

ثالثًا: معنى الهدايات في الاصطلاح:

استخدم جلة من علماء التفسير واللغة لفظ الهداية[(٣)]، عند كلامهم عن أنواع الهدايات وأقسامها، وكذلك استخدمها العلماءُ قديمًا في أسماء مؤلفاتهم، مثل: الهدايةُ إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامهَ، وجمل من فنون علومه، لمكي بن أبي طَالب القَيسي، والهدايَة في شرح بداية المبتَدي، لعلِّي بن أبي بكر المرغيناني، وكتاب بداية الهداية، لأبي حامد الغزالي.

وقد جاء تعريف الهدايات في الدراسة التأصيلية- لمشروع الموسوعة العالمية للهدايات القرآنية - بأنها:

«الدلالات المبينة لما في القرآن الكريم من إرشادات، توصل لكل خير، وتمنع من كلِّ شر»[(٤)].

والتعريف المختار: أنها: الإرشادات المستفادة من الآيات، بدلالة ظاهرة أو خفية، وفق منهج علمي.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، برقم: (٦٦٤)، والنسائي في السنن الكبرى، برقم: (٥٢١٠)، والحاكم في المستدرك، برقم: (٧٧٠٠)، وقال: صحيح الإسناد، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم: (٧٩٥٣).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ٥١٩).

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص: ٥٣٩)، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: (٢/ ٥٩)، ومفاتيح الغيب، للرازي: (١/ ١٥٧)، وإرشاد العقل السليم، لأبي السعود: (١/ ١٨)، وغيرها.

(٤) الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية: (١/ ٤٤) للفريق العلمي بكرسي الملك عبدالله للقرآن الكريم.

المطلب الثاني: العلاقة بين التفسير والهدايات

هنالك وشيجة عميقة، وعلاقة وثيقة بين التفسير، والهدايات القرآنية؛ وأحسن ما يقال في ذلك أن للتفسير إطلاقين:

١- إطلاقًا عامًا: بمعنى فهم وتأويل القرآن:

فيدخل علم الهدايات في هذا الإطلاق، فنجد أن المفسرين يذكرون الهدايات في تفسيرهم، وهي فوائد الآيات، ودلالاتها، وإرشاداتها، بعد بيان معنى الآية، لكنهم لم يتوسعوا في ذلك، ولم يقصدوه بالتأليف؛ لكونه داخلا في علم الفضائل لا المسائل.

٢- إطلاقًا خاصًا: وهو بيان معاني الآيات:

وبهذا الإطلاق يفرق بين التفسير والهدايات، فيكون علم الهدايات تابعًا لعلم التفسير، ومكملاً له، فهو خلاصة ما جاء في معاني الآية من هداية وإرشاد ودلالة على تلك المعاني، فالتفسير بيان للمعنى، والهدايات دلالات وإرشادات مستفادة من ذلك المعنى الموضح، فعلم التفسير هو الأصل الذي يبنى عليه علم الهدايات.

- فخلاصة العلاقة أن علم التفسير تأصيل، وعلم الهدايات تكميل.

والملاحظ أن علم التفسير معتمده الأول في بيان معاني الآيات هو تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسنة، ثم بما أُثِر عن الصحابة والتابعين، ثم اللغة، ثم الرأي والاجتهاد.

بينما المعتمد عليه في الوصول للهدايات هو الاستنباط والقريحة الذهنية، والرأي والاجتهاد، فعلم الهدايات تظهر قدرة المفسر وتميزه، بقدر ما يستثمر من معاني الآية، أو السورة، أو الموضوع، في دلالات، وإرشادات ظاهرة، وخفية من وراء المعنى الذي حرره علم التفسير [(١)].

(١) تنظر: الدراسة التأصيلية: (١/ ٤٨)، وما بعدها.

المطلب الثالث: تعبيرات علماء التفسير عن علم الهدايات

يعبر علماء التفسير عن الهدايات بألفاظ متنوعة، منها:

- **أولاً**: الدلالة: يقولون: تدل هذه الآية على كذا، ومثالها: قول ابن العربي في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٤)**﴾ [الحجر: ٢٤]: «هَذَا يَدل على فَضْلِ أوَّل الوَقْت في الصَّلاة خاصَّةً، وعلَى فَضلِ المبادَرَة إلَى سَائر الأعمَال والمسارعة إلَيْهَا عَامَّةً»[(١)].
- **ثانيًا**: الإرشاد: يقولون: ترشد هذه الآية إلى كذا، ومثالها: قول ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿**مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً (٦١)**﴾[الأحزاب: ٦١]: «وهذه الآية ترشد إلى تقديم إصلاح الفاسد من الأمة على قطعه منها؛ لأن إصلاح الفاسد يكسب الأمة فردًا صالحًا، أو طائفة صالحة تنتفع الأمة منها»[(٢)].
- **ثالثًا**: الفائدة: يقولون: تفيد هذه الآية كذا، ومثالها: قول أبي حيان في قوله تعالى: ﴿**وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ**﴾[النساء: ١٦١]: «وهذه جملة حالية، تفيد تأكيد قبح فعلهم، وسوء صنيعهم؛ إذ ما نهى الله عنه يجب أن يبعد عنه»[(٣)].
- **رابعًا**: البيان: يقولون: تبين هذه الآية كذا، ومثالها: قول ابن عاشور في قوله: ﴿**أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى(٧)**﴾[العلق: ٧]: «فقد بينت هذه الآية حقيقة نفسية عظيمة من الأخلاق وعلم النفس، ونبهت على الحذر من تغلغلها في النفس»[(٤)].
- **خامسًا**: الإشارة: يقولون: تشير هذه الآية إلى كذا، ومثالها: قول محمد جمال الدين القاسمي في قوله تعالى: ﴿**وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٤٨)**﴾[البقرة: ١٤٨]:

(١) أحكام القرآن: (٥/ ١٢٥)، الجامع لأحكام القرآن: (٣/ ٣٦٤)، فتح القدير: (٥/ ١٠٨).
(٢) التحرير والتنوير: (١١/ ١١٠)، تفسير القرآن العظيم: (١/ ٣٩٥).
(٣) البحر المحيط: (٣/ ٣١٩)، أنوار التنزيل: (١/ ٤٨١)، مفاتيح الغيب: (٣/ ٦١).
(٤) التحرير والتنوير: (١١/ ٤٤٥)، أحكام القرآن للجصاص: (٤/ ٣٧١)، تفسير المنار: (١/ ٢٤١).

«تشير الآية إلى أن الناس على مذاهب عديدة وأديان متنوعة ، وأن على العاقل أن يستبق إلى ما كان خيرها وأرقاها»[1].

- **سادسًا**: الفهم: يقولون: يفهم من هذه الآية كذا، ومثالها: قول السعدي في قوله تعالى: ﴿**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ**﴾[النساء: ٥٩]: « يفهم منها أن ما لم يتنازعوا فيه بل اتفقوا عليه أنهم غير مأمورين برده إلى الكتاب والسنة، وذلك لا يكون إلا موافقًا للكتاب والسنة فلا يكون مخالفًا »[2].

- **سابعًا**: ما يؤخذ: يقولون: يؤخذ من هذه الآية كذا، ومثالها: قول ابن العربي فيما نقله عن الشافعي في قوله تعالى: ﴿**الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ**﴾ [البقرة: ٢٢٩]: « يؤخذ من هذه الآية أن السراح من صريح ألفاظ الطلاق الذي لا يفتقر إلى نية»[3].



(١) محاسن التأويل: (١/ ٣٩٣) أضواء البيان: (٤/ ٢٣٩) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٢٠٢)، أحكام القرآن لابن العربي: (١/ ٦٥).

(٣) أحكام القرآن: (١/ ٣٨١) تفسير ابن عرفة: (١/ ٣٣٢)، ملخص من الدراسة التأصيلية: (١/ ٥٨-٧٠)

المطلب الرابع: مجالات الهدايات القرآنية

والهدايات القرآنية عامة، ففي القرآن العظيم هداية الدنيا والآخرة، وهداية العقيدة والعمل، وهداية العبادة والمعاملة، وهداية الفرد والجماعة، وهداية الأسرة والمجتمع، وهداية الدولة والأمة، وهداية المؤمن والكافر، وهداية القوي والضعيف، وهداية الحائر والمهتدي، وهداية الذكر والأنثى، وهداية النفس والعقل والجسد، وغيرها.

وجميع هذه الهدايات يمكن حصرها في قسمين، هما:

١- المجالات المتفق عليها، وهي أربعة مجالات:

- هدايات القرآن في مجال العقيدة، وتشمل جميع أركان الإيمان.
- هدايات القرآن في مجال العبادة، وتشمل جميع العبادات الظاهرة والباطنة.
- هدايات القرآن في مجال الأخلاق والآداب والتربية.
- هدايات القرآن في مجال المعاملات المالية والاجتماعية والقضائية والسياسية.

٢- المجالات المختلف فيها، وهي المجالات العلمية:

- مجال العلوم الكونية.
- ومجال علوم الأنفس.

على وفق ما دل عليه قوله تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾[فصلت: ٥٣].

مع مراعاة ما فيها من شروط وضوابط، تتوسط بين المانعين والغالين، على سبيل الوسط، بلا وكس ولا شطط[(١)].

(١) ينظر: الهدايات القرآنية، دراسة تأصيلية، إعداد الفريق العلمي لكرسي الملك عبدالله للقرآن الكريم: (١/ ١٦٨).

المطلب الخامس: طرق الوصول للهدايات

من خلال التأمل في الطريقة التي يستخرج بها العلماء تلك الهدايات القرآنية ظهرت عدة طرق، ويمكن إجمالها فيما يلي[1]:

١- **الاعتماد على دلالات الألفاظ**، من خلال النظر في الحروف والمفردات والتراكيب، ومن أمثلة ذلك قول الشنقيطي- في قول الله تعالى: ﴿**قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦)**﴾[الطور: ٢٦]: «وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أنَّ الإشفاق الذي هو الخوف الشديد من عذاب الله في دار الدنيا سبب للسلامة منه في الآخرة - يُفهم من دليل خطابه، أعني مفهوم مخالفته: أنَّ من لم يخف من عذاب الله في الدنيا لم ينج منه في الآخرة»[2].

٢- **الالتفات إلى تنوع الأساليب القرآنية**، من استفهام، وتوكيد، وتقديم، وأمثال، وقصص، وغيرها، من ذلك ما ذكره أبو حيان -عند تفسيره قول الله تعالى: ﴿**وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ...**﴾[البقرة: ١٧٧]: «ولما كان المقصود الأعظم هو إيتاء المال على حبه قدم المفعول الثاني اعتناءً به لهذا المعنى»[3].

٣- **النظر في اختلاف القراءات**، فاختلافها تنوع وإثراء، وليس تضاداً ومنافرة، ومن أمثلة ذلك قول الله تعالى: ﴿**وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤)**﴾[التكوير: ٢٤]، في الآية قراءتان ثابتتان[4]:

(١) وهو ملخص مما ذكرت تفصيلا في الدراسة التأصيلية للهدايات القرآنية: (٢/ ٥٠٤)، والترتيب غير مقصود في هذه الطرق، فكل آية لها أولويات للنظر فيها، والله أعلم.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي: (٧/ ٤٥٧).

(٣) البحر المحيط، أبو حيان: (٢/ ١٣٦).

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالظاء، وقرأ الباقون بالضاد. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: (٢/ ٣٩٨، ٣٩٩).

- **الأولى**: بالضاد: (بِضَنِينٍ)، من الضِّنَّة بمعنى البخل، أي: هو يؤدي عن الله، ويعلّم كتابَ الله.

- **الثانية**: بالظاء: (بِظَنِينٍ)، من الظِّنّة، بمعنى الاتهام، أي: ما هو على الغيب بمتهم، وهو الثقة فيما أداه عن الله تعالى(١).

٤- **التأمل في مجموع أدلة الكتاب والسنة**، والموازنة بينها وبين النص المراد، ومن أمثلة ذلك ما ذكره الرازي في هداية قول الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠)**﴾ [المؤمنون: ٦٠]؛ حيث يقول بعد ذكره لتفسير ما قبلها من الآيات في صفات المؤمنين: «دلت على أنَّ المستجمع لتلك الصفات الثلاث يأتي بالطاعات مع الوجل والخوف من التقصير، وذلك هو نهاية مقامات الصديقين»(٢).

وهذه الهداية التي ذكرها الرازي: مستفادة من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: سألتُ رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ**﴾، قالت عائشة: هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «**لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون، ويصلون، ويتصدقون، وهم يخافون أن لا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات**»(٣).

٥-**الصدور من أصول الشريعة**، فهي تعين على ضبط الهداية وعدم شذوذها، ومن أمثلة ذلك ما يُؤخذ من قول الله تعالى: ﴿**فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ (٤٥)**﴾[ق: ٤٥]، وقول الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا (٤٥)**﴾[النازعات: ٤٥]، ونحوها من

(١) ينظر: معاني القرآن، الزجاج: (٥/ ٢٩٣).

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي: (٢٣/ ٢٨٣).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة المؤمنون، ٥/ ٣٢٧، رقم (٣١٧٥)؛ وابن ماجه في سننه، كتاب: الزهد، باب: التوقي عن العمل: (٢/ ١٤٠٤)، رقم: (٤١٩٨)؛ والحاكم في مستدركه، كتاب: التفسير، تفسير سورة المؤمنون، ٢/ ٤٢٧، رقم (٣٤٨٦)، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، والحديث صححه أيضًا الألباني. ينظر: صحيح سنن الترمذي، الألباني: (٣/ ٣٨٧).

الآيات التي تخص الذكرى بأقوام قامت فيهم أوصاف معينة؛ لأنهم هم المنتفعون به، مع أنه ﷺ في الحقيقة منذر لجميع الناس[1].

٦- **استحضار حكم التشريع وأسراره**، وتأمل الآيات من خلالها، ومن أمثلة ذلك ما ذكره ابن عاشور- عند قول الله تعالى: ﴿**أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا**﴾[المائدة: ٣٢]؛ حيث يقول: «ومعنى التشبيه في قوله: (**فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا**): حث جميع الأمة على تعقب قاتل النفس، وأخذه أينما ثقف، والامتناع من إيوائه أو الستر عليه، كلٌّ مخاطب على حسب مقدرته وبقدر بسطة يده في الأرض، من ولاة الأمور إلى عامة الناس»[2].

٧- **الاستفادة من أوجه الإعراب**، فلكل إعراب دلالة معنوية تفيد هداية قرآنية، ومن أمثلة ذلك ما جاء في قول الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (١١٩)**﴾[البقرة: ١١٩]، ففي قوله: (**وَلَا تُسْئَلُ**): إعرابان[3]:

الأول: برفع الفعل: وتكون (لا) في الجملة نافية، والجملة خبرية، والمعنى على هذا: يا محمد إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا، فبلغت ما أرسلت به، وإنما عليك البلاغ والإنذار، ولستَ مسؤولاً عمن كفر بما أتيته به من الحق، وكان من أهل الجحيم.

الثاني: بجزم الفعل: وتكون «لا» ناهية، والمعنى: إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا لتبلغ ما أرسلتَ به، لا لتسأل عن أصحاب الجحيم، فلا تَسألْ عن حالهم[4].

٨-**فهم الآيات من خلال أحوال النزول**، أي أسبابه وزمانه وملابساته، ومن ذلك ما

(١) ينظر: أضواء البيان، الشنقيطي: (٥/ ٥٣٦).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور: (٦/ ١٧٨).

(٣) هذان الإعرابان بناء على قراءتين ثابتتين؛ حيث قرأ نافع ويعقوب بفتح التاء والجزم على النهي، وقرأ الباقون بفتح التاء والرفع على الخبر. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: (٢/ ٢٢١).

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري: (٢/ ٥٥٨).

ذكره ابن كثير- في قول الله تعالى: ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾ [البقرة: ٢٥٦]؛ حيث يقول: «لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام؛ فإنه بيّن واضح جلي دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يُكره أحدٌ على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرهًا مقسوراً، وقد ذكروا أنَّ سبب نزول هذه الآية في قوم من الأنصار، وإن كان حكمها عامًا»(١).

٩- **النظر في المناسبات بين السور**، أو بين الآيات، أو بين بداية الآية وختمها، ومن أمثلة ذلك ما ذكره أبو جعفر الغرناطي- في المناسبة بين سورة الفاتحة والبقرة حيث يقول: «لما قال العبد بتوفيق ربه: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦)**﴾[الفاتحة: ٦]، قيل له: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢)**﴾[البقرة: ٢] هو مطلوبك، وفيه أربُك(٢)، وهو الصراط المستقيم، ﴿**هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾[البقرة: ٢] القائلين: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾، والخائفين من حال الفريقين المغضوب عليهم والضالين، فاتخذوا وقاية من العذاب خوف ربهم وتقواه بامتثال أمره ونهيه، ثم أشير من الأعمال إلى ما يستحق سائرها من قبيلي البدنيات والماليات بيانًا للصراط المستقيم»(٣).

١٠- **التأمل في مواضع اقتران أسماء الله الحسنى**، ففيها جملة من الهدايات، ومن ذلك اقتران اسم (الودود) بـ(الرحيم) و(الغفور) في قول الله سبحانه تعالى: ﴿**وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (٩٠)**﴾[هود: ٩٠]، وقول الله تعالى: ﴿**وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤)**﴾[البروج: ١٤]، قال ابن القيم: (وما ألطف اقتران اسم

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: (١/ ٦٨٢).

(٢) الأرب: الحاجة. ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: (١/ ٨٩).

(٣) البرهان في تناسب سور القرآن، أبو جعفر الغرناطي، ص١٩٠ .

الودود بالرحيم وبالغفور؛ فإنَّ الرجل قد يغفر لمن أساء إليه ولا يحبه، وكذلك قد يرحم من لا يحب، والرب تعالى يغفر لعبده إذا تاب إليه ويرحمه ويحبه مع ذلك؛ فإنه يحب التوابين، وإذا تاب إليه عبده أحبه، ولو كان منه ما كان)[1].

١١- **استنباط مقاصد القرآن**، فالمقاصد نفسها هدايات استنباطية لكنها كلية، ومن أمثلة ذلك: ما ذكره الرازي: في سورة الأنعام: «أنها مشتملة على دلائل التوحيد، والعدل، والنبوة، والمعاد، وإبطال مذاهب المبطلين والملحدين»[2]، وما ذكره أبو جعفر الغرناطي: أنَّ سورة القمر: «مقصودها تذكير كفار العرب من قريش بغيرهم، بما نزل بمن تقدمهم من مكذبي الأمم»[3].

١٢- **النظر في سياق السور والآيات**، وهو من أهم مدارك الهدايات القرآنية، ومن شواهد ذلك ما ذكره ابن عاشور: في قول الله تعالى: ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢)**﴾[فاطر: ١٢]؛ حيث يقول: «وتقديم الظرف في قوله: (**فِيهِ مَوَاخِرَ**) على عكس آية سورة النحل[4]؛ لأنَّ هذه الآية مسوقة مساق الاستدلال على دقيق صنع الله تعالى في المخلوقات، وأدمج فيه الامتنان بقوله: (**تَأْكُلُونَ... وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً**)، وقوله: (**لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ**)، فكان المقصد الأول من سياقها الاستدلال على عظيم الصنع، فهو الأهم هنا»[5].

١٣- **الاستفادة من آثار الصحابة والتابعين**، ففيها خزانة علمية للهدايات، ومن أمثلة ذلك قول البقاعي: في آخر سورة النصر: «فالتسبيح الذي هو تنزيه عن النقص إشارة إلى إكماله الدين تحقيقًا لما كان تقدم به وعده الشريف، والاستغفار إشارة

(١) التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم، ص٩٣.
(٢) مفاتيح الغيب، الرازي: (١٢/ ٤٧١).
(٣) ملاك التأويل، أبو جعفر الغرناطي: (٢/ ٤٦٠).
(٤) المقصود قوله تعالى: ﴿**وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ**﴾ [النحل: ١٤].
(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور: (٢٢/ ٢٨٠).

إلى أنَّ عبادته ﷺ التي هي أعظم العبادات قد شارفت الانقضاء، ولا يكون ذلك إلا بالموت؛ فلذلك أمر بالاستغفار لأنه يكون في خاتمة المجالس والأعمال جبراً لما لعله وقع فيها على نوع من الوهن واعترافًا بذل العبودية والعجز»[1].

وهذا المعنى مستفاد مما استفاض عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ السورة نعي للنبي ﷺ[2].

١٤-**التدبر في قراءة النبي ﷺ للآيات في الصلوات والمناسبات**، ومن أمثلة ذلك قراءته ﷺ السجدة والإنسان في فجر الجمعة، والهدايات المستفادة من ذلك كثيرة، فهاتان السورتان تدوران حول بيان حقيقة الخلق، وأحوال الناس في الدنيا والآخرة، وتقرير البعث، والصبر، وكلُّها معانٍ تناسب فجر الجمعة؛ فقد قال ﷺ: «**خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة**»[3].

١٥- **النظر في دلائل الرسم**، فقد استنبط العلماء فوائد دقيقة لطريقة الرسم، ومثالها كلمة: «**سُنّة**»، قال المراكشي رحمه الله: (ومن ذلك: «السنّة»: مُدت في خمسة مواضع حيث تكون بمعنى الإهلاك والانتقام الذي ظهر في الوجود... فإذا كانت السُنة بمعنى الشريعة، والطريقة المتبعة، فهي ملكوتية، بمعنى: الاسم تقبض تاؤها)[4].

١٦-**ربط الآيات بالواقع**، وهو من مهمات العمل بالقرآن، وعلاجه للقضايا

(١) نظم الدرر في تناسب الآي والسور، البقاعي: (٢٢/ ٣١٩).

(٢) هذا الأثر مروي في الصحيح عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدنني ابن عباس، فقال له عبد الرحمن بن عوف: إنَّ لنا أبناء مثله، فقال: إنه من حيث تعلم، فسأل عمر ابن عباس عن هذه الآية: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾[النصر: ١]، فقال: أجلُ رسول الله ﷺ أعلمه إياه، قال: ما أعلم منها إلا ما تعلم». أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، رقم: (٣٦٢٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الجمعة، باب: فضل يوم الجمعة، (٢/ ٥٨٥)، رقم: (٨٥٤).

(٤) عنوان الدليل من مرسوم الخط والتنزيل: (ص: ١١٢).

المعاصرة، ومن أمثلة ربط المفسرين للهدايات بالواقع ما ذكره القرطبي: في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤)**﴾[البلد: ٤]، حيث يقول: «أول ما يكابد قطع سرته، ثم إذا قمط قماطًا وشد رباطًا يكابد الضيق والتعب، ثم يكابد الارتضاع، ولو فاته لضاع، ثم يكابد نبت أسنانه، وتحرك لسانه، ثم يكابد الفطام، الذي هو أشد من اللطام، ثم يكابد الختان، والأوجاع والأحزان، ثم يكابد المعلم وصولته، والمؤدب وسياسته، والأستاذ وهيبته، ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه، ثم يكابد شغل الأولاد...»[(١)].

١٧- **تأمل الآيات من خلال مكتشفات العلوم الكونية**[(٢)]، قال الزمخشري- في آية الآفاق والأنفس-: (إن هذا الموعود من إظهار آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم، سيرونه ويشاهدونه، فيتبينون عند ذلك، أن القرآن تنزيل عالم الغيب، الذي هو على كل شيء شهيد، أي: مطلع مهيمن، يستوي عنده غيبه وشهادته، فيكفيهم ذلك دليلاً على أنه حق، وأنه من عنده، ولو لم يكن كذلك؛ لما قوي هذه القوة، ولما نصر حاملوه هذه النصرة»[(٣)].



(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: (٢٠/ ٦٢).

(٢) في تفصيل ما سبق ينظر: المقدمة التأصيلية للهدايات القرآنية، إعداد الفريق العلمي لكرسي الملك عبدالله للقرآن الكريم: (٢/ ٥٠٤).

(٣) الكشاف: (٤/ ٢٠٧).

الفصل الأول:

ما قبل البعثة

وفيه ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول: ما قبل الميلاد الكريم.**
- **المبحث الثاني: الميلاد والنشأة اليتيمة.**
- **المبحث الثالث: أحوال مكة وبشارات النبوة.**



المبحث الأول: ما قبل الميلاد الكريم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الرسالة الخاتمة على ألسنة الرسل

- قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)﴾[البقرة: ١٢٩].

- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (٦)﴾[الصف: ٦].

- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٨١)﴾ [آل عمران: ٨١].

***

هذه الآيات الكريمات أول ما نقف عندها في ذكر هذه السيرة المباركة، وفيها أن الأنبياء ذكروا رسول الله ﷺ وبشّروا به، وأخذ الله تعالى العهد عليهم بالإيمان به؛ ليتحقق بذلك تعانق الرسالات، وتوافق الدعوات، وتتابع المبشرين والمنذرين، الذين يدعون الناس إلى رب العالمين، كلما تسلطت عليهم الشياطين، وحرفتهم عن النهج القويم، والصراط المستقيم.

فكان لا بد من الوقوف عندها قبل سرد الأحداث؛ فالسيرة ليست مجرد قصص تروق لها الأسماع، وتطرب لها الأفئدة، ولكنها قدوة وأسوة لنشر الهدى، وعظات وعبر لأولي النهى، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ

﴿يُؤْمِنُونَ﴾[يوسف: ١١١]، ففي هذه الآية بيان للحكمة من القصص القرآني، ومنها ما يقصه الله تعالى علينا من أخبار النبي ﷺ، وهو العبرة والتفصيل والهدى والرحمة، قال الطاهر بن عاشور: (والهدى الذي في القصص: العبر الباعثة على الإيمان والتقوى، بمشاهدة ما جاء من الأدلة في أثناء القصص على أن المتصرف هو الله تعالى، وعلى أن التقوى هي أساس الخير في الدنيا والآخرة)[١].

المعنى الإجمالي للآيات:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ﴾: قال السعدي: (أي: في ذريتنا، (رَسُولا مِنْهُمْ): ليكون أرفع لدرجتهما، ولينقادوا له، وليعرفوه حقيقة المعرفة.

﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ لفظًا، وحفظًا، وتحفيظًا.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ معنى.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ بالتربية على الأعمال الصالحة، والتبري من الأعمال الردية، التي لا تزكي النفوس معها.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ أي: القاهر لكل شيء، الذي لا يمتنع على قوته شيء.

﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي يضع الأشياء مواضعها، فبعزتك وحكمتك، ابعث فيهم هذا الرسول)[٢].

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: لعله لم يقل: يا قوم، كما قال موسى؛ لأنه لا نسب له فيهم.

﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ﴾: في حال تصديقي لما تقدمني من التوراة، وتبشيري برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد، يعني محمداً عليه الصلاة والسلام، والمعنى أن ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه، فذكر أول الكتب المشهورة الذي حكم به النبيون، وهو التوراة، وذكر النبي الذي هو خاتم المرسلين[٣].

(١) التحرير والتنوير: (١٣/ ٧٢).
(٢) تفسير السعدي، ص٦٦.
(٣) ينظر: تفسير البيضاوي: (٥/ ٢٠٩).

لكنهم لما جاءهم هذا الرسول بهذا الكتاب الكريم، المتضمن للبينات والهدى: قالوا: هو سحر ظاهر، فكفروا به، وجحدوا ما علموه من رسولهم.

- **الآية الثالثة:** قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ**﴾: أخذ الله تعالى ميثاق الأنبياء؛ لأجل الذي آتاهم من كتاب وحكمة: أن يؤمنوا بمحمد عليه السلام، وينصروه إن أدركوه، وأمرهم أن يأخذوا بذلك الميثاق على أممهم.

﴿**قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي**﴾: أي: قبلتم على ذلكم عهدي، والإصر: العهد الثقيل، ﴿**قَالُوا أَقْرَرْنَا**﴾، قال: ﴿**اشْهَدُوا**﴾: أي: فاشهدوا أنتم على أنفسكم، وعلى أتباعكم، ﴿**وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ**﴾، عليكم وعليهم[1].

هدايات الآيات:

وقد تجلت في دعاء إبراهيم - عليه السلام - عدة فوائد وهدايات، وعبر وعظات، ومنها:

- بركة إبراهيم عليه السلام، وفضله على هذه الأمة - بعد فضل الله تعالى عليهم، ثم فضل رسوله ﷺ -؛ فقد استجاب الله دعاءه بأعظم إجابة، فبعث في هذه الأمة هذا الرسول الكريم يتلو عليهم آياته، ويطهر - بإذن ربه - قلوبهم وجوارحهم، وينور عقولهم وبصائرهم.

- وقد ورد في السنة ما يدل على حرصه عليه السلام على الخير لهذه الأمة، ففي قصة الإسراء يقول ﷺ: ﴿**لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للَّهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ**﴾[2].

(١) ينظر: تفسير البغوي: (١/ ٤٦٥).

(٢) رواه الترمذي: (٣٤٦٢)، والطبراني: (١٠/ ١٧٣). وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ابن مسعود، وحسنه ابن حجر في هداية الرواة: (٢/ ٤٣٩) - كما أشار لذلك في مقدمته -. وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي: حسن.

- فضل النبي ﷺ وشرفه؛ حيث ذكره إبراهيم عليه السلام، وغيره من الأنبياء، وبشروا به، كما في الآية الثانية: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾، وقد بين ذلك رسول الله ﷺ كما في حديث طويل سيأتي في صحيح الروايات.

- وفي قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾: بيان لما قام به أهل الكتاب من التكذيب بعد تبشيرهم، والجحود بعد علمهم، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وسيأتي في ثنايا هذه السيرة المباركة بيان لتفصيل هذه المواقف.

- وكذلك البشارة في الآية الثالثة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: (ثم ذكر ما أخذ عليهم -يعني أهل الكتاب-، وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه، -يعني بتصديق محمد ﷺ إذا جاءهم، وإقرارهم به على أنفسهم)[1].

وعن قتادة في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ الآية: قال: (هذا ميثاق أخذه الله على النبيين أن يصدق بعضهم بعضًا، وأن يبلغوا كتاب الله ورسالاته، فبلغت الأنبياء كتاب الله ورسالاته إلى قومهم، وأخذ عليهم

- فيما بلغهم رسلهم- أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويصدقوه وينصروه)[2].

- فضل هذه الأمة التي اختصها إبراهيم بهذا الدعاء، فجعلها الله تعالى خير أمة، وجعل رسولها خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وفي ذلك يقول الرازي: (وهذا الدعاء يفيد كمال حال ذريته من وجهين:

أحدهما: أن يكون فيهم رسول يكمل لهم الدين والشرع، ويدعوهم إلى ما يثبتون به على الإسلام.

---

(١) تفسير الطبري: (٦/ ٥٥٥)، وابن أبي حاتم، بسنديهما الحسن عن ابن إسحاق، وينظر: صحيح التفسير لحكمت بشير: (١/ ٤٣٠).

(٢) ينظر التخريج السابق.

والثاني: أن يكون ذلك المبعوث منهم، لا من غيرهم، لوجوه:

- **أحدها**: ليكون محلهم ورتبتهم في العز والدين أعظم؛ لأن الرسول والمرسل إليه إذا كانا معًا من ذريته، كان أشرف لطلبته إذا أجيب إليها.

- **وثانيها**: أنه إذا كان منهم: فإنهم يعرفون مولده ومنشأه، فيقرب الأمر عليهم في معرفة صدقه وأمانته.

- **وثالثها**: أنه إذا كان منهم: كان أحرص الناس على خيرهم، وأشفق عليهم من الأجنبي لو أرسل إليهم)[1].

- فضل مكة التي دعا إبراهيم لها، ولأهلها في هذه الآية، وفي آيات عدة، فقال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ [البقرة: ١٢٦]، فاستجاب الله هذه الأدعية المباركة، فقال تعالى: ﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً**﴾[البقرة: ١٢٥]، وقال: ﴿**أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾[القصص: ٥٧]، وجعل في ذريته النبوة والكتاب.

ومن شرفها وشرف أهلها: أنه سبحانه لم يبعث لهم نبيًا مختصًا بهم إلا محمداً ﷺ، كما قال تعالى: ﴿**لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ**﴾ [السجدة: ٣]، ﴿**لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ**﴾[يس: ٦]، مع أنهم كانوا متعبدين بنبوة إبراهيم حتى جاء عمرو بن لحي الخزاعي فحرفهم عن ملتهم، وأضلهم عن فطرتهم.

وهذا يفسر لنا معنى قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ**﴾[فاطر: ٢٤]، أي جميع الأمم جاءتها النذارة، وبلغتها الرسالة، إما خاصة لهم، أو عامة لهم ولغيرهم، كما في أهل مكة، أو المعنى «أرسلناه إليهم بشيراً ونذيراً إما بنفسه، وإما بما أبقى في

(١) التفسير الكبير: (٤/ ٥٨).

أعقابهم من شرائعه، من أقواله وأفعاله ورسومه، مع ما لهم من العقول الشاهدة بذلك»[1].

وذهب كثير من المفسرين إلى استثناء العرب من عموم هذه الآية[2]، والله أعلم.

- وفي دعائه عليه السلام ببعث هذا الرسول؛ ليتلو عليهم آياته، ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويزكيهم: بيان لمعالم هذه الرسالة: فهي تلاوة الوحي؛ لتنشرح صدورهم، وتعليم لمقتضى الكتاب والشرع لتفقه عقولهم، وتزكية تطهر به قلوبهم وجوارحهم.

- ومن الهدايات الدقيقة في هذه الآية أنه قدم التعليم على التزكية، بينما ذكرت هذه الثلاثة في ثلاثة مواضع بتقديم التزكية على التعليم، في قوله تعالى: ﴿**كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ**﴾[البقرة: ١٥١]، وقوله: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقوله: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾[الجمعة: ٢].

ووجه ذلك أن الآية الأولى: كان ظاهر دعوة إبراهيم عليه السلام أن البعث في الأمة المسلمة؛ فلذلك كانوا إلى تعليم ما ذكر أحوج منهم إلى التزكي؛ فإن أصلها موجود بإسلامهم فأخر قوله: ﴿**وَيُزَكِّيهِمْ**﴾، أي: يطهر قلوبهم، بما أوتي من دقائق الحكمة، فترتقي بصفائها، ولطفها.

ولما ذكر سبحانه في سورة الجمعة بعثه في الأميين عامة، اقتضى المقام تقديم التزكية، التي رأسها البراءة من الشرك الأكبر؛ ليقبلوا ما جاءهم من العلم، ومثله آية البقرة الثانية.

---

(١) نظم الدرر: (١٦/ ٤١).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي: (١٤/ ٣٤٠)، فتح القدير للشوكاني: (٤/ ٢٨٥).

وأما تقديمها في آل عمران؛ فلاقتضاء الحال بالمعاتبة على الإقبال على الغنائم، الذي كان سبب الهزيمة؛ لكونها إقبالاً على الدنيا، التي هي أم الأدناس[1].

وهناك هداية أخرى، وهي: أن آية التقديم للتعليم كانت في دعوة إبراهيم عليه السلام، بينما آيات تقديم التزكية كانت في مقام منة الله تعالى على خلقه، ولعل السر في ذلك أن التزكية هبة من الله تعالى مختصة به، فقدمها في هذه الآيات، بينما التعليم يقوم به العبد.

وثم وجه آخر، وهو أن إبراهيم عليه السلام قدم التعليم؛ لأنه سبب التزكية، بينما قدم الله تعالى التزكية؛ بيانا لأهميتها؛ لأنها الغاية المقصودة من التعليم، والله أعلم.

- وينبغي هنا الإشارة إلى سر اختيار هذا المكان، وهؤلاء العرب للرسالة الخاتمة، وفي ذلك معان كثيرة، وأسباب حكيمة، منها:

١- أن الله عزّ وجلّ قد جعل البيت الحرام مثابة للناس وأمنًا، وجعله أول بيت وضع للناس للعبادة، وحقق فيه دعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ومن متممات ذلك أن تكون هذه البقعة المباركة نفسها مهدا للإسلام الذي هو ملة إبراهيم، وأن تكون بعثة خاتم الأنبياء، ومولده فيها ومن نسله.

٢- أن الجزيرة العربية كانت بعيدة عن مظاهر الاضطرابات الحضارية، فلم يكن لدى أهلها من الترف والمدنية الفارسية ما يجعلهم يتفننون في خلق وسائل الانحلال، وفلسفة مظاهر الإباحية، والانحطاط الخلقي، ووضعها في قوالب من الدين، ولم يكن لديهم من الطغيان العسكري الروماني ما يبسطون به أيديهم بالتسلط على أي رقعة من حولهم.

ولم يؤتوا من ترف الفلسفة والجدل اليوناني ما يصبحون به فريسة للأساطير والخرافات.

كانت طبائعهم أشبه ما تكون بالمادة (الخام)، التي لم تنصهر بعد في أي بوتقة محوّلة، فكانت تتراءى فيها الفطرة الإنسانية السليمة، والنزعة القوية إلى الاتجاهات الحميدة، كالوفاء والنجدة والشجاعة والكرم والإباء والعفة.

(١) نظم الدرر: (٢/ ١٦٢)، بتصرف.

إلا أنه كانت تعوزهم المعرفة التي تكشف لهم الطريق إلى كل ذلك؛ إذ كانوا يعيشون في ظلمة من الجهالة البسيطة، والحالة الفطرية الأولى، فكان يغلب عليهم- بسبب ذلك- أن يضلوا الطريق إلى تلك القيم الإنسانية: فيقتلوا الأولاد بدافع الشرف والعفة، ويتلفوا الأموال الضرورية بدافع الكرم، ويثيروا فيما بينهم المعارك بدافع الإباء والنجدة.

وهذه الحالة هي التي عبر الله عزّ وجلّ عنها بالضلال حينما وصفهم بقوله: ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ**﴾ [البقرة: ١٩٨]، وهي صفة- إذا ما نسبت إلى حال الأمم الأخرى إذ ذاك- تدل على الاعتذار لهم، أكثر من أن تدل على تسفيههم أو تعييرهم بها.

ذلك أن الأمم الأخرى كانت تستهدي لانحرافاتها العظيمة بمشاعل الحضارة والثقافة والمدنية.

فكانت تتقلب في حمأة الفساد عن تبصر وتخطيط وفكر.

٣- أنها تقف في الوسط التام بين حضارتين جانحتين:

- **إحداهما**: حضارة الغرب المادية، التي قدمت عن الإنسان صورة بتراء، لا تقع حتى على جانب جزئي من الحقيقة.
- **وأخراهما**: الحضارة الروحية الخيالية في أقصى الشرق، كتلك التي كانت تعيش في الهند والصين وما حولهما.

كما اقتضت حكمة الله تعالى أن تكون اللغة العربية هي لغة الدعوة الخالدة، وأن تكون هي الأداة المباشرة الأولى لتبليغ كلام الله عزّ وجلّ للعالمين.

ولو أمعنا في خصائص اللغات وقارّنا بينها، لوجدنا أن اللغة العربية تمتاز بكثير من الخصائص التي يعزّ وجودها في اللغات الأخرى، فأجدر بها أن تكون لغة المسلمين الأولى، في مختلف ربوعهم، وبلادهم إلى قيام الساعة [١].

(١) ينظر: فقه السيرة للبوطي، ص ٣١-٣٣.

قال الآلوسي: «فالعرب أمراء الكلام، ومعادن العلوم والأحكام، وهم ليوث الحرب، وغيوث الكرب، والرفد في الجدب، وهم أهل الشيمة والحياء، والكرم والوفاء، والمروءة والسخاء، أحكمتهم التجارب، وأدبتهم الحكمة فقضوا منها المآرب»[1].

وكل هذه الخصال هي سر قوله ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[2]، أي أن أصلها وجوهرها كان موجوداً في فطرهم؛ لكنهم احتاجوا إلى تكميلها، ونفض الغبار عنها، وشواهد ذلك في التاريخ والسيرة مشهورة.

صحيح الروايات:

عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «**إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين، وإنَّ آدم لمنجدل[3] في طينته، وسأنبئكم بتأويل ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى قومه، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، وكذلك ترى أمهات النبيين صلوات الله عليهم**»[4].

قال ابن كثير: (وتخصيص الشام بظهور نوره: إشارة إلى استقرار دينه، وثبوته ببلاد الشام؛ ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلاً للإسلام وأهله، وبها ينزل عيسى ابن مريم بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها؛ ولهذا جاء في الصحيحين: «**لا تزال**

(١) بلوغ الأرب في أحوال العرب، ص ٦.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد: (٢٧٣)، وابن سعد (١)، والحاكم (٢)، وأحمد (٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (٤٥).

(٣) أي ملقى على الجدالة وهي الأرض، ينظر: لوامع الأنوار البهية: (٢/ ٣٣٥).

(٤) أخرجه أحمد: (٤/ ١٢٧، ١٢٨)، والطبراني في الكبير: (١٨/ ٢٥٢)، والبيهقي في الدلائل: (١/ ٨٠)، والبزار كما في كشف الأستار: (٣/ ١١٢ - ١١٣)، رقم: (٢٣٦٥)، من طريق سعيد بن سويد، عن عبد الأعلى بن هلال، عن العرباض به.
وأخرجه الحاكم: (٢/ ٦٠٠)، من طريق سعيد بن سويد، وعنده رجل ضعيف هو ابن أبي مريم. وقال الهيثمي في المجمع: (٨/ ٢٢٣)، رواه أحمد، والطبراني نحوه، والبزار وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد، ووثقه ابن حبان.
وللحديث شواهد، تنظر في الحديث الذي قبله، ومن حديث ميسرة: أخرجه أحمد: (٥/ ٥٩)، والحاكم: (٢/ ٦٠٨- ٦٠٩)، والبيهقي في الدلائل: (١/ ٨٤ - ٨٥).

طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»، وفي صحيح البخاري: «**وهم بالشام**»)[1].

وعن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، فقلت: «أخبرني عن صفة رسول الله - ﷺ - في التوراة، فقال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن: «يا أيها النبيّ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً»[2].



(١) تفسير ابن كثير: (١/ ١٨٤)، والحديث رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، رقم: (٧٣١١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب البيع في الأسواق: (٢١٢٥)، وفي التفسير حديث: (٤٨٣٨)، وأخرجه أيضاً في كتاب الأدب المفرد حديث: (٢٤٦، ٢٤٧)، والبيهقي في دلائل النبوة: (١/ ٣٧٤ - ٣٧٥)، عن عطاء بن يسار.

حرزاً للأميين: حافظاً لهم، والسخاب: رفع الصوت بالخصام.

حتى يقيم به الملة العوجاء: ملة إبراهيم التي غيرتها العرب عن استقامتها.

المطلب الثاني: التمهيد لميلاد السراج المنير

- قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (٥)**﴾[الفيل].
- قوله تعالى: ﴿**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤)**﴾[قريش].

***

في هاتين السورتين العظيمتين الإشارة إلى التمهيد للحدث الكبير، وتهيئة القلوب لاستقبال رسالة البشير النذير، السراج المنير، ﷺ، فكانت هذه الحادثة الخارقة إرهاصًا لما هو أعظم منها.

فقد ثبت أن النبي ﷺ ولد في عام الفيل، قال قيس بن مخرمة: «ولدت أنا ورسول الله عام الفيل، فنحن لدان، ولدنا مولدًا واحدًا»[(١)].

وتفرد ابن عباس رضي الله عنهما بقوله: إنه ولد في يوم الفيل[(٢)].

المعنى الإجمالي للآيات:

أولاً: سورة الفيل: تحكي هذه السورة تلك الحادثة العجيبة، التي سارت بها الركبان.

(١) رواه أحمد: (١٧٨٩١)، والترمذي في المناقب، باب ما جاء في ميلاد النبي ﷺ: (٣٦١٩)، وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمَّد بن إسحاق، وقد صرح بالتحديث، فانتفت الشبهة في التدليس، وصححه الحاكم على شرط مسلم: (٢/ ٦٠٣)، وحسنه الألباني في صحيح السيرة النبوية ص١٣.

(٢) رواه ابن سعد: (١/ ١٠١)، بإسناد جيد، كما في صحيح السيرة للصوياني: (١/ ٢٣)، والرواية الثانية عنه: أنه في عام الفيل، كما عند البيهقي في دلائل النبوة: (١/ ١٠)، والحاكم: (٢/ ٦٠٣)، وقال: (صحيح على شرط الشيخين)، وربما قصد باليوم ما هو أعم من لفظه، أي أيام الفيل، والله أعلم.

فتبدأ بالاستفهام التقريري الذي يفيد التعظيم: أما رأيت من قدرة الله، وصدق رسوله، ما فعله الله تعالى بأصحاب الفيل، الذين كادوا بيته الحرام، وأرادوا إخرابه، فتجهزوا لأجل ذلك، واستصحبوا معهم الفيلة لهدمه، وجاءوا بجمع لا قبل للعرب به، من الحبشة واليمن.

فلما انتهوا إلى قرب مكة، ولم يكن بالعرب مدافعة، وخرج أهل مكة من مكة خوفًا على أنفسهم منهم، أرسل الله عليهم طيرًا أبابيل، أي: جماعات متفرقة، تحمل حجارة محماة من سجيل أي طين، فرمتهم بها، وتتبعت قاصيهم ودانيهم، فخمدوا وهمدوا، وصاروا كعصف مأكول، وهو التبن الذي تأكله الدواب ثم يخرج منها.

ثانيًا: سورة قريش: والأشهر أنها متصلة بما سبق، أي: وما فعلنا بأصحاب الفيل؛ لأجل قريش وأمنهم، واستقامة مصالحهم، وانتظام رحلتهم في الشتاء لليمن، والصيف للشام، لأجل التجارة والمكاسب؛ ليوحدوه ويخلصوا له العبادة، فرغد الرزق والأمن من المخاوف، من أكبر النعم الدنيوية، الموجبة لشكر الله تعالى[1].

هدايات الآيات:

أما فوائد الآيات، وما تتضمنه من عظات وهدايات فهي كثيرة، منها ما يلي:

أولا: سورة الفيل:

- بدأها الله تعالى بالاستفهام: ﴿**أَلَمْ تَرَ**﴾، وهو يحمل معنى التقرير والتهويل[2]، والنبي ﷺ لم ير هذا الحدث، لكنه لتواتره، وشهود قومه له، وعظمته: أنزله الله تعالى منزلة المرئي، فلم يقل: ألم تعلم.
- وقال: ﴿**كَيْفَ فَعَلَ**﴾، ولم يقل: ما فعل، وفي ذلك هداية دقيقة، وقد بينها البيضاوي بقوله: (وإنما قال: كَيْفَ؟ ولم يقل: ما؛ لأن المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله تعالى، وقدرته، وعزة بيته، وشرف رسوله عليه الصلاة والسلام؛ فإنها من الإرهاصات؛ إذ روي أنها وقعت في السنة التي ولد فيها رسول الله ﷺ)[3]، فهي حادثَة عجيبة في كيفياتها وأحوالها.

(١) تفسير السعدي، ص ٩٣٤-٩٣٥، بتصرف.
(٢) روح المعاني للألوسي: (١٥/ ٤٦٤).
(٣) تفسير البيضاوي: (٥/ ٣٣٩).

- وقال: ﴿رَبُّكَ﴾: وفيه إشارة إلى الرعاية والحفظ والتربية، والتي هي من معالم ربوبية الله تعالى، ولم يذكر لفظ الجلالة: (الله)؛ لكون المقام مقام تدبير[1].

وكذلك لأن الربوبية محل اتفاق-في الجملة- بين من شهد هذه الواقعة، وأما الألوهية فهي المطلوب الذي ستحققه الرسالة، وستدعو إليه، وتقاتل عليه.

- وقال: ﴿بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾: وفيه تحقير لشأنهم حيث صحبوا هذا الفيل، لكنه لم يصحبهم بل تخلى عنهم، وتنكرهم أحوج ما يكونون إليه، بتقدير الله تعالى، وقد تذكر النبي ﷺ هذا الحدث في صلح الحديبية، لما بركت ناقته، فقال الصحابة: خلأت[2] القصواء، فقال ﷺ: «**ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل**»[3].

- وقال: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾: استفهام تقريري أيضًا، فيه بيان لما أجمل، أي أنه جعل مكرهم وسعيهم لخراب البيت في ضلال وخسارة وبطلان، فتركهم يخططون ويتآمرون ويقتربون من البيت، ثم أضل سعيهم، وعاجلهم بعقوبتهم بغتة: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[الأنفال: ٣٠].

وهنا يورد الرازي فائدة فيقول: (اعلم أن الكيد هو إرادة مضرة بالغير على الخفية.

إن قيل: فلم سماه كيدًا وأمره كان ظاهرًا، فإنه كان يصرح أنه يهدم البيت؟

قلنا: نعم، لكن الذي كان في قلبه شر مما أظهر؛ لأنه كان يضمر الحسد للعرب، وكان يريد صرف الشرف الحاصل لهم بسبب الكعبة منهم ومن بلدهم، إلى نفسه وإلى بلدته)[4].

- وقال: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾: في نوع هذه العقوبة إشارة دقيقة إلى الحكم البليغة في طريقة إهلاك الظالمين، فهم قد استخدموا أعظم الحيوانات وأكبرها،

(١) ينظر: نظم الدرر للبقاعي: (٢٢/ ٢٥١).

(٢) أي: حرنت وأبت المسير، ينظر: لسان العرب: (١/ ٦٨).

(٣) رواه البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم: (٢٧٣١، ٢٧٣٢)، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم.

(٤) التفسير الكبير: (٣٢/ ٢٩١).

فسلط الله عليهم حيوانًا من أصغر الحيوانات وأضعفها؛ حتى لا تتعلق القلوب بالأسباب الظاهرة، وتغفل عن مسبب الأسباب سبحانه، كما أهلك عادًا بالريح لتكبرهم بقوتهم، وقوم فرعون بالغرق لعلوهم في الأرض بغير الحق، وقوم لوط بالقلب لقلبهم فطرتهم، وهكذا تأتي المثلات مناسبة للطغاة: ﴿**وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ**﴾[الرعد: ٦].

- وقال: ﴿**تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ**﴾: والتعبير بالرمي يدل على معرفة الهدف، فهي مسخرة من الله تعالى؛ لتصيبهم في مقاتلهم، وهذه الحجارة مع صغرها، ورميها من الطير لا تقتل غالبًا، لكن الله تعالى جعلها آية أخرى على قدرته؛ حيث أهلكتهم، فجعلتهم على هذه الحالة المهينة.

- وقال: ﴿**فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ**﴾: قال الطبري: «شبَّه تقطُّع أوصالهم بالعقوبة التي نزلت بهم، وتفرّق آراب أبدانهم بها، بتفرّق أجزاء الروث، الذي حدث عن أكل الزرع»[1]، وهذه أقذر صورة يكونون عليها؛ جزاءً وفاقًا؛ لتكبرهم على ربهم، وانتهاكهم لحرمته.

- قال البقاعي: «وهذا الإهلاك في إعجابه: هو من معاني الاستفهام التقريري في أولها، فقد تعانق طرفاها، والتف أخراها بأولاها - والله أعلم بمراده»[2].

فنجد أن كل آية هي جواب عن سؤال متبادر، بعد السؤال الأول؛ فحينما قال: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ**﴾.

كان السؤال: كيف فعل؟ فجاء الجواب: ﴿**أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ**﴾.

فكان السؤال: كيف جعل كيدهم؟ فجاء الجواب: ﴿**وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ**﴾.

فجاء السؤال: ماذا فعلت الطير؟ فجاء الجواب: ﴿**تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ**﴾.

---

(١) تفسير الطبري: (٢٤/ ٦١٥).

(٢) نظم الدرر: (٢٢/ ٢٥٨).

فكان السؤال: فماذا حصل لهم؟ فجاء الجواب: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾.

فتأمل في هذا التناسق الدقيق.

- وفي تخصيص النبي ﷺ بالخطاب: مزيد تشريف له، وتبشير بنصرته، وتهوين من كيد أعدائه، فما دام يدعو إلى رب هذا البيت: فإنه ناصره مهما قوي أعداؤه أو كثروا، ومهما تآمروا ودبروا، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

- وفيها عظمة حرمة الكعبة؛ فإن الله تعالى لم يهلك العرب حول البيت مع شركهم؛ لتعظيمهم للبيت، وإكرامهم لزواره، وأهلك أصحاب الفيل مع كونهم كتابيين- أقرب للمسلمين- ؛ لانتهاكهم لحرمته، وإخافتهم لأهله.

ثانيًا: سورة قريش:

وقد ذكر الله تعالى سورة الفيل، وأعقبها بسورة قريش؛ وفي ذلك من وجوه المناسبة للحدث، والغاية منه ما يحتاج إلى وقفات:

- ففيها الدلالة على ضد ما دلت عليه سورة الفيل بأن إهلاك الجاحدين المعاندين لإصلاح المقربين العابدين، وهي بشارة عظيمة لقبيلة قريش خاصة بإظهار شرفهم في الدارين، واسمها «قريش» ظاهر الدلالة على ذلك، والتعبير بقريش دون قومك أو الحمس مثلا ونحوه دال على أنهم يغلبون الناس أجمع بقوة كما يدل عليه الاسم[1]، وبغير قوة كما دل عليه ما فعل لأجلهم من قصة الفيل[2].

- وقد قال كثير من المفسرين: إن الجار والمجرور متعلق بالسورة التي قبلها أي: فعلنا ما فعلنا بأصحاب الفيل؛ لأجل قريش وأمنهم، وتهيب الناس لهم، واستقامة

(١) فقد قيل في معنى قريش: دابة في البحر لا تدع دابة إلا أكلتها فجميع الدواب تخافها، وقيل: سميت بذلك لتقرشها أي تجمعها إلى مكة من حواليها بعد تفرقها في البلاد، وقيل: سميت بذلك لتجرها وتكسبها، وضربها في البلاد تبتغي الرزق، ينظر: لسان العرب: (٦/ ٣٣٦).

(٢) نظم الدرر للبقاعي: (٢٢/ ٢٥٩).

مصالحهم، وانتظام رحلتهم في الشتاء لليمن، والصيف للشام، لأجل التجارة والمكاسب، ولا يتعرض إليهم أحد[1].

وقيل: إنه ذكَّر أهل مكة عظيم النعمة عليهم فيما صنع بالحبشة، ثم قال: (**لإِيلافِ قُرَيْشٍ**) أيضًا، كأنه قَالَ: ذَلكَ إلى نعمته عليهم فِي رحلة الشتاء والصيف، فتكون اللام بمعنى إلى، أي نعمة إلىَ نعمة[2].

واختار ابن جرير أن اللام للتعجب، وليست صلة لما قبلها، فقال: (والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن هذه اللام بمعنى التعجب. وأن معنى الكلام: اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، وتركهم عبادة ربّ هذا البيت، الذي أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف)[3].

وقيل: إنّ معناها متّصل بما بعدها، والمعنى: فليعبد هؤلاء ربّ هذا البيت؛ لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف؛ لأنهم كانوا في الرّحلتين آمنين، وإذا عرض لهم عارض قالوا: نحن أهل حرم الله، فلا يتعرّض لهم[4].

وجميع هذه المعاني محتملة وقريبة، ولا تعارض بينها، فلا مانع من حملها على جميعها، والله أعلم بحقيقة مراده من كلامه، وهو أحد وجوه إعجازِ كتابه، وتنوعِ أساليب هداياته.

- ومن أعظم مقاصد هذه السورة: بيان فضل قريش، وما سيؤول إليه أمرهم من التمكين بهذا الدين، فهي تهيئة لهم ليقبلوا الرسالة الخاتمة، ويعبدوا ربهم الذي أطعمهم وأمنهم ورفعهم، وقد ثبت في جوامع فضلهم عن أم هانئ بنت أبي طالب -رضي الله عنها-: أن رسول الله - ﷺ - قال: « **فضل الله قريشًا بسبع خلال: أني منهم، وأن النبوة فيهم، والحجابة والسقاية فيهم، وأن الله نصرهم على الفيل، وأنهم**

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري: (٤/ ٨٠١)، تفسير السعدي، ص ٩٣٥.
(٢) معاني القرآن للفراء: (٣/ ٢٩٣).
(٣) تفسير الطبري: (٢٤/ ٦٢١).
(٤) زاد المسير لابن الجوزي: (٤/ ٤٩٣).

عبدوا الله -عز وجل- عشر سنين لا يعبده غيرهم، وأن الله -عز وجل- أنزل فيهم سورة من القرآن»، ثم تلا رسول الله - ﷺ - : السورة»[1].

- ومن هدايات السورتين معًا قول الرازي: (اعلم أن الإنعام على قسمين: أحدهما: دفع الضرر، والثاني: جلب النفع، والأول أهم وأقدم؛ ولذلك قالوا: دفع الضرر عن النفس واجب، أما جلب النفع، فإنه غير واجب، فلهذا السبب بيّن اللَّه تعالى نعمة دفع الضرر في سورة الفيل، ونعمة جلب النفع في هذه السورة، ونظرًا لهاتين النعمتين العظيمتين أمرهم ربهم بعبادته والعبودية له وأداء الشكر على ذلك: ﴿**لْيَعْبُدُوا رَبَّ هذَا الْبَيْتِ**﴾)[2].

أقول: وكلا النعمتين من جلب النفع، ودفع الضر: قد ذكرتا في آخر سورة قريش، في قوله تعالى: ﴿**الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ**﴾، فهي تتضمن جلب منفعة الإطعام، ودفع مفسدة الجوع، وجلب منفعة الأمن، ودفع مفسدة الخوف، فهي خلاصة ما في السورتين، والله أعلم.

وفي السورتين هدايات أخرى كثيرة، وإنما ذكرت ما له تعلق مباشر بموضوع سيرته ﷺ.

صحيح الروايات:

وأما تفاصيل حادثة الفيل: فعن قتادة رحمه الله قال: (أقبل أبرهة الأشرم من الحبشة يومًا، ومن معه من عداد أهل اليمن إلى بيت الله؛ ليهدمه من أجل بيعة لهم أصابها العرب بأرض اليمن، فأقبلوا بفيلهم حتى إذا كانوا بالصفّاح[3] برك، فكانوا إذا

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير: (١/ ٣٢١)، والآجري في الشريعة: (٣/ ٣٩٢)، رقم: (١٨٢٦)، وابن عدي في الكامل: (١/ ٢٦٠، ٢٦١)، والطبراني في المعجم الكبير: (٢٤/ ٣٢٤)، رقم: (٩٩٤) -ومن طريقه الحافظ العراقي في محجة القرب إلى محبة العرب، ص: ٢٣٢، ٢٣٣، رقم: (١٣٠) -، والحاكم: (٢/ ٥٣٦)، (٤/ ٥٤)، وحسنه الألباني بطرقه كما في السلسلة الصحيحة، رقم: (١٩٤٤).

(٢) التفسير الكبير: (٣٢/ ١٠٧).

(٣) والصفاح: بكسر الصاد وتخفيف الفاء موضع بين حنين وأنصاب الحرم يسرة الداخل إلى مكة، من جهة طريق اليمن. ينظر: معجم معالم الحجاز: (٥/ ١٤٤-١٤٦).

وجّـهـوه إلى بيت الله ألقى بجـرانه على الأرض، وإذا وجـهـوه إلى بلدهم انطلق وله هرولة، حـتى إذا كـانت بنخلة اليـمـانيـة بعث الله عليـهم طيـراً بيضًـا أبابيل -الأبابيل: الكثيرة-، مع كل طير ثلاثة أحجار: حجران في رجليه، وحجر في منقاره، فجعلت ترميـهم بـها حتى جعلهم الله عز وجل كعصف مأكول، قال: فنجا أبو يكسوم وهو أبرهة، فجعل كلما قدم أرضًا تساقط بعض لحمه، حتى أتى قومه. فأخبرهم الخبر ثم هلك)[1].

(١) رواه ابن جرير: (٢٤/ ٦١٥)، وله شاهد ذكره الحافظ ابن حجر عن ابن مردويه بسند حسن، عن عكرمة عن ابن عباس نحوه مختصراً. ينظر فتح الباري: (١٢/ ٢٠٧).

المبحث الثاني: الميلاد والنشأة اليتيمة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المولد والنشأة

- قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)**﴾ [الضحى: ٦-١١].

***

هذه الآيات العظيمة تلخص لنا نشأة النبي ﷺ الحسية والمعنوية، الدينية والدنيوية، فقد ولد يتيمًا، فمات أبوه وهو جنين، وماتت أمّه وهو ابن ست سنين، على المشهور[1]، بودّان في طريق المدينة كما سيأتي، ثم كفله جده عبدالمطلب، ثم كفله عمه أبو طالب، وعطّفه الله عليه، فأحسن تربيته ورعايته.

واستمر اليتم يلاحقه ﷺ، ويلاحق طفولته في طرقات مكة ودروبها، يذيقه المرارة، يفجعه بأهله وأحبابه.

ومن أسرار هذا اليتم ما فيه من صقل النفس، وترويضها على المشاق، ودربتها على تحمل المهام؛ فهذه المعاني تتوفر لليتيم ما لا تتوفر في غيره، وحتى يتولى الله تعالى تربيته كما قال تعالى عن موسى: ﴿**وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي**﴾[طه: ٣٩]، وكذلك لقطع حجج المتهوكين؛ حتى لا يزعموا أن ما جاء به من إملاء آبائه.

وقيل: للتفرغ لحقوق الله تعالى؛ وعدم التعلق بحق مطلق لأحد من الخلق؛ فإن أعظم المخلوقات حقًا على العبد هم الوالدان، فحقهم بعد حق الله تعالى.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: (١/ ١٥٥).

ويكبر محمَّد -ﷺ-، وتكبر غربته، ويكتشف في دروب الحياة يتمًا أكبر من يتمه، وهمًا أثقل من همِّه، فالأرض كلها يتم، والبشرية تئن همًا وحزنًا يعصر قلبها.

الجزيرة العربية كانت غابةً من الأصنام، وأوديةً تسيل دماء بريئة، تسيل عادات بالية وتقاليد محيرة، ماذا يفعل أمامها؟! وماذا بيديه حيالها؟! ماذا يفعل سوى الغربة مهربًا وملاذًا؟! يناجي بها ربه ويعج إليه بالتوحيد والدعاء، وهو معنى: ﴿**وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى**﴾، وهو بمعنى قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيْمَانُ**﴾[الشورى: ٥٢]، فلم يكن على ملة قومه يومًا؛ لقوله تعالى: ﴿**مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى**﴾[النجم: ٢].

وفي غربته الشعورية تلك تهبط عليه الرسالة، فيحمل الأمانة العظيمة، وينحدر بها نحو مكة[١]، لقد نشأ في جاهلية مضطربة التصورات والعقائد، منحرفة السلوك والأوضاع، فلم تطمئن روحه إليها، ولكنه لم يكن يجد له طريقًا واضحًا مطمئنًا، لا فيما عند الجاهلية، ولا فيما عند أتباع موسى وعيسى الذين حرفوا وبدلوا وانحرفوا وتاهوا، كما قال ﷺ: «**إنَّ الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلاّ بقايا من أهل الكتاب**»[٢].

- فولد ﷺ يتيمًا، فلم يصبه شيء من نقص اليتم؛ لأن الله تعالى آواه برعايته وحفظه.

وكان ضالاً: أي عن طريق الوحي والإصلاح، فأيده الله تعالى بالرسالة.

وكان عائلاً فقيراً: فأغناه الله تعالى من التجارة في مكة، ثم الغنائم في المدينة.

فآواه، وهداه، وأغناه، وهي أعظم مطالب دينه ودنياه.

فتأمل في هذا النسق القرآني، والإعجاز البلاغي.

---

(١) ينظر: السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة لمحمد الصوياني: (١/ ٧).

(٢) رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، برقم: (٦٣)، عن عياض المجاشعي رضي الله عنه.

المعنى الإجمالي للآيات:

تبدأ الآيات باستفهام تقريري؛ لتذكير النبي ﷺ بما نشأ عليه من يتم فتولى الله رعايته، وعدم اهتداء لوحي فهداه الله بالرسالة، وفقر فأغناه الله من فضله، وأمره بأن يعامل الخلق بمقتضى هذا الإنعام الرباني، وهو خطاب له ولأمته من بعده.

قال الزمخشري: «المعنى: أنك كنت يتيمًا، وضالاً، وعائلاً، فآواك الله، وهداك، وأغناك، فمهما يكن من شيء وعلى ما خيلت فلا تنس نعمة الله عليك في هذه الثلاث.

واقتد بالله، فتعطف على اليتيم وآوه، فقد ذقت اليتم وهوانه، ورأيت كيف فعل الله بك، وترحم على السائل، وتفقده بمعروفك، ولا تزجره عن بابك، كما رحمك ربك فأغناك بعد الفقر، وحدّث بنعمة الله كلها»[1].

هدايات الآيات:

- منها: أنها ذكرت هذا الإنعام من الله تعالى مرتبًا بحسب حاجة الناس في حياتهم، فإذا ولد الطفل افتقر إلى من يؤويه، وإذا بلغ الحلم اضطر إلى الهداية التي تزكيه، وإذا كبر واشتد احتاج إلى المال الذي يسير به شؤونه.
- ومن هداياتها: أن اليتم يترتب عليه في الغالب عدم العلم، وعدم الرعاية، والفقر[2].

فبين الله تعالى أنه ﷺ مع يتمه، فقد علمه الله تعالى وهداه، ورزقه من فضله وأغناه.

- وهنا هداية دقيقة، وهي أن الله تعالى في الأفعال الثلاثة لم يذكر كاف المخاطب، فلم يقل: فآواك، فهداك، فأغناك: فالمشهور في توجيه ذلك: أنه لتناسب الفواصل.

لكنّ الأدق منه أن يقال بأنه للدلالة على الإطلاق وعموم فضله على خلقه[3]، فهو سبحانه آوى رسوله وآوى به غيره وبهديه وبشريعته، وهداه وهدى به من شاء من خلقه، وأغناه وجعله سببًا لغنى أصحابه، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾[التوبة: ٧٤].

---

(١) الكشاف: (٤/ ٧٩٦).

(٢) ينظر: نظم الدرر للبقاعي: (٢٢/ ١٠٩).

(٣) ينظر: لمسات بيانية للسامرائي، ص ٤١٦ (الشاملة).

- ومن هدايات هذه الآيات: أنه مع اليتيم نهى عن مجرد العبوس على أحد معاني القهر، وما بعده من الغلبة والتسلط والشتم من باب أولى[1]؛ لمزيد العناية به، وأما السائل فنهى عن زجره؛ لكون اليتيم أعظم حقًا، وأشد ضعفًا من السائل.

ونلاحظ هنا أن القرآن لم يبين تفاصيل الميلاد، وتاريخه[2]، وملابساته، كما يطيل فيه بعض العلماء[3]، ولكنه ذكر أهم الأحداث المتعلقة به كحادثة الفيل قبله، وحالة اليتم والفقر معه، وحالة عدم الهداية إلى الكتاب والإيمان بعده؛ لأنها هي محل التأثير في تصور الرسالة، وهي وسيلة تغلل غاياتها في جنبات الأفئدة:

- **ففي حادثة الفيل**: استشعار المنة، وعدم الرهبة، وتعليق القلب بالرب سبحانه ذي العزة.

- **وفي حالة اليتم**: بيان لأنوار الخُلق النبوي، الذي من أول مقوماته الرحمة التي تنبع من اليتم، والتواضع الذي يكسبه الفقر.

- **وفي الهداية من الضلال**: تفويض أمر التوفيق إلى الله تعالى، وأن شرف النبي ﷺ باختصاصه بالوحي الذي اصطفاه الله به: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾[الكهف: ١١٠].

---

(١) ينظر: روح المعاني للآلوسي: (١٥/ ٣٨٣).

(٢) فما يمكن أن يجزم به أنه ولد يوم الإثنين، وما عداه محل أخذ ورد، وجزر ومد، فروى مالك أنه ولد في الثامن من ربيع الأول، والجمهور أنه في الثاني عشر منه، ينظر: ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية د. محمد العوشن ص٥، وما بعدها، صحيح السيرة للألباني، ص ١٣.

(٣) وما يروى أن ليلة ولادته ﷺ انتكست بعض الأصنام، وانشق إيوان كسرى، وسقط بعض شرفاته، وخمدت نار فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، وغارت بحيرة ساوة، ورأى الموبذان في نومه أن إبلاً صعابًا تقود خيلاً عرابًا، فقطعت دجلة وانتشرت في بلادها، وكونه ولد مختونًا وتحته لوح من أسفار ويشير إلى القمر، كل ذلك لا يثبت إسنادًا، وإن كان سائغًا أمام مكانته وقدره ومعجزاته، ينظر: دلائل النبوة للبيهقي بتحقيق د. عبدالمعطي قلعجي: (١/ ١٢٦)، صحيح السيرة النبوية للألباني ص١٤، فقه السيرة للغزالي ص٥٨، السيرة النبوية الصحيحة لأكرم العمري: (١/ ١٠٠)، السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة للصوياني: (١/ ٢٥).

صحيح الروايات:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: «زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى، وأبكى من حوله، ثم قال: «**استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي، واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي، فزوروا القبور تذكركم الموت**»[1].

وعن بريدة -رضي الله عنه- قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بـ(ودان) قال: «**مكانكم حتى آتيكم**». فانطلق، ثم جاءنا وهو ثقيل، فقال:

«**إني أتيت قبر أم محمد فسألت ربي الشفاعة** - يعني: لها - **فمنعنيها، وإني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها**»[2].

وعنه بلفظ: (انتهى النبي ﷺ إلى رسم قبر، فجلس، وجلس الناس حوله، فجعل يحرك رأسه كالمخاطب، ثم بكى، فاستقبله عمر، فقال: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: «**هذا قبر آمنة بنت وهب، استأذنت ربي في أن أزور قبرها فأذن لي، واستأذنته في الاستغفار لها فأبى عليَّ، وأدركتني رقتها فبكيت**».

قال: فما رأيت ساعة أكثر باكيًا من تلك الساعة)[3].



(١) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه، رقم: (٩٧٦).
(٢) رواه أحمد: (٢٣٠١٧)، وهو صحيح بما قبله.
(٣) رواه البيهقي في الدلائل: (٤٩٠)، والحاكم في المستدرك: (٣٢٩٢).

المطلب الثاني: حادثة شق الصدر

- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤)﴾[الشرح: ١-٤].

***

هذه الآيات العظيمة فيها إشارة إلى معجزة أكرم الله بها رسوله ﷺ، وهي حادثة شق صدره الشريف، وهو أحد أقوال المفسرين، قال الألوسي بعد تفسيره للآية: (نعم في هذه الآية عموم المنة بشرح صدره الشريف، فلا مانع أن يكون الرب جل وعلا قد جمع له - كما جمع له من قبل الأخلاق الكاملة - كل شرح يكون سبب علوه ورفعته، وسبب صبره وتحمله، واستمراره في دعوته، . . . -ولكن قال الألوسي بعده-: حمل الشرح في الآية على ذلك الشق ضعيف عند المحققين)[1].

وقد ذكر العلامة ابن عاشور تعقيبًا على المانعين، وبين دلالة الآية على شق الصدر، فقال: (ويجوز أن يجعل الشرح شرحًا بدنيًا. وروي عن ابن عباس أنه فسر به، وهو ظاهر صنيع الترمذي؛ إذ أخرج حديث شق الصدر الشريف في تفسير هذه السورة، فتكون الآية إشارة إلى مرويات في شق صدره ﷺ شقًا قدسيًا)[2].

وقال: (وإذ قد كان هذا الشق معجزة خارقة للعادة يجوز أن يكون مرادًا، وهو ما نحاه أبو بكر بن العربي في الأحكام، وعليه يكون الصدر قد أطلق على حقيقته، وهو الباطن الحاوي للقلب)[3].

ومما استأنس به في هذا التقرير: استخدام الجار والمجرور في قوله تعالى: (لَكَ) حيث اللام فيها للتمليك، وهو يفيد تكريمًا للنبي ﷺ بأن الله جل وعلا فعل ذلك لأجله مختصًا

(١) روح المعاني: (٣٠/ ٣٠١).
(٢) التحرير والتنوير: (٣٠/ ٤٠٩).
(٣) المرجع السابق.

به، كما أن إسناد الفعل إلى ضمير العظمة للإيذان بعظمة ذلك الشرح وجلالة قدره؛ ليظهر ما أشرنا إليه من قبل من دلالة الشرح على شيء عظيم بالغ العظمة للنبي ﷺ[1].

وهو ما عليه الترمذي وغيره - حيث ذكر حديث شق الصدر في تفسير الآية[2]، واختاره ابن كثير أيضًا، فقال -بعد ذكره للقولين-: «ولكن لا منافاة، فإن من جملة شرح صدره الذي فعل بصدره ليلة الإسراء[3]، وما نشأ عنه من الشرح المعنوي أيضا»[4]، والله أعلم.

المعنى الإجمالي للآيات:

﴿**أَلَمْ**﴾: الاستفهام للتقرير، أي إن الله تعالى يقرر رسوله بنعمه عليه.

﴿**نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ**﴾ بالنبوة، وبشقه وتطهيره وملئه إيمانًا وحكمة.

وحططنا عنك ما سلف من تبعات أيام الجاهلية قبل نبوتك، الذي أثقل ظهرك حيث كان يشعر ﷺ بثقل السنين التي عاشها قبل النبوة، لم يعبد فيها الله تعالى بفعل محابه، وترك مكارهه؛ لعدم علمه بذلك.

﴿**وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾ فأصبحت تذكر معي في الأذان والإقامة والتشهد[5].

هدايات الآيات:

ومن هدايات هذه الآيات العظيمة ما يلي:

- أنها اشتملت على ثلاث منن جاءت بعد ثلاث منن سبقت في سورة الضحى، وهي تفصيل للمنة الثانية منها، وهي في قوله: ﴿**وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى**﴾:

(١) ينظر: السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية للدبيسي، ص ١٧٨.

(٢) رواه الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة «ألم نشرح»، رقم: (٣٣٥٧) وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) أي في الحادثة الثانية لشق الصدر ليلة الإسراء.

(٤) تفسير ابن كثير: (٨/ ٤٢٩).

(٥) أيسر التفاسير للجزائري: (٥/ ٥٨٨).

فالمنة الأولى: شرح صدره؛ ليتسع للوحي، ولما سيلقاه من قومه من سيئ القول، وباطل الكلام الذي يضيق به الإنسان.

والثانية: وضع الوزر عنه؛ فإنه كان يشعر بحمل ثقيل من جراء ترك العبادة، والتقرب إلى الله تعالى في وقت ما قبل النبوة، ونزول الوحي عليه، أما مقارفة الكبائر فقد كان محفوظًا بحفظ الله تعالى له: فلم يسجد لصنم، ولم يشرب خمرًا، ولم يقترف فاحشة؛ فقد شق صدره وهو طفل، وأخرجت منه العلقة التي هي محطة الشيطان التي ينزل بها من صدر الإنسان، ويوسوس بالشر؛ ولذلك فقد قال جابر بن عبد الله-رضي الله عنهما-: (لما بُنيت الكعبة ذهب رسول الله ﷺ ينقل الحجارة، فقال العباس لرسول الله ﷺ: اجعل إزارك على عاتقك من الحجارة. ففعل فخر إلى الأرض، وطمحت عيناه إلى السماء، ثم قام فقال: «**إزاري**». فشد عليه إزاره)[1].

وعن زيد بن حارثة-رضي الله عنه- قال: (كان صنم من نحاس - يقال له: «إساف» و«نائلة» - يتمسح به المشركون إذا طافوا، فطاف رسول الله ﷺ، وطفت معه، فلما مررت مسحت به، فقال رسول الله ﷺ: «لا تمسه».

قال زيد: فطفنا فقلت في نفسي: لأمسنه حتى أنظر ما يكون. فمسحته، فقال رسول الله ﷺ: «**ألم تنه؟**». قال زيد: فوالذي أكرمه، وأنزل عليه الكتاب ما استلم صنمًا قط حتى أكرمه الله تعالى بالذي أكرمه، وأنزل عليه)[2].

بل قال ﷺ عن نفسه: «**ما همت بما كان أهل الجاهلية يهمون به إلا مرتين من الدهر، كلاهما يعصمني الله تعالى منهما. قلت ليلة- لفتى كان معي من قريش في أعلى مكة في أغنام لأهلها ترعى-: أبصر لي غنمي؛ حتى أسمر هذه الليلة بمكة، كما تسمر الفتيان، قال: نعم، فخرجت، فلما جئت أدنى دار من دور مكة، سمعت غناء، وصوت دفوف وزمر، فقلت: ما هذا؟ قالوا: فلان تزوج فلانة لرجل من قريش تزوج امرأة، فلهوت بذلك الغناء والصوت حتى غلبتني عيني، فنمت، فما أيقظني إلا مس الشمس،**

(١) رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب بنيان الكعبة، رقم: (٣٨٢٩)، ومسلم، كتاب الحيض، باب الاعتناء بحفظ العورة، رقم: (٣٤٠).

(٢) رواه الحاكم في مستدركه ٤٩٥٦، وصححه، وصححه الألباني في صحيح السيرة ص٣٢.

فرجعت فسمعت مثل ذلك، فقيل لي مثل ما قيل لي، فلهوت بما سمعت وغلبتني عيني، فما أيقظني إلا مس الشمس، ثم رجعت إلى صاحبي، فقال: ما فعلت؟ فقلت: ما فعلت شيئًا»، قال رسول الله ﷺ: «**فوالله ما همـمت بعدها أبدًا بسوء مما يعمل أهـل الجاهلية حتى أكرمني الله تعالى بنبوته**»[1].

والثالثة: رفع الذكر، أي ذكره ﷺ؛ إذ قرن اسمه باسمه تعالى في التشهد، وفي الأذان والإقامة، وذلك الدهر كله، وما بقيت الحياة[2]، فلا تكاد تمر لحظة إلا ويذكره ذاكر في الأرض.

- وفي هذه الآيات بيان لتهيئة النبي ﷺ للرسالة، بشرح صدره، وهي المرحلة الأولى لاستقبال الوحي، ثم بوضع الأثقال والأوزار التي تنقض ظهره أثناء تحمل هذه الأمانة الثقيلة، ثم برفع الذكر بعد تبليغ هذه الرسالة الجليلة.

- وفي الآيات مزيد تشريف للنبي ﷺ:

فبدأت بالاستفهام: الذي يفيد التقرير والتأكيد.

ثم بنون الجمع: والتي تأتي للتعظيم.

ثم ببيان الرعاية والاختصاص في قوله: ﴿**لَكَ**﴾، فلم يقل سبحانه: ألم نشرح صدرك، وإنما قال: ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ**﴾، فهو شرح مختص بك، راجع إليك، نعمة لك.

صحيح الروايات:

شقُّ صدره ﷺ، وغسلُ قلبه بماء زمزم، هو ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة الصريحة، وإن نوزع في دلالة الآية عليه فهذا لا يضر؛ فقد أخرج مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل -وهو يلعب مع الغلمان-

(١) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب التوبة والاستغفار: (٧٦١٩) وصححه ووافقه الذهبي، وضعفه الألباني في فقه السيرة ص٧٠، وابن كثير في البداية والنهاية: (٢/ ٢٨٧)؛ لضعف محمد بن عبد الله بن قيس، كما في التقريب: (٢/ ٧٩)، لكن له شاهد ذكره الذهبي في سيرته ص٤١؛ ولذلك حسن الحديث الصوياني في صحيح السيرة: (١/ ٤٣).

(٢) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري: (٥/ ٥٨٨).

فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه.

وجاء الغلمان يسعون إلى أمه -يعني ظئره- فقالوا: إن محمداً قد قتل.

فاستقبلوه وهو منتقع اللون.

قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره»[1].



(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله - ﷺ- إلى السماوات، رقم: (١٦٢).

المبحث الثالث: أحوال مكة وبشارات النبوة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أحوال أهل مكة

- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (١٣٦)﴾[الأنعام: ١٣٦].

- قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ(١٣٧)﴾ [الأنعام: ١٣٧].

- قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلاً (٢٢)﴾[النساء: ٢٢].

***

خيم على مكةَ ليلٌ دامس من الشركيات، والاعتداءات، وقبائح العادات، وتطاول هذا الظلام أزمنة مديدة، حتى مقتهم الله تعالى، ثم منَّ عليهم بهذا النور المبين، والنبي الأمين، فعن عياض بن حمار المجاشعي، رضي الله عنه، أن النبي ﷺ خطب ذات يوم فقال في خطبته: «**وإن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا: كل مال نحلته عبادي حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فأضلتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا، ثم إن الله، عز وجل، نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عجمهم وعربهم، إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتابًا لا يغسله الماء، تقرؤه نائمًا ويقظان**»[1].

(١) سبق تخريجه.

وإنما اخترت هذه الآيات - مع كثرة الآيات في أحوال المشركين -؛ لأنها تشتمل على أصول الانحرافات، وفي معناها كثير من الآيات:

فالآية **الأولى**: حول الشرك، وصرف خصائص الله تعالى لغيره.

والثانية: حول الجرائم والاعتداء على الآخرين.

والثالثة: حول العادات القبيحة المنافية للفطر الصحيحة، والتي فيها تحليل الحرام، أو تحريم الحلال، وهو ما تضمنه الحديث السابق.

ويدخل تحت كل أصل منها صور من المنكرات، يطول الكلام بذكرها، والاستطراد فيها ليس من أغراض موضوعنا، وإنما تعرض هنا؛ لعلاقتها بالدعوة التي هي قطب رحى السيرة.

المعنى الإجمالي للآيات:

أما الآية **الأولى**: فقد لخص الإمام السعدي تأويلها، بقوله: (يخبر تعالى عمَّا عليه المشركون المكذبون للنبي ﷺ، من سفاهة العقل، وخفة الأحلام، والجهل البليغ، وعدَّد تبارك وتعالى شيئًا من خرافاتهم؛ لينبه بذلك على ضلالهم، والحذر منهم، وأن معارضة أمثال هؤلاء السفهاء للحق الذي جاء به الرسول، لا تقدح فيه أصلاً؛ فإنهم لا أهلية لهم في مقابلة الحق، فذكر من ذلك أنهم ﴿ **جَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا** ﴾، ولشركائهم من ذلك نصيبًا، والحال أن الله تعالى هو الذي ذرأه للعباد، وأوجده رزقًا، فجمعوا بين محذورين محظورين، بل ثلاثة محاذير، منَّتهم على الله، في جعلهم له نصيبًا، مع اعتقادهم أن ذلك منهم تبرع، وإشراك الشركاء الذين لم يرزقوهم، ولم يوجدوا لهم شيئًا في ذلك، وحكمهم الجائر في أن ما كان لله لم يبالوا به، ولم يهتموا، ولو كان واصلاً إلى الشركاء، وما كان لشركائهم اعتنوا به واحتفظوا به، ولم يصل إلى الله منه شيء، وذلك أنهم إذا حصل لهم -من زروعهم وثمارهم وأنعامهم، التي أوجدها الله لهم- شيء، جعلوه قسمين:

قسمًا: قالوا: هذا لله بقولهم وزعمهم، وإلا فالله لا يقبل إلا ما كان خالصًا لوجهه، ولا يقبل عمل مَن أشرك به.

وقسمًا: جعلوه حصة شركائهم من الأوثان والأنداد.

فإن وصل شيء مما جعلوه لله، واختلط بما جعلوه لغيره، لم يبالوا بذلك، وقالوا: الله غني عنه، فلا يردونه، وإن وصل شيء مما جعلوه لآلهتهم إلى ما جعلوه لله، ردوه إلى محله، وقالوا: إنها فقيرة، لا بد من رد نصيبها.

فهل أسوأ من هذا الحكم. وأظلم ؟! حيث جعلوا ما للمخلوق، يجتهد فيه وينصح ويحفظ، أكثر مما يفعل بحق الله)[1].

وأما الآية **الثانية**: فيبين الله تعالى خسارة هؤلاء السفهاء، الذين قتلوا أولادهم بغيًا وجهلاً، وحرموا ما أحل الله لهم، وخسارتهم دنيوية؛ حيث قتلوا أولادهم، وحرموا أرزاقهم، فمنعوا بركتهم، وقست قلوبهم، وضاقت نفوسهم.

كما أنها خسارة أخروية على اعتدائهم وافترائهم، كما قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ (٦٩) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ(٧٠)** ﴾ [يونس: ٦٩-٧٠].

وأما الآية الثالثة: ففيها تحريم للعادات القبيحة التي اعتادها المشركون، وبيان منافاتها للفطر المستقيمة، والأخلاق القويمة، قال الزمخشري: (وكانوا ينكحون روابهم[2]، وناس منهم يمقتونه من ذي مروآتهم، ويسمونه نكاح المقت. وكان المولود عليه يقال له المقتي. ومن ثم قيل: ﴿**وَمَقْتًا**﴾، كأنه قيل: هو فاحشة في دين اللَّه بالغة في القبح، قبيح ممقوت في المروءة، ولا مزيد على ما يجمع القبحين »[3].

ومثله الجمع بين الأختين، وإتيان الفواحش الممجوجة فطرة وطبعًا، ونحوها.

هدايات الآيات:

- هذه الآيات توقف القارئ على الجهد الذي بذله النبي ﷺ في هداية الناس، وعلى الشدة والمشقة التي لاقاها من معاصريه، وعلى نجاحه وقدرته -بتوفيق الله له- في إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وكيف وجه طاقات العرب بدلاً من العصبية

(١) تفسير السعدي، ص ٢٧٤.

(٢) الراب زوج الأم. والرابة: امرأة الأب. وربيب الرجل: ابن امرأته من غيره. ينظر: لسان العرب: (١١/ ٥٩٠)، وما بعده.

(٣) الكشاف: (١/ ٤٩٢).

الجاهلية، إلى خدمة الإسلام الحنيف.

- وفيها: بيان مدى حاجة البشرية إلى الإسلام، وفضل الإسلام على سائر أهل الأرض، وأنه بقدر تخليهم عن الإسلام ينحطون ويهلكون.

- وفيها: ضرورة فقه النصوص الشرعية، ومعرفة الحكمة من تشريع الأحكام، والعلة في المنع والإباحة، والتدرج في الأحكام، والتأكيد على التوحيد قبلاً وبعداً.

- وفيها: جهل العرب، ومنة الإسلام عليهم؛ حيث أخرجهم من ظلمات التخبط إلى نور العلم واليقين؛ لذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: (إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام: ﴿ **قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ** ﴾ [الأنعام: ١٤٠][1]. وقد بين الله تعالى شنيع فعلهم، بوأدهم بناتهم في مهدهنّ، فقال تعالى: ﴿ **وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ** ﴾ [التكوير: ٨، ٩].

وهي آية غاية في البلاغة، في إظهار التبشيع بفعلهم الفظيع الشنيع، ففيها:

- إعراض عن الفاعل لحقارته.

- وسؤال الموءودة قطعاً لحجته.

- ومخاطبة لبقايا الرحمة عند من يحدث نفسه بفعلته.

صحيح الروايات:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار، كان أول من سيّب السوائب**»[2]، وفي المسند زيادة: «**وبحر البحيرة**»[3].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب قصة زمزم وجهل العرب، برقم: (٣٥٢٤).

(٢) أخرجه البخاري-تفسير القرآن، برقم: (٤٦٢٣)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، رقم: (٢٨٥٦)، قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٢٨٥): زاد في رواية أبي صالح عن أبي هريرة عند مسلم: «**وبحّر البحيرة، وغيّر دين إسماعيل**». وروى عبد الرزاق عن معمر عن زيد بن أسلم مرسلاً... فذكره، ثم قال: «والأول أصح». اهـ.

(٣) مسند أحمد: (٨٧٨٧)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وعن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ قال: «**إن النار أدنيت مني حتى نفخت حرها عن وجهي، فرأيت فيها صاحب المحجن، والذي بحر البحيرة، وصاحب حمير، وصاحبة الهرة**»[1].

فلما صنع هذا عمرو بن لحي دانت العرب للأصنام، وعبدوها واتخذوها، فكان أقدمها كلها مناة، وقد كانت العرب تسمى عبد مناة، وزيد مناة، وكان منصوبًا على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد، بين المدينة ومكة، وكانت العرب جميعًا تعظمه، وتذبح حوله[2].

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٤٥) (١٨١٦٧)، وقال الأرناؤوط في تحقيق المسند: مرفوعه صحيح، وهذا إسناد ضعيف لضعف مجالد. وقال الألباني في (صحيح الجامع) (١٩٧٢): صحيح.

(٢) كتاب الأصنام للكلبي ص١٣ .

المطلب الثاني: أهل الكتاب يبشرون بنبوة محمد ﷺ

- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦)﴾[البقرة: ١٤٦].

- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ(٨٩)﴾[البقرة: ٨٩].

***

وردت كثير من الآيات تبين أن أهل الكتاب كانوا يعرفون نبوة رسول الله ﷺ قبل بعثته، وهو مما بقي محفوظًا في كتبهم إلى مبعثه، لم تطله أياديهم العابثة، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾[الأعراف: ١٥٧]، ومع ذلك تنكره كثير منهم، وجحدوا رسالته.

المعنى الإجمالي للآيات:

الآية الأولى: قال البيضاوي: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾: يعني علماءهم، يعرفونه الضمير لرسول الله ﷺ، وإن لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه. وقيل للعلم، أو القرآن، أو التحويل.

﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾: يشهد للأول: أي يعرفونه بأوصافه، كمعرفتهم أبناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم)[1].

ومع ذلك فطوائف منهم تكتم هذا الحق، وهي تعلمه يقينًا.

وأما الآية الثانية: فقال الطبري في بيانها: (ومعنى الاستفتاح: الاستنصار،

(١) تفسير البيضاوي: (١/ ١١٢).

يستنصرون الله به على مشركي العرب من قبل مبعثه)[1]، فلما أرسل إليهم كفروا به، فاستحقوا لعنة الله وطردهم من رحمته؛ لجحودهم بعد علمهم.

هدايات الآيات:

الآية الأولى: في هذه الآية جلائل من الهدايات، ومنها:

- ذكرهم سبحانه بقوله: ﴿**آتَيْنَاهُمُ**﴾، ولم يقل: «أوتوا»: وفي ذلك إشارة إلى أن هذا الأمر من الحق الذي آتاهم الله، وبقي في كتبهم، كما أن فيه إظهاراً لعظيم المنة عليهم؛ حيث اختصهم الله تعالى بإيتاء الكتاب.
- وفي قوله: ﴿**الْكِتَابَ**﴾: الإفراد فيها يدل على وحدة أصول هذه الكتب، وتصديق بعضها لبعض، ومن ذلك دلالتها على نبوة محمد ﷺ.
- وفي قوله تعالى: ﴿**كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ**﴾: إشارة إلى تيقن هذه المعرفة؛ فإن معرفة الأبناء تجتمع فيها دلائل الواقع والفطرة، وهكذا نبوة النبي ﷺ تصدقها شواهد الواقع، وحقائق الفطرة.
- وفي قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾: فمن كتمه فريق منهم، وليس جميعهم، ففي هذا التعبير إنصاف لهم؛ فإنّ منهم المؤمنين المصدقين الذين سارعوا باتباع النبي ﷺ كما سيأتي ذكر طائفة منهم.

الآية الثانية:

- فيها: أن الديانات السابقة والكتب السماوية لم تحرف كلها، بل بقيت فيها بعض حقائق العلم، وأصول الهداية، ومنها التبشير بمبعث النبي ﷺ.
- فيها: أن أهل الكتاب كانوا أعلم من المشركين والملاحدة وغيرهم؛ لذلك كانوا يتعالون عليهم بأخبار الرسل، وأحوال الأمم السابقة.
- فيها: بيان الحقد والحسد الذي ملأ قلوب أهل الكتاب لما جاءهم الرسول من غيرهم، فانقلب تبشيرهم تنفيراً، وتصديقهم تكذيباً.

(١) تفسير الطبري: (٢/ ٣٣٢).

- فيها: أن أعظم الكفر الجحود بعد المعرفة، والتنكر بعد العلم؛ لذلك ختم الله تعالى الآية بقوله: ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

صحيح الروايات:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «إن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه.

فقال لهم معاذ بن جبل، وبشر بن البراء بن معرور، وداود بن سلمة: يا معشر يهود، اتقوا الله، وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ ونحن أهل شرك، وتخبروننا بأنه مبعوث، وتصفونه بصفته.

فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم، فأنزل الله في ذلك الآية[1].

- وعن سلمة بن سلامة بن وقش - وكان من أصحاب بدر- رضي الله عنه، قال: (كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل، قال: فخرج علينا يومًا من بيته، قبل مبعث النبي ﷺ بيسير، فوقف على مجلس عبد الأشهل.

قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث من فيه سنًا، عليّ بردة مضطجعًا فيها، بفناء أهلي، فذكر البعث، والقيامة، والحساب، والميزان، والجنة والنار، فقال ذلك لقوم أهل شرك، أصحاب أوثان، لا يرون أن بعثًا كائن بعد الموت.

فقالوا له: ويحك يا فلان، ترى هذا كائن: أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار، يجزون فيها بأعمالهم؟!

قال: نعم، والذي يحلف به لود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدنيا يحمونه، ثم يدخلونه إياه، فيطبق به عليه، وأن ينجو من تلك النار غداً.

---

(١) إسناده حسن: أخرجه الطبري من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق. وكذا ابن أبي حاتم من طريق يونس به. ينظر: تفسير الطبري: (٢/ ٣٣٣)، تفسير ابن كثير: (١/ ٢٢٢)، الصحيح المسبور: (١/ ١٩٥).

قالوا له: ويحك، وما آية ذلك؟

قال: نبي يبعث من نحو هذه البلاد، وأشار بيده نحو مكة واليمن، قالوا: ومتى تراه؟!

قال: فنظر إليّ وأنا من أحدثهم سنًا.

فقال: إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه.

قال سلمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله تعالى رسوله ﷺ وهو حي بين أظهرنا، فآمنا به، وكفر به بغيًا وحسدًا.

فقلنا: ويلك يا فلان؛ ألست بالذي قلت لنا فيه ما قلت؟!

قال: بلى، وليس به)[1].

- وقد خرج أبو طالب ومعه محمَّد ﷺ في أشياخ من قريش، فلما أشرفوا على الراهب (بحيرى) هبطوا، فحلوا رحالهم، فخرج إليهم الراهب، وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج، ولا يلتفت إليهم، فنزل وهم يحلون رحالهم، فجعل يتخللهم، حتى جاء فأخذ بيد النبي ﷺ، فقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، بعثه الله رحمة للعالمين.

فقال له أشياخ من قريش: وما علمك؟

فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة، لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدًا، ولا يسجدون إلا لنبي، وإني عرفته بخاتم النبوة، أسفل من غضروف كتفه.

ثم رجع فصنع لهم طعامًا، فلما أتاهم به -وكان هو في رعية الإبل- فقال: أرسلوا إليه.

---

(١) رواه أحمد في المسند: (٣/ ٤٦٧)، وأبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة: (١/ ٨٤)، والبيهقي في دلائل النبوة: (٢/ ٧٨، ٧٩)، والحاكم في المستدرك: (٣/ ٤١٧)، من طريق محمد بن إسحاق به، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وذكره الهيثمي، ونسبه إلى أحمد والطبراني، ثم قال: ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع، مجمع الزوائد: (٨/ ٢٣٠). وذكره السيوطي ونسبه إليهم وزاد ابن قانع، كما في الدر المنثور: (١/ ٢١٧).

فأقبل وغمامة تظلله، فلما دنا من القوم، قال بحيرى:

انظروا إليه، عليه غمامة، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه. قال بحيرى:

انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه.

فبينما هو قائم عليهم -أي بحيرى- وهو ينشدهم ألا يذهبوا به إلى الروم، فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه.

فالتفت، فإذا بسبعة نفر من الروم قد أقبلوا: فاستقبلهم بحيرى، فقال:

ما جاء بكم؟ قالوا: جئنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بعث إليه ناس، وإنا أُخبرنا خبره إلى طريقك هذه.

فقال بحيرى: فهل خلفكم أحد هو خير منكم؟

قالوا: لا، إنما أُخبرنا خبره إلى طريقك هذه.

فقال بحيرى: أفرأيتم أمرًا أراد الله أن يقضيه، هل يستطيع أحد من الناس رده؟

فقالوا: لا. فبايعوه، وأقاموا عنده.

فقال بحيرى الراهب: أنشدكم الله أيكم وليه؟

قالوا: أبو طالب. فلم يزل يناشده حتى رده)[1].

- وعن حسان بن ثابت -رضي الله عنه- قال: (والله إني لغلام يفعة ابن سبع سنين أو ثمان، أعقل كل ما سمعت؛ إذ سمعت يهوديًا يصرخ بأعلى صوته على أطمة[2]. بـ(يثرب): يا معشر يهود، حتى إذا اجتمعوا إليه، قالوا له: ويلك ما لك؟

(١) أخرجه الترمذي في المناقب، باب ما جاء في بدء نبوة النبي - ﷺ -: (٣٦٢٠)، وقال: حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وابن أبي شيبة في مصنفه: ١٨٣٩٠، والبيهقي في دلائل النبوة: (١/ ٣٠٧ -٣١٢)، والحاكم في المستدرك: (٢/ ٦١٥)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. وقال الذهبي: أظنه موضوعًا وبعضه باطل، وصححه جمع من الأئمة، ذكرهم الألباني ورد على المضعفين، ينظر: دفاع عن الحديث النبوي والسيرة، للألباني (ص٦٢-٧٢).

(٢) هو: بناء مرتفع، أو حصن مبني بحجارة، وجمعه آطام وأطوم. ينظر: لسان العرب: (١٢/ ١٩).

قال: طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به)[1].

- وعن أسامة بن زيد -رضي الله عنه- قال: قال زيد بن عمرو بن نفيل: (قال لي حبر من أحبار الشام: قد خرج في بلدك نبي، أو هو خارج، قد خرج نجمه، فارجع فصدقه واتبعه)[2].



(١) رواه ابن إسحاق: (١/ ٨٤)، وحسنه الألباني، في صحيح السيرة، ص١٤ .
(٢) دلائل النبوة للأصبهاني (٧٠) ، وحسنه الألباني في صحيح السيرة، ص١٤ .

الفصل الثاني:

البعثة وبداية الدعوة

وفيه ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول: تهيئة بيت النبوة للوحي**
- **المبحث الثاني: استقبال مكة للرسالة**
- **المبحث الثالث: الابتلاءات والشبهات والمساومات والبشارات**



المبحث الأول: تهيئة بيت النبوة للوحي

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ليلة النور المبين

- قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾[العلق: ١-٥].
- قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥)﴾[القدر].
- قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(٦)﴾[الدخان: ٣-٦].

***

لم يذكر القرآن كثيراً مما حدث للنبي ﷺ قبل النبوة؛ لعل السبب في ذلك: أنها كانت وقائع من جنس العادات السائدة، كالرعي والتجارة والزواج ونحوه، فلم يكن فيها خصائص تتعلق برسالته أصالة، إلا ما ظهر من إرهاصات بعثته، وجلائل أخلاقه، ومحاسن طباعه ﷺ، وهو ما يذكره القرآن في مختلف مناسباته.

وهنا بلغ ﷺ أربعين سنة، فبدأ التكليف بالرسالة العظيمة، وتحميله الأمانة الجليلة الكريمة، التي أشفقت من حملها السموات والأرض والجبال.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (أُنزل الوحي على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة)[1]، وكان ذلك في يوم الإثنين من شهر رمضان، وقيل: ربيع الأول، على ما سيأتي من خلاف.

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ: (٦/ ٢٦).

هذا الحدث هو الفاصل بين الحق والباطل، الذي قومت به المسيرة التاريخية، وانقلبت به الموازين البشرية، فحط أقوام رحالهم في الجنان، وآخرون حقت عليهم كلمة العذاب في النيران.

وقع الحدث «والدّنيا واقفة على شفا حفرة من النّار، والإنسانيّة تخطو بخطى سريعة إلى الانتحار، هنالك ظهرت تباشير الصبح، وطلائع السعادة، وآن أوان البعثة، وتلك سنّة الله إذا اشتدّ الظلام، وطالت الشّقوة»(١).

«في هذا الغار اتصل محمد ﷺ بالملأ الأعلى.

ومن قبله شهد بطن الصحراء أخًا لمحمد عليه الصلاة والسلام، يخرج من مصر فارًا مستوحشًا، ويجتاز القفار متلمّسًا الأمن والسكينة والهدى، لنفسه وقومه، فبرقت له من شاطئ الوادي الأيمن نار مؤنسة، فلمّا تيمّمها، إذا بالنّداء الأقدس يغمر مسامعه، ويتخلل مشاعره:

﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤].

إن شعلة من هذه النار اجتازت القرون؛ لتتّقد مرة أخرى في جوانب الغار الذي حوى رجلاً يتحنّث، ويتطهّر، نائيًا بجسمه وروحه عن أرجاس الجاهلية ومساوئها، لكنّ الشعلة لم تكن نارًا تستدرج الناظر، بل كانت نورًا ينبسط بين يدي وحي مبارك، يسطع على القلب العاني بالإلهام والهداية، والتثبيت والعناية، وإذا بمحمد ﷺ يصغي في دهشة وانبهار إلى صوت الملك»(٢).

المعنى الإجمالي للآيات:

أولا: آيات سورة العلق:

﴿اقْرَأْ﴾: أي اقرأ القرآن، مفتتحًا باسمه سبحانه وتعالى، أو مستعينًا به.

الذي له الخلق، أو الذي خلق كل شيء، ثم أفرد ما هو أشرف، وأظهر صنعًا وتدبيرًا، وأدل على وجوب العبادة المقصودة من القراءة، فقال:

(١) السيرة النبوية للندوي، ص ١٧٩.
(٢) فقه السيرة للغزالي، ص ٩٠.

﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ﴾: أي الذي خلق الإنسان، فأبهم أولاً ثم فسر؛ تفخيمًا لخلقه، ودلالةً على عجيب فطرته.

﴿مِنْ عَلَقٍ﴾: جمع علقة، وهي القطعة اليسيرة من الدم، جمعه على الإنسان الذي في معنى الجمع.

ولما كان أول الواجبات معرفة الله سبحانه وتعالى نزل أولاً ما يدل على وجوده، وفرط قدرته، وكمال حكمته.

ثم كرر: ﴿اقْرَأْ﴾: للتأكيد على أن الكريم سيعلمه، فهو الذي علم بالقلم أي الخط بالقلم، وقد قرئ به لتقيد به العلوم ويعلم به البعيد.

﴿عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ بخلق القوى، ونصب الدلائل، وإنزال الآيات، فيعلمك القراءة وإن لم تكن قارئًا[1].

ثانيًا: آيات سورة القدر:

﴿إِنَّا أَنزلْنَاه فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾: وذلك أن الله تعالى، ابتدأ بإنزاله في رمضان في ليلة القدر، ورحم الله بها العباد رحمة عامة، لا يقدر العباد لها شكرًا.

وسميت ليلة القدر؛ لعظم قدرها وفضلها عند الله، ولأنه يقدّر فيها ما يكون في العام من الآجال، والأرزاق، والمقادير القدرية.

ثم فخم شأنها، وعظم مقدارها فقال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ أي: فإن شأنها جليل، وخطرها عظيم.

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أي: تعادل من فضلها ألف شهر، فالعمل الذي يقع فيها، خير من العمل في ألف شهر خالية منها، وهذا مما تتحير فيه الألباب، وتندهش له العقول؛ حيث منّ تبارك وتعالى على هذه الأمة الضعيفة القوة والقوى، بليلة يكون العمل فيها يقابل ويزيد على ألف شهر، عمر رجل معمر عمرًا طويلاً نيفًا وثمانين سنة.

---

(١) تفسير البيضاوي: (٥/ ٣٢٥)، بتصرف.

﴿تَنزلُ الْملائكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ أي: يكثر نزولهم فيها.

﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلامٌ هِيَ﴾ أي: سالمة من كل آفة وشر، وذلك لكثرة خيرها.

﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ أي: مبتداها من غروب الشمس، ومنتهاها طلوع الفجر(١).

ثالثًا: آيات سورة الدخان:

يقول تعالى مخبراً عن القرآن العظيم: إنه أنزله في ليلة مباركة، وهي ليلة القدر.

﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾: أي: معلمين الناس ما ينفعهم ويضرهم شرعًا؛ لتقوم حجة الله على عباده.

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾: أي: في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنَة، وما يكون فيها من الآجال والأرزاق، وما يكون فيها إلى آخرها، وهو أمر محكم لا يبدل ولا يغير؛ ولهذا قال:

﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا﴾: أي: جميع ما يكون ويقدره الله تعالى وما يوحيه فبأمره وإذنه وعلمه.

﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾: أي: إلى الناس رسولاً يتلو عليهم آيات الله مبينات، فإن الحاجة كانت ماسة إليه؛ لذلك وصفه بالرحمة ممتنًا به عليهم(٢).

هدايات الآيات:

- **هدايات آيات سورة العلق:**

- ﴿اقْرَأْ﴾: فيها دلالة على انتقال البشرية من الجهالة إلى العلم والمعرفة، ومن العماوة إلى نور البينات والهدى والحكمة.

- ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾: لم يحدد هذا المقروء؛ لأنه سيأتيه مفصلاً طوال حياته الشريفة، وإنما أمره أن يستعد للقراءة مستعينًا باسم الله، متوكلاً عليه، إشارة إلى عظمة ما سيقرأ، وإلى تيسير الله تعالى له ذلك إذا استعان به.

(١) تفسير السعدي، ص ٩٣١.
(٢) ينظر: تفسير ابن كثير: (٧/ ٢٤٦).

- ﴿ **رَبِّكَ** ﴾ : عبر بالرب؛ لأنه سبحانه هو الذي سيتولى تربيته، وتعليمه، وحفظه ورعايته.

- ﴿ **رَبِّكَ** ﴾ : فيها أيضًا إضافة ذاته تعالى إلى عبده، وهي في هذا المقام أبلغ من إضافة العبد إليه؛ وذلك لأن المنفعة تصل من الرب إليه، ولم تصل منه إلى الله تعالى عبادة ولا طاعة إلى الآن[1]، ثم لما أتى بما طلبه منه من طاعة، ومجاهدة أضافه إلى نفسه، كما في قوله تعالى: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا** ﴾ [الكهف: ١]، ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى** ﴾ [الإسراء: ١]، وغيرها.

- ﴿ **اقْرَأْ وَرَبُّكَ** ﴾ : للمبالغة، أو الأول مطلق، والثاني للتبليغ، أو في الصلاة، ولعله لما قيل له: اقرأ باسم ربك، فقال: **ما أنا بقارئ**، فقيل له: اقرأ وربك الأكرم الزائد في الكرم على كل كريم؛ فإنه سبحانه وتعالى ينعم بلا عوض، ويحلم من غير تخوف، بل هو الكريم وحده على الحقيقة[2].

- ﴿ **الأَكْرَمُ** ﴾ : الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كرم، ينعم على عباده النعم التي لا تُحصى، ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة، مع كفرهم وجحودهم لنعمه، وركوبهم المناهي واطراحهم الأوامر، ويقبل توبتهم، ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم، فما لكرمه غاية ولا أمد، وكأنه ليس وراء التكرم بإفادة الفوائد العلمية تكرم؛ حيث قال: ﴿ **الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾، فدلّ على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم[3].

- ﴿ **الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ** ﴾ : فيه تنبيه على فضل علم الكتابة؛ لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو، وما دونت العلوم، ولا قيدت الحكم، ولا ضبطت أخبار

(١) ينظر: تفسير الرازي: (٣٢/ ٢١٦).
(٢) ينظر: تفسير البيضاوي: (٥/ ٣٢٥).
(٣) الكشاف للزمخشري: (٤/ ٧٧٦).

الأولين ومقالاتهم، ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة، ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا، ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره ودليل إلا أمر القلم والخط، لكفى به[1].

- وقد عدد سبحانه وتعالى مبدأ أمر الإنسان ومنتهاه؛ إظهاراً لما أنعم عليه، من أن نقله من أخس المراتب إلى أعلاها؛ تقريراً لربوبيته، وتحقيقًا لأكرميته.

وأشار أولاً إلى ما يدل على معرفته عقلاً، ثم نبه على ما يدل عليها سمعًا[2].

- وهذه السورة العظيمة تذكرنا بفضل امرأة عظيمة، سخرها الله تعالى لاحتضان هذه الرسالة، وإيواء صاحبها، ومواساته؛ إنها خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وأرضاها، أول إنسان سمع بنزول هذه الآيات على رسول الله ﷺ، فخففت عنه، وطمأنته؛ لذلك ذكر النبي ﷺ فضلها وقدرها، فقال: «**خير نسائها مريم ابنة عمران، وخير نسائها خديجة**»[3].

- ومن هدايات سورة القدر:

- فيها المنة على الخلق بإنزال هذا القرآن، الذي هو أعظم كرامة للإنسان، فهو رسالة الخالق العظيم إلى هذا المخلوق الضعيف، ولعظم هذه الكرامة جعل الله تعالى الليلة التي نزل فيها هي أعظم ليلة لهذا الإنسان، فهي خير من ألف شهر؛ وجعلها ليلة مشهودة للملائكة تتنزل فيها بالخيرات، وجعلها ليلة تملؤها السكينة والطمأنينة والبركات، فجمع فيها خيري الدنيا والآخرة، كما أن القرآن الذي نزل فيها جمع الله فيه خيري الدنيا والآخرة.

---

(١) ينظر المرجع السابق.

(٢) تفسير البيضاوي: (٥/ ٣٢٥).

(٣) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ﴿**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ**﴾[آل عمران: ٤٣-٤٤]، رقم: (٣٤٣٢)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، رقم: (٢٤٣٠).

- قوله: ﴿**إِنَّا أَنزلْنَاه**﴾: بدأ بضمير الجمع الذي يفيد العظمة؛ مبينًا فضل القرآن، وعلو قدره وعظمته، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ**﴾.

- قوله: ﴿**أَنزلْنَاه**﴾: لم يسم القرآن هنا؛ لكونه غدًا معلومًا لا يحتاج إلى ذكره؛ لشهرته في الآفاق، ولوجوده في قلوب المؤمنين، متعلقين به، مستحضرين له.

-قوله: ﴿**فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾: هذا الاسم لهذه الليلة يجمع معاني جليلة:

فهي عظيمة القدر رفيعة الشأن، وهي ليلة القدر حيث تقدر فيها المقادير كما في آية الدخان الآتي بيانها: ﴿**فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ**﴾، وهما قولان للمفسرين[1]، وكما هو ظاهر فالمعنيان متكاملان، يلتقيان ولا يتنافران.

-قوله: ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ**﴾: استفهام يفيد غاية التعظيم؛ لعظمة ما وقع فيها، ولعظم ما يكتب فيها من الأجور، وكثرة ما تنزل فيها من الخيور.

-قوله: ﴿**لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾: هذه الشهور الألف تزيد على ثلاث وثمانين سنة، وهي تستغرق عمر أكثر الناس فهذه الليلة تعدل عمر الإنسان، فمن أصاب بركتها فاز في حياته كلها الدنيا والأخرى، كمن أصاب بركة القرآن فاز في الدنيا والآخرة.

- قوله: ﴿**تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا**﴾: الروح هو جبريل، ووصف بذلك؛ لكونه يأتي بهذا الوحي الذي فيه الحياة الحقيقية؛ فلذلك سمي الوحي روحًا: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا**﴾[الشورى: ٥٢]، وخص بالذكر مع دخوله في عموم الملائكة؛ تشريفًا له، ولأنه المتعلق بشأن هذه الليلة، وما حصل فيها من نزول القرآن.

- وفي هذه الآيات بيان بركة الملائكة، وأن وجودهم بشارة للمؤمنين، يستغفرون لهم، ويسلمون عليهم، ويشفعون لهم.

- قوله: ﴿**بِإِذْنِ رَبِّهِمْ**﴾: فيها أن الأمر كله لله تعالى، فله الربوبية على كل شيء، ولا يقع شيء إلا بإذنه، فلا تلتفت القلوب إلا إليه، ولا تقبل إلا عليه، لا إلى ملك مقرب، ولا نبي مرسل.

(١) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي: (٤/ ٤٦٩)، وقد ذكر لها خمسة معان.

- قوله: ﴿**مِنْ كُلِّ أَمْرٍ**﴾: من كل أمر كوني متعلق بالتقديرات، أو بالمغفرة والرحمات، أو بالرزق والمكرمات.

- قوله: ﴿**سَلَامٌ هِيَ**﴾: جاءت بالتنكير لتشمل مطلق السلام:

- فهي سلام من الله تعالى يُنزل فيها السكينة والطمأنينة.

- وسلام في ما ينزل من الرحمة والمغفرة؛ لذلك كان من دعاء النبي ﷺ فيها: «**اللهم إنك تحب العفو فاعف عني**»(١).

- وهي سلام من الملائكة على المؤمنين.

- وهي سلام بين القائمين الراكعين الساجدين، فكل منشغل بعبادة ربه، لا كدر فيها، ولا صخب.

-قوله: ﴿**حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ**﴾: تأكيد لاستمرار خيرها إلى الفجر؛ ترغيبًا في إحيائها، واستغلال كل وقت فيها، وعدم الغفلة عنها.

وأما فواتح سورة الدخان: فهي تتضمن جملة من الهدايات، ومنها:

- في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ**﴾: وصفها بالمباركة لما سبق بيانه من أنواع البركات، ثم بين سبحانه نوعًا من هذه البركات، وهي كتابة المقادير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «إنك لترى الرجل يمشي في الأسواق وقد وقع اسمه في الموتى، ثم قرأ: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ**﴾ يعني: ليلة القدر؛ ففي تلك الليلة يفرق أمر الدنيا إلى مثلها من قابل»(٢).

- في قوله: ﴿**رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ**﴾: إشارة إلى أن هذا الوحي هو رحمة من الله على

(١) رواه الترمذي: (٣٥١٣)، وابن ماجه: (٣٨٥٠)، بإسناد صحيح كما في صحيح السنن.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: (٢/ ٤٤٨-٤٤٩)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الذهبي، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٣٣٨٨)، وقال المحقق: إسناده رجاله ثقات، ينظر: التفسير الصحيح: (٤/ ٣١٣).

عباده، يحقق لهم مصالحهم العاجلة والآجلة، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[النحل: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[الجاثية: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾[القصص: ٨٦].

صحيح الروايات:

خير من يصور لنا هذا المقام العظيم، وهذا الحدث الكريم: أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها؛ حيث قالت: «أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

ثم حُبِّب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنّث فيه -وهو التعبد- الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء، فجاءه الملك، فقال: اقرأ، قال: «**ما أنا بقارئ**».

قال: **فأخذني، فغطّني**[1]، **حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني**، فقال: اقرأ، فقلت: «**ما أنا بقارئ**»، **فأخذني فغطّني الثانية، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني**، فقال: اقرأ، فقلت: «**ما أنا بقارئ**»، **فأخذني فغطّني الثالثة، ثم أرسلني**، فقال: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ (٥)**﴾[2].

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها-، فقال: **زمّلوني، زملوني**، فزملوه حتى ذهب عنه الروع.

---

(١) ضمني وعصرني حتى كاد يكتم أنفاسي.

(٢) رواه البخاري، في بدء الوحي باب رقم: (٣)، وفي الأنبياء، باب «واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصًا»، وفي تفسير سورة: (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**)، وفي التعبير، باب أول من بدء به رسول الله -ﷺ- من الوحي الرؤيا الصالحة، ومسلم في الإيمان، باب بدء الوحي برسول الله ﷺ رقم: (١٦٠).

فقال لخديجة -وأخبرها الخبر-: **لقد خشيت على نفسي**.

فقالت خديجة: كلا، والله ما يخزيك الله أبدًا؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق -وفي بعض الروايات زيادة-: وتصدق الحديث-، وفي بعضها-: وتؤدي الأمانة.

فانطلقت به خديجة، حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّى ابن عم خديجة، وكان امرأ قد تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي.

فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى.

فقال له ورقة: هذا الناموس[1] الذي نزله الله على موسى، يا ليتني فيها جذعًا[2]، ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك.

فقال رسول الله ﷺ «**أو مخرجيّ هم**»؟

قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا. ثم لم ينشب[3] ورقة أن توفي، وفتر الوحي)[4].

مسألة:

وهنا وقفة مع ختام هذه الآيات: في معنى نزول القرآن في ليلة القدر، وقد ورد الحديث المبين لذلك، وهو قوله ﷺ: «**أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان**»[5].

(١) يقصد به الوحي.

(٢) شابًا.

(٣) لم يلبث، ينظر ما سبق في فتح الباري شرح صحيح البخاري: (١/ ١٩٤)، وما بعدها.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) رواه أحمد: (٤/ ١٠٧)، عن واثلة رضي الله عنه، وحسنه الألباني كما في السلسلة الصحيحة: (١٥٧٥).

فهناك قولان مشهوران للعلماء في ذلك:

- **القول الأول**: أنه نزل جميعه من بيت العزة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل منجمًا، وهو منقول عن ابن عباس رضي الله عنه؛ حيث قال: «أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة من الذكر الذي عند رب العزة، حتى وضع في بيت العزة في السماء الدنيا، ثم جعل جبريل ينزل على محمد بحراء بجواب كلام العباد وأعمالهم»(١).

وقال بمقتضاه جماعة من المفسرين، ومنهم ابن جرير(٢)؛ فلذلك ذهب البعض إلى أن نزول القرآن على النبي ﷺ كان في ربيع الأول.

قال البغوي: «قال قتادة وابن زيد: هي ليلة القدر أنزل الله القرآن في ليلة القدر من أم الكتاب إلى السماء الدنيا، ثم نزل به جبريل على النبي ﷺ نجومًا، في عشرين سنة»(٣).

- **القول الثاني**: أنه بدأ إنزاله في ليلة القدر، ثم تتابع بعد ذلك، وهو قول الجمهور.

قال ابن عطية: «ومعنى هذا النزول: أن ابتداء النزول كان في ليلة القدر، وهذا قول الجمهور. وقالت فرقة: بل أنزله الله جملة ليلة القدر إلى البيت المعمور، ومن هنالك كان جبريل يتلقاه»(٣)، وعلى هذا القول فنزوله على النبي ﷺ كان في رمضان(٤).

والقولان تحتملهما الآية، وإن صح أثر ابن عباس رضي الله عنهما: كان أولى بالاتباع، لكن أسانيده لا ترقى إلى تقرير مثل هذه المسألة العقدية الأصيلة.

ولعل وقوع سورة «القدر»، بعد سورة «اقرأ»، فيه إشارة إلى أن سورة «اقرأ» وقعت في ليلة القدر؛ لذلك قال بعدها: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاه فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾: أي: هذا القرآن ابتدأنا إنزال ما سبق منه في ليلة القدر. والله أعلم.

---

(١) رواه ابن جرير: (٢٨١٢)، وما بعده، بعدة روايات، وابن أبي حاتم: (١٩٤٢٥)، واللفظ له، وطرقه لا تخلو من مقال.

(٢) ينظر تفسير ابن جرير: (٣/ ٤٤٥).

(٣) معالم التنزيل: (٤/ ١٧٢).

(٤) تفسير ابن عطية: (٥/ ٦٨).

المطلب الثاني: تتابع الوحي والتكليف بتبليغه

- قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلاَ تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧)﴾ [المدثر: ١-٧].

- قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) ﴾ [الضحى: ١-٥] .

***

بعد أن نزلت آيات السعادة الأبدية، والحياة الروحية، والطمأنينة القلبية: فتر الوحي أيامًا[(١)]؛ لحكم جليلة، ومقاصد عظيمة، فتطلع النبي ﷺ إلى ذلك الاتصال الفطري بالوحي، وفي ذلك يقول أبوشهبة: « فالفترة إنما كانت ليسترد النبي ﷺ أنفاسه مما حدث له من ضغط جبريل، وما عراه من الهول، والفزع لأول لقاء بين بشر وملك، وليحصل للنبي الشوق إلى لقاء جبريل بعد هذه الفترة»[(٢)].

تشوق النبي ﷺ إلى تلك اللحظات التي غمرته فيها السكينة مع ما خالطها من رهبة المقام، فنزل الوحي مرة أخرى؛ لتبدأ معه أعظم قصة إيمانية عرفتها البشرية.

وكانت الأوامر المتتابعة القاطعة في أول سورة المدثر إيذانًا للرسول ﷺ بأنّ الماضي قد انتهى بمنامه، وهدوئه وسلامه، وأنّه أمام عمل جديد يستدعي اليقظة والتشمير، والإنذار والإعذار، فليحمل الرسالة، وليوجه الناس، وليأنس بالوحي، وليقو على عنائه، فإنه مصدر رسالته، ومدد دعوته[(٣)].

(١) ولم يصح في تحديد المدة شيء، والله أعلم.

(٢) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة: (١/ ٢٦٤).

قيل: هي أيام قليلة، وقيل: أربعون يومًا، وقيل: ستة أشهر، وقيل: سنتان ونصف، وقيل: ثلاث سنين، والراجح أنها أيام غير محددة، لكن يبعد أن تكون أيامًا كثيرة. ينظر: السيرة النبوية لابن هشام: (١/ ٢٤١)، الرحيق المختوم، ص٥٨.

(٣) ينظر: فقه السيرة للغزالي، ص ٩٧.

المعنى الإجمالي للآيات:

أما آيات المدثر:

فمعناها: يا أيها الملتحف بثيابه، ﴿**قُمْ**﴾ بجد ونشاط.

﴿**فَأَنْذِرْ**﴾ الناس بالأقوال والأفعال.

﴿**وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ**﴾ أي: عظمه بالتوحيد، واجعل قصدك في إنذارك وجه الله، وأن يعظمه العباد، ويقوموا بعبادته.

﴿**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**﴾ من النجاسات، وكذلك تحتمل معنى تطهير النفس من الأدران الحسية والمعنوية.

﴿**وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ**﴾: يحتمل أن المراد بالرجز الأصنام والأوثان، فأمره بتركها، والبراءة منها. ويحتمل أن المراد بالرجز أعمال الشر كلها وأقواله.

﴿**وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ**﴾ أي: لا تمنن على الناس بما أسديت إليهم من النعم الدينية والدنيوية، فتتكثر بتلك المنة، بل أحسن إلى الناس مهما أمكنك، ولا تطلب أجره إلا من الله تعالى.

﴿**وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ**﴾ أي: احتسب بصبرك، واقصد به وجه الله تعالى[1].

أما سورة الضحى: فلها تعلق بفترة الوحي، لكنها لا تحمل على الفترة الأولى التي نزلت بعدها سورة المدثر، بل هي فترة ثانية في أثناء دعوته للمشركين؛ ويدل على ذلك أنه في فترة الوحي الأولى لم يكن مأموراً بتبليغ الرسالة، وبالتالي لم يكن المشركون بعد يعرفون الوحي، وما أنزل عليه، وما يدعو إليه.

وبدأ سبحانه السورة بالقسم بالضحى، وهو أول النهار، ثم بالليل إذا سجى أي سكن، وسيأتي ما فيها من هدايات جليلة.

ثم جاء جواب القسم: وهو أن ربك تعالى ما تركك، وما أبعدك وما أبغضك، رداً على ما يزعمه المشركون.

---

(١) تفسير السعدي، ص ٨٩٥، بتصرف.

﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى﴾: «فإنها باقية خالصة عن الشوائب، وهذه فانية مشوبة بالمضار، كأنه لما بين أنه سبحانه وتعالى لا يزال يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا، وعد له ما هو أعلى وأجلّ من ذلك في الآخرة، أو لنهاية أمرك خير من بدايته»[1].

-وقد تحمل الآية على عمومها، فالآخرة في كل شيء خير من أولها.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾: أي يعطي الرسول ﷺ غاية ما يتمناه ويرتضيه في الدنيا من نشر دينه وتمكينه، وفي الآخرة من الشفاعة، ونعيم الآخرة.

هدايات الآيات:

من هدايات آيات المدثر:

- قوله: ﴿الْمُدَّثِّرُ﴾: قال الألوسي: (وقيل المراد بالمدثر: المتدثر بالنبوة، والكمالات النفسانية، على معنى المتحلي بها، والمتزين بآثارها.

وقيل: أطلق الْمُدَّثِّرُ وأريد به الغائب عن النظر على الاستعارة والتشبيه، فهو نداء له بما كان عليه في غار حراء.

وقيل: الظاهر أن يراد بالمدثر وكذا بالمزمل الكناية عن المستريح الفارغ؛ لأنه في أول البعثة، فكأنه قيل له عليه الصلاة والسلام: قد مضى زمن الراحة، وجاءتك المتاعب من التكاليف وهداية الناس.

وأنت تعلم أنه لا ينافي إرادة الحقيقة، وأمر التلطيف على حاله)[2].

- وقوله: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾: أي عشيرتك الأقربين؛ لكونها أول ما نزل في الدعوة، وذكر الإنذار دون التبشير؛ لأنه في بداية الدعوة وأكثر الناس على الشرك فناسب إنذارهم.

(١) تفسير البيضاوي: (٥/ ٣١٩).
(٢) روح المعاني: (١٥/ ١٢٩).

وهذان الوجهان متناسبان مع آية الدعوة الجهرية، وهي قوله تعالى: ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾[الشعراء: ٢١٤]، كما سيأتي.

- وقوله: ﴿**وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ**﴾: فيها الأمر بأول ما يدعى إليه، وهو: توحيد الله تعالى وتعظيمه وتنزيهه عن الشركاء والنقائص.

- كما أن فيها إشارةً إلى أن الأمر كله لله تعالى، فلا يصدنك عن هذه الدعوة أحد ما دام معك الكبير العظيم المتعال.

- وقوله: ﴿**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**﴾: قال السعدي: (يحتمل أن المراد بثيابه، أعماله كلها، وبتطهيرها تخليصها والنصح بها، وإيقاعها على أكمل الوجوه، وتنقيتها عن المبطلات والمفسدات، والمنقصات من شر ورياء، ونفاق، وعجب، وتكبر، وغفلة، وغير ذلك، مما يؤمر العبد باجتنابه في عباداته.

ويدخل في ذلك تطهير الثياب من النجاسة، فإن ذلك من تمام التطهير للأعمال)[(١)]؛ لذلك قال الألوسي: «من لا يرضى بنجاسة ما يماسه كيف يرضى بنجاسة نفسه»[(٢)]، وهي إشارة دقيقة.

- قوله: ﴿**وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ**﴾: قال البقاعي: «أي كل قذر؛ فإنه سبب الدنايا التي هي سبب العذاب، قال في القاموس: الرجز بالكسر والضم: القذر، وعبادة الأوثان، والعذاب، والشرك.

- ﴿**فَاهْجُرْ**﴾: أي جانب جهاراً وعبادة، ليحصل لك الثواب، كما كنت تجانبها سراً وعادة»[(٣)].

- قوله: ﴿**وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ**﴾: من معانيها[(٤)]: لا تمنن عملك على ربك تستكثر، ولا تمنن على الخلق وتستكبر.

(١) تفسير السعدي، ص ٨٩٥.
(٢) روح المعاني: (١٥/ ١٣١).
(٣) نظم الدرر: (٢١/ ٤٤).
(٤) ينظر في معانيه: زاد المسير لابن الجوزي: (٤/ ٣٦١).

- وهذه تربية ربانية لإمام الدعاة، فهي من أوليات مبادئ الدعوة، بعد أن أمره بالتوحيد والتزكية، فشأن الداعية هو حب الخير للخلق، وتمني اهتدائهم جميعًا إلى الحق، لسان حاله قول الداعية الناصح، والرجل الصالح الذي حكى الله تعالى قوله: ﴿**يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ**﴾[يس: ٢٦]، لا يمن عليهم، ولا يستكثر على ربه دعوتهم إليه.

- قوله: ﴿**وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ**﴾: وهنا السياج الإيماني الذي يحيط بهذه الجلائل من الأعمال، وفيه إشارة إلى مصاعب الدعوة، والمجاهدة في ذاته سبحانه وتعالى، مجاهدة التعلم، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً**﴾[المزمل: ٥]، ومجاهدة التعليم: ﴿**وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا**﴾[الفرقان: ٥٢].

وأما هدايات سورة الضحى:

- ففي البدء بالضحى والقسم به: إشارة إلى سطوع شمس الرسالة، وانتشار أنوارها، وانكشاف ظلمات الجاهلية، وانقشاع أوضارها، ومن دقيق ذلك أن تقع بعد سورة الليل، الذي غمر الأرض، وغطى عنها نورها.

- كما أن فيها إشارة إلى المتابعة في الدعوة، والنشاط في تحملها وأدائها، فهو وقت العمل والاجتهاد، كما قال ﷺ: «**اللهم بارك لأمتي في بكورها**»(١).

- وفي قوله تعالى: ﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى**﴾: إشارة إلى رحمة الله تعالى الذي جعل الليل للسكون يأوي إليه الخلق بعد طول تعب، وفي ذلك تسلية للنبي ﷺ بأنه ستطمئن نفسه، وتسكن روحه، وإن تعب جسده، ونصب بدنه.

- وقوله: ﴿**مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى**﴾: هي محل الرد على مقالتهم المتهكمة، فهي جواب القسم، وفيها الشرف العظيم للنبي الكريم؛ حيث تولى الله جل في علاه

(١) أخرجه الترمذي: (١٢١٢)، وأبوداود: (٢٦٠٦)، وابن ماجه: (٢٢٣٦)، وحسنه الترمذي، وصححه الألباني.

الدفاع عنه، والثناء عليه، فهو ما ودعه أي: ما تركه، وما قلاه: أي ما أبغضه، بل أحبه واصطفاه، وأكرمه وأعطاه: ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

- وفي قوله: ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى﴾: تربية إيمانية غاية في التسلية له ﷺ وللدعاة من بعده، فإنه مهما أصابهم من أذى المعارضين فهو لا شيء أمام ما أعده الله تعالى للمصلحين الصادقين، فتذكرُ الآخرة من أعظم خصائص المخلصين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾[ص: ٤٦].

- كما أن فيها بشارة بأن آخر كل أمر خير لك من أوله، على المعنى العام للآية؛ لذلك ذكر بعد ذلك منته بإيوائه من اليتم، وهدايته من الضلال، وإغنائه من الفقر، فعاقبته في كل شيء إلى خير: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾[طه: ١٣٢].

- ثم تتابع المنة العظمى عليه بوعده وتبشيره: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾، كما أكرمك بأن آواك في يتمك، وهداك بعد ضلالك، وأغناك بعد فقرك[1].

- ولذلك جاءت بعدها سورة الشرح، التي فيها زيادة المنة بشرح صدره، ووضع وزره، ورفع ذكره، كما سبق في هداياتها.

- وفي عظمة هذه الآية: قال السعدي: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾وهذا أمر لا يمكن التعبير عنه بغير هذه العبارة الجامعة الشاملة)[2].

صحيح الروايات:

- في سبب نزول سورة المدثر: قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يحدّث عن فترة الوحي، فقال لي في حديثه: «**فبينا أنا أمشي، سمعت صوتًا من السماء، فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالسًا على كرسيّ بين السماء والأرض، ففزعت منه حتى هويت على الأرض، فجئت إلى أهلي، فقلت: زمّلوني،**

(١) وقد سبق بيان هدايات هذه الآيات عند الكلام عن النشأة اليتيمة.
(٢) تفسير السعدي، ص٩٢٨.

زمّلوني، فدثّروني....، فـأنزل الله عز وجلّ: ﴿يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ(٥)﴾[المدثر: ١-٥][(١)].

- وثبت في سبب نزول سورة الضحى: عن جندب بن سفيان - رضي الله عنه - قال: (اشتكى رسول الله -ﷺ- فلم يقم ليلتين أو ثلاثًا، فجاءت امرأة، فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثًا فأنزل الله -عز وجل-: **﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى(٣)﴾**[(٢)].

وفي لفظ عنه -رضي الله عنه- قال: (أبطأ جبريل على رسول الله -ﷺ-، فقال المشركون: قد ودع محمد فأنزل الله -عز وجل-: **﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣)﴾**)[(٣)].



(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم: (٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم: (٢٥٥). وهو أصح مما هو مشهور في كتب السيرة من أن ثاني سورة نزلت هي الضحى، فأسانيدها لا تثبت.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: (**مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى**)، رقم: (٤٩٥٠)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، رقم: (١٧٩٧).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، رقم: (١٧٩٧).

المبحث الثاني: استقبال مكة للرسالة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أمانة الصدع بالدعوة

- قوله تعالى: ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤)**﴾[الشعراء: ٢١٤].

- قوله تعالى: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (٥)**﴾[المسد].

***

استمرت دعوة النبي ﷺ لأصفيائه سرًا؛ خوفًا من بطش أعدائه[1]، حتى جاء الأمر الرباني بالصدع بالحق، والإنذار العام للخلق، فبدأت بعدها موجات التكذيب من أقرب الأقرباء، ونصبت له مجانيق العداء، فتتابعت الآيات التي تخفف عنه هذه الأعباء، وتثبته في هذه الأمانة العظيمة، والمهمة الجسيمة.

فتحكي هذه الآيات طرفًا من تلك الحقبة المتقدمة في حياة النبوة، ومسيرة الدعوة.

المعنى الإجمالي للآيات:

قوله تعالى: ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾:

وأنذر بهذا القرآن قبيلتك الأقربين أي الأدنين في النسب، ولا تحاب أحدًا؛ فإن المقصود الأعظم به النذارة لكف الخلائق عما يثمر الهلاك من اتباع الشياطين الذين اجتالوهم عن دينهم، بعد أن كانوا حنفاء كلهم، وإنذار الأقربين يفهم الإنذار لغيرهم من باب الأولى[2].

---

(١) ولم يصح تحديد مدة معينة في الدعوة السرية، وإنما ذكر ابن إسحاق أنها ثلاث سنوات، بغير إسناد، كما في الروض الأنف: (٣/ ٤٢)، وابن سعد: (١/ ١٩٩)، من طريق الواقدي، وهو متروك.
ينظر: ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية، ص٢٩.

(٢) نظم الدرر: (١٤/ ١٠٧)، بتصرف.

وأما سورة المسد:

فقوله: ﴿**تَبَّتْ**﴾: أي: هلكت أو خسرت، والتباب: خسران يؤدي إلى الهلاك.

﴿**يَدَا أَبِي لَهَبٍ**﴾: أي: نفسه، كقوله: ﴿**وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾ [البقرة: ١٩٥].

وقيل: المراد بهما دنياه وأخراه.

﴿**وَتَبَّ**﴾: إخبار بعد دعاء، والتعبير بالماضي؛ لتحقق وقوعه، أو الأول إخبار عما كسبت يداه، والثاني عن عمل نفسه.

﴿**مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ**﴾: نفي لإغناء المال عنه حين نزل به التباب، أو استفهام إنكار له، ومحلها النصب.

﴿**وَمَا كَسَبَ**﴾: بماله من النتائج والأرباح والوجاهة والأتباع، أو عمله الذي ظن أنه ينفعه، أو ولده عتبة.

﴿**سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ**﴾: ذات اشتعال، وهي نار جهنم.

﴿**وَامْرَأَتُهُ**﴾: عطف على المستتر في «سيصلى»، أو مبتدأ وهي أم جميل أخت أبي سفيان.

﴿**حَمَّالَةَ الْحَطَبِ**﴾: يعني حطب جهنم، فإنها كانت تحمل الأوزار بمعاداة الرسول ﷺ، وتحمل زوجها على إيذائه، أو النميمة فإنها كانت توقد نار الخصومة، أو حزمة الشوك أو الحسك، فإنها كانت تحملها فتنثرها بالليل، في طريق رسول الله ﷺ.

﴿**فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ**﴾: أي مما مسد أي فتل، ومنه رجل ممسود الخلق أي مجدوله، وهو تصوير لها بصورة الحطابة التي تحمل الحزمة، وتربطها في جيدها؛ تحقيراً لشأنها، أو بيانًا لحالها في نار جهنم[1].

(١) ينظر: تفسير البيضاوي: (٥/ ٣٤٥).

هدايات الآيات:

قوله تعالى: ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾:

في تعبير الآية بالإنذار، دون التبشير هدايات دقيقة، ومنها:

- بيان ما هم عليه من الشرك والكفر، والفواحش والمنكرات التي تستوجب الإنذار من مغبتها، والتحذير من عاقبتها، سواء كان ذلك معجلاً في دنياهم، أو مؤخراً في أخراهم.

- كما أن فيها إشارةً إلى أن أعمالهم التي كانوا يفاخرون بها لن تنفعهم إن لم يؤمنوا بربهم، ويتبعوا رسولهم، كما قال تعالى: ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[التوبة: ١٩].

- وفي ذكر العشيرة الأقربين دلالة على أن الداعية يقدم الأقرب إليه قبل الأبعد، قال الزمخشري: (فيه وجهان: **أحدهما**: أن يؤمر بإنذار الأقرب فالأقرب من قومه، ويبدأ في ذلك بمن هو أولى بالبداءة، ثم بمن يليه.

وأن يقدّم إنذارهم على إنذار غيرهم، كما روى عنه عليه السلام: أنه لما دخل مكة قال: «**كل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين، وأوّل ما أضعه ربا العباس**»[1].

والثاني: أن يؤمر بأن لا يأخذه ما يأخذ القريب للقريب من العطف والرأفة، ولا يحابيهم في الإنذار والتخويف)[2].

وأما هدايات سورة المسد فهي عظيمة جليلة:

- منها: تسلية النبي ﷺ في كربته، ومواساته في غربته، بأن هذا الرجل المكذب لن يضر إلا نفسه، ولن يستطيع حجب هذا النور المبين الذي جاء به.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم: (١٢١٨).
(٢) الكشاف: (٣/ ٣٣٩).

- وفيها: بشارة بأن العاقبة لهذه الرسالة، وإن بادرها قومك بالتكذيب، فإن مآلها إلى النصر والتمكين؛ ولذلك قال ﷺ على الصفا في حجته بعد أكثر من عشرين سنة، وهو يتذكر النصر بعد التكذيب، والقوة بعد الاستضعاف، والغلبة بعد الاستخفاف: «**لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده**»[1]، وهو من أسرار هذا الذكر على الصفا في الحج والعمرة، فكأنه يقول: هذا الموضع هو أول موضع صدع فيه بكلمة التوحيد، وهو أول موضع صد فيه عن الدعوة، وظهر فيه مجاهر بالكفر، فها هو الآن يصدع بالتوحيد، ويشع منه نور الرسالة للعالمين.

- فيها: إشارة إلى أن العبرة ليست بالنسب والحسب والجمال، فأبو لهب اجتمعت له هذه الثلاثة؛ فهو عمه، وهو من أشراف قومه، ومن جماله ووضاءته لقب بأبي لهب، ومع كل ذلك: فلا نسب له ولا شفيع في الدنيا ولا في الآخرة؛ لعدم إيمانه.

- ومن فوائدها: أن أبا لهب هو الكافر الوحيد برسالة النبي ﷺ الذي ذكر باسمه في القرآن؛ وذلك لأنه أول مكذب به، فيبوء بإثم كل من تبعه؛ لذلك حذر الله تعالى من المبادرة بالكفر، فقال تعالى: ﴿**وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ**﴾[البقرة: ٤١]، فهو أعظم من غيره جرمًا؛ لذلك خص بهذه السورة التي خلدت شقاءه، إلى أن يلقى جزاءه.

- ومن أسرار ذكر أبي لهب بكنيته -مع أنها كنية مدح؛ كني بها لبياضه وجماله- ما يلي:

١- أن اسمه عبدالعزى، فلم يذكر بهذا الاسم الشركي، تنزيهًا للقرآن الذي أنزل لمحاربة الشرك والتنديد[2].

٢- أنها كنية مناسبة لمآله في الآخرة؛ لذلك قال: ﴿**سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ**﴾، ففيها روعة الجناس[3].

٣- أنه اشتهر بها بين العرب، فبمجرد ذكرها يعرف من المقصود بها.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم: (١٢١٨).

(٢) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي: (٤/ ٥٠٢).

(٣) هو من أنواع البديع، ومعناه: تشابه اللفظين في التلفظ، ينظر: شرح بغية المبتدي ص٨٤.

- ومن هدايات هذه السورة: أنها ذكرت بعد سورة النصر؛ فكأني بها بعد تبشير النبي ﷺ بالنصر، ودخول الناس في دين الله أفواجًا: تذكّر بأول شقي بهذه الرسالة، وتبين أنه لم يضر بتكذيبه إلا نفسه، وأنه لو آمن لكان خيراً له؛ ليلحق بفوج الفائزين، ويكون من السابقين الأولين من المؤمنين.

- ومن هداياتها: أنه جاءت بعدها سورة الإخلاص، وبيان صفات الكمال لذي الجلال، فكأنّ فيها إشارةً إلى شقاء من يجحد ألوهية هذا الإله الحق، الذي فُطر على عبادته، وتعظيمه كافة الخلق.

صحيح الروايات:

- قال ابن عباس رضي الله عنهما: (لما نزلت الآية: ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ [الشعراء: ٢١٤]، صعد النبي ﷺ على الصّفا، فجعل ينادي: «**يا بني فهر، يا بني عدي**»- لبطون قريش- حتى اجتمعوا، فجعل الذي لم يستطع أن يخرج، يرسل رسولاً لينظر ما هو؟ فجاء أبو لهب، وقريش.

فقال النبي ﷺ: «**أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدّقي؟**» قالوا: ما جرّبنا عليك كذبًا.

قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد!!**».

فقال أبو لهب: تبًا لك سائر اليوم! ألهذا جمعتنا؟!

فنزل قوله تعالى: ﴿**تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ.. السورة**﴾)[1].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ، حين أنزل الله عليه: ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾، فقال: «**يا معشر قريش! اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا بني عبد المطلب! لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبدالمطلب!**

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ**﴾ [الشعراء: ٢١٤- ٢١٥] ألن جانبك، رقم: (٤٧٧٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾، رقم: (٣٥٥).

لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول الله! لا أغني عنك من الله شيئًا، يا فاطمة بنت رسول الله سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئًا»[1].

- وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: «لما نزلت: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ**﴾: أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب، ولها ولولة، وفي يدها فهر[2]، وهي تقول:

مذممًا أبينا ودينه قلينا وأمره عصينا

والنبي ﷺ جالس في المسجد، ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله قد أقبلت، وأنا أخاف أن تراك.

فقال رسول الله ﷺ: «**إنها لن تراني**».

وقرأ قرآنًا فاعتصم به، كما قال تعالى، وقرأ: ﴿**وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا**﴾[الإسراء: ٤٥].

فوقفت على أبي بكر، ولم تر رسول الله ﷺ.

فقالت: يا أبا بكر إني أُخبرت أن صاحبك هجاني.

فقال: لا ورب هذا البيت ما هجاك.

فولت، وهي تقول: قد علمت قريش أني بنت سيدها»[3].

وهنا فائدة استطرادية وهي قصة عجيبة ذكرها الإمام القرطبي عن نفسه بمناسبة هذه الآيات، فقال: ««قلت: ولقد اتفق لي ببلادنا الأندلس بحصن «منثور»من أعمال

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ**﴾ [الشعراء: ٢١٤- ٢١٥] ألن جانبك، رقم: (٤٧٧١)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**﴾، رقم: (٣٥١).

(٢) الفهْر: الحجر ملء الكف، وقيل: هو: الحجر مطلقًا. النهاية: (٣/ ٤٨١).

(٣) أخرجه الحاكم: (٢/ ٣٦١) وقال: (صحيح الإسناد)، ووافقه الذهبي، وأخرجه ابن حبان: (٢١٠٣)، وأبو نعيم: (ص ٦١) من طريق أخرى عن ابن عباس نحوه. وصححه ابن أبي حاتم أيضًا كما في الدر المنثور: (٤ / ١٨٦)، وله عنده شاهد من حديث أبي بكر. ينظر: صحيح السيرة للألباني، ص١٣٨.

قرطبة مثل هذا. وذلك أني هربت أمام العدو وانحزت إلى ناحية عنه، فلم ألبث أن خرج في طلبي فارسان، وأنا في فضاء من الأرض قاعد، ليس يسترني عنهما شيء، وأنا أقرأ أول سورة «يس» وغير ذلك من القرآن، فعبرا عليَّ ثم رجعا من حيث جاءا، وأحدهما يقول للآخر: هذا «ديبلة»، يعنون شيطانًا. وأعمى الله عز وجل أبصارهم فلم يروني، والحمد لله حمدًا كثيرًا على ذلك»[1].



(١) تفسير القرطبي: (١٠/ ٢٧٠).

المطلب الثاني: التربية الإيمانية

- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً (٧) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً (٩) وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً (١٠) وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً (١١)﴾[المزمل: ١-١١].

***

بدأت هنا مرحلة التربية الإيمانية، والصناعة الربانية، لسيد البشرية، فأمره (بأن يختار على الهجود التهجد، وعلى التزمّل التشمّر، والتخفف للعبادة، والمجاهدة في الله، لا جرم أنّ رسول الله ﷺ قد تشمر لذلك مع أصحابه حق التشمر، وأقبلوا على إحياء لياليهم، ورفضوا له الرقاد والدعة، وتجاهدوا فيه حتى انتفخت أقدامهم، واصفرت ألوانهم، وظهرت السيمى في وجوههم، وترامى أمرهم إلى حد رحمهم له ربهم، فخفف عنهم)[1].

المعنى الإجمالي للآيات:

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾: «يا أيها المتغطي بثيابه، قم للصلاة في الليل إلا يسيراً منه، قم نصف الليل، أو انقص من النصف قليلاً، حتى تَصلَ إلى الثلث، أو زد على النصف حتى تصل إلى الثلثين، واقرأ القرآن بتُؤَدَة وتمهُّلٍ مبيِّنًا الحروف والوقوف.

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾: إنا سننزل عليك -أيها النبي- قرآنًا عظيمًا مشتملاً على الأوامر، والنواهي، والأحكام الشرعية.

(١) الكشاف للزمخشري: (٤/ ٦٣٦).

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾: إن العبادة التي تنشأ في جوف الليل هي أشد تأثيرًا في القلب، وأبين قولاً؛ لفراغ القلب من مشاغل الدنيا.

﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً﴾: إن لك في النهار تصرفًا وتقلبًا في مصالحك، واشتغالاً واسعًا بأمور الرسالة، ففرِّغْ نفسك ليلاً لعبادة ربك.

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾: واذكر -أيها النبي- اسم ربك، فادعه به، وانقطع إليه انقطاعًا تامًا في عبادتك، وتوكل عليه. هو مالك المشرق والمغرب، لا معبود بحق إلا هو، فاعتمد عليه، وفوِّض أمورك إليه.

﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً﴾: واصبر على ما يقوله المشركون فيك وفي دينك، وخالفهم في أفعالهم الباطلة، مع الإعراض عنهم، وترك الانتقام منهم.

﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً﴾: دعني -أيها الرسول- وهؤلاء المكذبين بآياتي، أصحاب النعيم والترف في الدنيا، ومهِّلهم زمنًا قليلاً بتأخير العذاب عنهم، حتى يبلغ الكتاب أجله بعذابهم»[1].

هدايات الآيات:

ومن هدايات هذه الآيات، ما يلي:

- ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ «نداؤه عليه الصلاة والسلام بذلك تأنيس له، وملاطفة على عادة العرب في اشتقاق اسم للمخاطب من صفته التي هو عليها، كقوله ﷺ لعلي رضي الله عنه حين غاضب فاطمة رضي الله عنها، فأتاه وهو نائم، لصق بجنبه التراب: «**قم أبا تراب**»[2]؛ قصدًا لرفع الحجاب، وطي بساط العتاب، وتنشيطًا له ليتلقى ما يرد عليه بلا كسل»[3].

(١) التفسير الميسر، ص ٥٧٤.

(٢) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم: (٢٤٠٩).

(٣) روح المعاني للآلوسي: (١٥/ ١١٣).

- ﴿ **قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ : فيها : أن بداية التمكين تبدأ من الزاد الروحي، والتربية الإيمانية، والتعبد لله تعالى، فإذا أرادت الأمة استعادة رفعتها، وشرفها فلتكن البداية من هذه التربية[1]، كما قال ﷺ : «**أتاني جبريل، فقال: يا محمد: عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت، فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس**»[2].

- ﴿**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً**﴾ : فيه بيان لعظمة كلام الله تعالى، الذي لو أنزل على جبل لتصدع، كما قال تعالى : ﴿**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[الحشر : ٢١]، وقال تعالى : ﴿**وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى**﴾[الرعد : ٣١] . أي : لكان ذلك .

وفيه : بيان لعظم المسؤولية، وثقل الأمانة، التي أشفقت منها السموات والأرض والجبال، كما قال تعالى : ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً**﴾[الأحزاب : ٧٢].

- ﴿**نَاشِئَةَ اللَّيْلِ**﴾ : العبادة التي تنشأ بالليل هيَ أشَدُّ كلفة، أو ثبات قدم، وقرأ أبو عمرو وابن عامر : «وطْئًا» بكسر الواو وألف ممدودة، أي مواطأة القلب اللسان لها، أو فيها، أو موافقة لما يراد منها من الخضوع والإخلاص .

- ﴿**وَأَقْوَمُ قِيلاً**﴾ : أي وأسد مقالاً، أو أثبت قراءة؛ لحضور القلب، وهدوء الأصوات[3].

---

(١) ينظر : وقفات تربوية، ص٧٥ .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط : (١ / ٦١)، والحاكم في المستدرك : (٤ / ٣٢٤ - ٣٢٥)، وقال : «صحيح الإسناد» ، ووافقه الذهبي، وله طرق يتقوى بها؛ لذلك حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة : (٨٣١)، (١٩٠٣).

(٣) تفسير البيضاوي : (٥/ ٢٥٦) .

وقال العز بن عبدالسلام: ﴿أَشَدُّ وَطْئًا﴾ (مواطأة قلبك وسمعك وبصرك، أو مواطأة قولك بعملك أو نشاطًا؛ لأنه في زمان راحتك، أو أشدّ وأثبت وأحفظ للقراءة.

﴿وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾: أبلغ في الخير، وأمنع من العدو، أو أصوب للقراءة، وأثبت للقول؛ لأنه زمان التفهم، أو أعجل إجابة للدعاء)[1].

﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً﴾: فيها دلالة على أن الليل هو وقت المناجاة، وأما النهار فهو وقت العمل والشغل، قال الزمخشري: (سَبْحًا: تصرفًا وتقلبًا في مهماتك وشواغلك، ولا تفرغ إلا بالليل، فعليك بمناجاة الله التي تقتضي فراغ البال، وانتفاء الشواغل)[2].

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾: فيها: أن الذكر من أعظم المعينات على الدعوة، كما أنه معين على الجهاد؛ حيث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الأنفال: ٤٥].

والدعوة أحد الجهادين بل هي أولاهما؛ لأنها غاية، وأما جهاد السنان: فهو وسيلة لتحقيق الدعوة بالحجة والبرهان، كما قال تعالى: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[الفرقان: ٥٢]، وقال ﷺ: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**»[3].

- وقد ذكر الرازي هداية دقيقة في ذكر «اسم ربك»، فقال: (﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ هاهنا وقال في آية أخرى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعراف: ٢٠٥]؛ لأنه لا بد في أول الأمر من ذكر الاسم باللسان مدة، ثم يزول الاسم ويبقى المسمى.

فالدرجة الأولى: هي المراد بقوله هاهنا: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾.

والمرتبة الثانية: هي المراد بقوله في السورة الأخرى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾.

---

(١) تفسير العز بن عبدالسلام: (٣/ ٣٨٠).

(٢) الكشاف: (٤/ ٦٣٩).

(٣) أخرجه أبوداود، كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو، رقم: (٢٥٠٤)، وصححه الألباني في صحيح السنن.

وإنما تكون مشتغلاً بذكر الرب، إذا كنت في مقام مطالعة ربوبيته، وربوبيته عبارة عن أنواع تربيته لك، وإحسانه إليك، فما دمت في هذا المقام تكون مشغول القلب بمطالعة آلائه ونعمائه، فلا تكون مستغرق القلب به، وحينئذ يزداد الترقي فتصير مشتغلاً بذكر إلهيته)[1].

وفي قوله: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾: إشارة إلى الإقبال التام على الله تعالى، وأن هذا الذكر ليس مجرد همهمات باللسان، بل لا بد من استحضار الجنان تعظيمًا وتوكلاً وإقبالاً على المنان سبحانه وتعالى.

﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾: وفيها: أن استحضار معاني الربوبية وعظمة الملكوت من أهم ما يحمل على تمام التوكل، والإقبال والاستعانة، التي يهون معها جميع الخلق، ويعظم معها بيان الحق.

﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾: فيها: أن الصبر من أعظم مطايا الدعوة، وقد أوصى الله به في سورة المدثر أيضًا، وكثيراً ما يوصي الله تعالى الدعاة المصلحين بالصبر كما في سورة العصر، وفي قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[الأحقاف: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، وفي ذلك إشارة إلى مشاق الدعوة، وابتلاءاتها.

﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً﴾:

- فيها: الحكمة في الدعوة، والرحمة واللين حتى في الهجر؛ ولذلك قال الزمخشري في دلالتها: (الهجر الجميل: أن يجانبهم بقلبه وهواه، ويخالفهم مع حسن المخالقة، والمداراة، والإغضاء، وترك المكافأة. وعن أبي الدرداء رضى الله عنه: «إنَّا لنكشر في وجوه قوم، ونضحك إليهم، وإن قلوبنا لتقليهم»[2][3].

(١) مفاتيح الغيب: (٣٠/ ٦٨٦).

(٢) لتقليهم: أي لتبغضهم، والأثر أخرجه البخاري في صحيحه تعليقًا في كتاب الأدب، باب المداراة مع الناس(٨/ ٣١): ويذكر عن أبي الدرداء: إنا لنكشر في وجوه أقوام، وإن قلوبنا لتلعنهم. ووصله البيهقي في الشعب: (٧٧٤٩).

(٣) الكشاف: (٤/ ٦٤٠).

- وفيها: تنويع وسائل الدعوة بحسب ما يناسب المدعو، من المخالطة والهجر، واللين والحزم.

﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً﴾:

- فيها: أن على الرسول بذل جهده، وأن الله تعالى قد كفل له دفع المكذبين عن ضره، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[الحجر: ٩٥].

- وفيها: دلالة على أن التكذيب بعد النعمة أعظم جرمًا، كما أن المعصية بعد النعمة أعظم إثمًا، كما قال تعالى: ﴿وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران: ١٥٢].

صحيح الروايات:

ورد تفصيل ذلك عن عائشة رضي الله عنها، - فعن زرارة: (أن سعد بن هشام بن عامر أراد أن يغزو في سبيل الله. فقدم المدينة. فأراد أن يبيع عقارًا له بها. فيجعله في السلاح والكراع، ويجاهد الروم حتى يموت.

فلمّا قدم المدينة، لقي أناسًا من أهل المدينة، فنهوه عن ذلك. وأخبروه أن رهطًا ستة أرادوا ذلك في حياة نبي الله -ﷺ- فنهاهم نبي الله -ﷺ-. وقال: «**أليس لكم فيّ أسوة؟**» فلما حدّثوه بذلك راجع امرأته.

وقد كان طلقها، وأشهد على رجعتها.

فأتى ابن عباس فسأله عن وتر رسول الله -ﷺ-، فقال ابن عباس: ألا أدلّك على أعلم أهل الأرض بوتر رسول الله -ﷺ-؟!

قال: من؟ قال: عائشة. فأتها فاسألها. ثم ائتني فأخبرني بردّها عليك.

فانطلقتُ إليها. فأتيتُ على حكيم بن أفلح. فاستلحقته إليها.

فقال: ما أنا بقاربها؛ لأني نهيتها أن تقول في هاتين الشيعتين شيئًا فأبت فيهما إلا مُضيًا. قال: فأقسمتُ عليه. فجاء. فانطلقنا إلى عائشة. فاستأذنا عليها.

فأذنت لنا، فدخلنا عليها، فقالت: أحكيم؟ (فعرفته) فقال: نعم. فقالت: من معك؟

قال: سعد بن هشام. قالت: من هشام؟ قال: ابن عامر.

فترحّمتْ عليه. وقالت خيراً. (قال قتادة: أصيب يوم أحد).

فقلتُ: يا أم المؤمنين! أنبئيني عن خُلُق رسول الله - ﷺ -.

قالت: ألستَ تقرأ القرآن؟ قلتُ: بلى. قالت: فإن خُلق نبي الله - ﷺ - كان القرآن. قال: فهممتُ أن أقوم، ولا أسأل أحداً عن شيء حتى أموت، ثم بدا لي، فقلت: أنبئيني عن قيام رسول الله - ﷺ -.

فقالت: ألستَ تقرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ ؟ قلت: بلى.

قالت: فإن الله عز وجل افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام نبي الله -ﷺ- وأصحابه حولاً، وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهراً في السماء، حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة.

قال: قلت: يا أم المؤمنين! أنبئيني عن وتر رسول الله - ﷺ -.

فقالت: كنا نعُدّ له سواكه وطهوره، فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل، فيتسوّك ويتوضأ ويُصلي تسع ركعات، لا يجلس فيها إلا في الثامنة)[1].

في قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾: قال أبو هريرة - رضي الله عنه -: (كان رسول الله - ﷺ - إذا أوحى إليه لم يستطع أحد منا يرفع طرفه إليه حتى ينقضي الوحي)[2].

(١) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل، برقم: (٧٤٦).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: (٢/ ٢٢٢)- كتاب التفسير، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وله شاهد صحيح عند مسلم، ينظر: صحيح الجامع: (٤٥٦٢).

المطلب الثالث: السابقون الأولون

- قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١)﴾ [الليل: ١٧-٢١].

- قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠)﴾ [عبس: ١-١٠].

- قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨)﴾[الكهف: ٢٨].

***

الآيات الأولى ليست متصلة مباشرة بالحديث عن النبي ﷺ، فهي تتحدث عن الصديق الأكبر، أبي بكر رضي الله عنه، وتلقيه للرسالة، ومسارعته بالإيمان، قال الزبير- رضي الله عنه-، في نزولها: (نزلت في أبي بكر الصديق)[1].

ومن حق الصديق علينا أن نذكره هنا وهو أول السابقين، وأعظم من نصر سيد المرسلين، وهاجر معه وجاهد في سبيل رب العالمين.

فهو الرجل الأول الذي ارتبط اسمه برسول الله ﷺ، وهو الرجل الأول الذي ثبت له شرف الصحبة خالصًا في القرآن، في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾.

وثبت له وسام ثاني اثنين، في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾.

(١) تفسير الطبري: (٢٤/ ٤٧٩)، ورواه عن قتادة أيضًا.

ونزلت فيه بشارة: ﴿لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة: ٤٠].

كيف لا يذكر أبو بكر في هذه السيرة المباركة، وقد ذكره الله تعالى في هذه المقامات، وخلد ذكره في هذه الآيات؟!

كيف لا يذكر، وقد قال ﷺ فيه: «**إن أمنّ الناس عليّ في ماله وصحبته أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن أخوة الإسلام، لا تبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر**»(١).

وقال فيه: «**ما نفعني مالٌ ما نفعني مال أبي بكر**»(٢).

وقال فيه: «**إن الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبت. وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي، فهل أنتم تاركو لي صاحبي**»(٣)؟!

ولما سُئل عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما- عن أول من أسلم: أرشد سائله إلى أبيات من الشعر قالها شاعر الإسلام حسان بن ثابت:

إذا تذكرت شجوًا من أخي ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أتقاها وأعْدَلها ... بعد النبي وأوفاها بما حملا

الثاني التالي المحمود مشهده ... وأول الناس منهم صدق الرسلا(٤)

ففي هذه الآيات بيان لأعظم صفات المؤمنين، التي يترقون بها في مدارج الصديقية؛ اقتداءً بسيد الصديقين أبي بكر رضي الله عنه، نزلت في مكة لتربية المؤمنين الذين اختاروا طريق الهداية؛ ليزدادوا إيمانًا وصلاحًا وثباتًا.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب الخوخة والممر في المسجد، رقم (٤٦٦)، وغيره، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، رقم (٢٣٨٢).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب (٣٦٦١)، وابن ماجه في المقدمة (٩٤)، وأحمد (٢/ ٢٥٣، ٢/ ٣٦٦).

(٣) رواه البخاري، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب: قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلاً»، رقم: (٣٦٦١).

(٤) حديثٌ حسنٌ، رواه الحاكم: (٣/ ٦٤) وابن أبي شيبة، ويعقوب بن سفيان. سيرة ابن كثير: (١/ ٤٣٥). وقد رواه الحاكم من طريق، ورواه ابن سفيان من طريق آخر، وفي كل منهما ضعف ليس بالشديد، ففي طريق الحاكم: مجالد بن سعيد بن عمير وهو ليس بالقوي. وفي سند ابن سفيان تابعي مجهول، والطريقان يقوي بعضهما بعضًا. ينظر السيرة النبوية للصوياني: (١/ ٧٤).

وفي سورة «عبس» عتاب شديد أنزله الله سبحانه، ووجهه إلى نبيه ﷺ، ولو لم يكن محمد ﷺ نبيًا لأخفى ذلك العتاب ومحاه، ولم يُطلع عليه أحدًا، لكنها النبوة، لكنه الأمين.

ترى كم يساوي ذلك الأعمى المسكين عند الله تعالى؟!

لقد استحق نزول آيات الجبار، تعاتب فيه نبيه المختار، إنه في ميزان الإسلام: رجل مسلم، اختار الله ورفض الأوثان، ولن يفرق الإسلام يومًا بين مسكين وثَري، فالجميع بنيان متراص، وطاقات متناغمة، تسير بالإنسانية نحو جمال الحياة وصفائها، وكما أن لهؤلاء المشركين حق الدعوة والتبشير: فإن لهذا المسكين ولكل المساكين حقوقًا، لقد أدب الله نبيه ﷺ فأحسن تأديبه[1].

وفي آية الكهف بيان لشرف أولئك السابقين الأولين الذين أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يصبر نفسه معهم، ويقدمهم على غيرهم، ممن هم أعظم جاهًا، فلم تعد المقاييس بعد ذلك إلا إيمانية لا محل للقبلية أو الطبقية: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[الحجرات: ١٣].

المعنى الإجمالي للآيات:

أولا: الآيات الأولى:

- ﴿**وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى**﴾ أي: وسيزحزح عن النار التقي النقي الأتقى.
- ثم فسره بقوله: ﴿**الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى**﴾: أي: يصرف ماله في طاعة ربه؛ ليزكي نفسه، وماله، وما وهبه الله من دين ودنيا.
- ﴿**وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى**﴾ أي: ليس بذله ماله في مكافأة من أسدى إليه معروفًا، فهو يعطي في مقابله ذلك، وإنما دفعه ذلك ﴿**إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى**﴾: أي: طمعًا في أن يحصل له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات، قال الله

(١) ينظر: المرجع السابق، وقد ورد حديث بلفظ: «**أدبني ربي فأحسن تأديبي**»، ولا يصح، قال عنه ابن حجر: غريب، وقال عنه السخاوي: سنده ضعيف، ولا شك أن معناه صحيح. انظر: المقاصد الحسنة للسخاوي، ص ٢٩، وفيض القدير على الجامع الصغير للمناوي: (١/ ٢٣٥).

تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ أي: ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات»[1].

ثانيًا: سورة عبس:

- ﴿عَبَسَ﴾: أي: قطَّب وكلح، وهو النبي ﷺ.
- ﴿وَتَوَلَّى﴾: أي: أعرض بوجهه.
- ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾: أي: لأن جاءه، أي: بسبب مجيء الأعمى، وهو ابن مكتوم، واسمه عمرو بن قيس. وقيل: اسمه عبد الله بن عمرو.
- ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾: أي: يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح، وما يتعلمه منك.
- ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾: أي: يتعظ بما يتعلمه من مواعظ القرآن فتنفعه الموعظة.
- ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى﴾: استغنى عن الله تعالى، وعن الإيمان، بماله وجاهه.
- ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾: الأصل: تتصدى، ولكن حذفت التاء الثانية لاجتماع تاءين، والمعنى: تقبل عليه بوجهك، وتتعرض له.
- ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى﴾: أي شيء عليك في أن لا يسلم من تدعوه إلى الإسلام؟ يعني: أنه ليس عليه إلا البلاغ.
- ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى﴾: فيه قولان: **أحدهما**: يمشي. **والثاني**: يعمل في الخير، وهو يخشى الله تعالى.
- ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾: أي تتلهى، كما في قراءة، والمعنى: تتشاغل عنه[2].

ثالثًا: آية الكهف:

- ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾: احبس نفسك وثبتها، واجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه،

(١) تفسير ابن كثير: (٨/ ٤٢٢).

(٢) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي: (٤/ ٤٠٠).

ويحمدونه ويسبحونه، ويكبرونه، ويسألونه، بكرة وعشيًا، من عباد الله، سواء كانوا فقراء أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء.

وسيأتي أنها نزلت في أشراف قريش، حين طلبوا من النبي ﷺ أن يجلس معهم وحده، ولا يجالسهم بضعفاء أصحابه: كبلال وعمار وصهيب وخباب وابن مسعود، وليفرد أولئك بمجلس على حدة.

فنهاه الله عن ذلك، وأمره أن يصبر نفسه في الجلوس مع هؤلاء الضعفاء[1].

هدايات الآيات:

في الآيات الأولى عدة هدايات، منها:

- فضل المسابقة في الخيرات، فمن أعظم فضائل أبي بكر أنه أول السابقين، المصدقين والمناصرين لرسالة الأمين ﷺ.
- وفيها: أهمية بذل المال، وأنه علامة صدق الاتباع؛ ولذلك سمي الإنفاق صدقة، وقد قال ﷺ: «**والصدقة برهان**»[2]، أي دليل على صدق الإيمان.
- وفيها: حث المؤمنين على بذل أموالهم في نصرة الدين، فهو من أهم ضروريات نشره وظهوره؛ ولذلك ذكره هنا دون غيره.
- فيها: أن الصدقة لا تقبل إلا بالإخلاص، وابتغاء وجه الله تعالى وتعظيمه، وبه يتفاضل المؤمنون، وهو السر الأصيل في تقديم أبي بكر على سائر أصحاب النبي ﷺ، كما قال بكر بن عبدالله المزني: (ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة، ولكن بشيء وقر في صدره)[3].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير: (٥/ ١٥٢).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء (٢٢٣).

(٣) قال الألباني في السلسلة الضعيفة -تحت رقم (٩٦٢): لا أصل له مرفوعًا.
قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء: (١/ ٣٠ و ١٠٥): رواه الترمذي الحكيم في النوادر، من قول بكر بن عبد الله المزني، ولم أجده مرفوعًا. وأقره الحافظ السخاوي في المقاصد الحسنة، رقم: (٩٧٠).

وأما سورة عبس فهي تتضمن هدايات كثيرة، مما يتعلق بالسيرة، منها ما يلي:

- فيها: بيان عظيم خلق النبي ﷺ؛ حيث لم ينهر الأعمى، ولم يزجره، ولكنه عبس وأعرض، وكلها أفعال لا يراها الأعمى، ولا يتلمسها.

- وفيها: بليغ تربية الله تعالى لنبيه ﷺ؛ حيث منعه حتى من العبوس لمن لا يراه أصلاً، وفي ذلك تنبيه لما هو أعظم مما يُرى ويُسمع ويحسُّ.

- وفيها: رفق الله تعالى بنبيه ﷺ، ومكانته عنده؛ حيث لم يصرح بمخاطبته، وإنما ذكر عتابه بضمير الغائب، وفي ذلك دلالة على لطافة المحاورة القرآنية، والمحبة الربانية.

- وفيها: تعليم للدعاة والمربين بضرورة تقدير ذوي الهيئات، ومراعاتهم وإن أخطأوا، كما قال ﷺ: «**أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود**»(١).

-وفيها: فضل ابن أم مكتوم، فهذه السورة تزكية مدخرة له إلى يوم القيامة، تشرف بها لسبقه للإيمان، وصدقه في معرفة الخير، وطلب الحق، وتعلم الوحي؛ لذلك أكرمه النبي ﷺ ليكون داعية لأعظم عمل، وهو الأذان الذي فيه النداء للصلاة خلف رسول الله ﷺ.

- وفيها: الحث على دعوة الجميع دون تمييز بين كبيرهم وصغيرهم، غنيهم وفقيرهم، عظيمهم وضعيفهم.

- وفيها: عدم احتقار شيء من المعروف، أو استقلال علم تبلغه، أو خير تقدمه، فلا يعلم في أي شيء تكون البركة والنفع.

- وفيها: تغليب إحسان الظن بالمدعوين، فالهداية من خالص حق الله تعالى، وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

وأما آية سورة الكهف، فمن هداياتها:

- أن التقوى هي مقياس التفاضل، فبها يكون الحب والعداء، والمنع والعطاء.

- وفيها: المساواة بين المؤمنين، ومحاربة الطبقية الجاهلية، والعصبية القبلية.

(١) رواه أبوداود، كتاب الحدود، باب في الحد يشفع فيه، رقم: (٤٣٧٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: (٣/ ٨٢٧)، والسلسلة الصحيحة (٦٣٨).

-قوله: ﴿بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾: قال الرازي: (المراد أن الغداة هي الوقت الذي ينتقل الإنسان فيه من النوم إلى اليقظة، وهذا الانتقال شبيه بالانتقال من الموت إلى الحياة.

والعشي: هو الوقت الذي ينتقل الإنسان فيه من اليقظة إلى النوم، ومن الحياة إلى الموت، والإنسان العاقل يكون في هذين الوقتين كثير الذكر لله، عظيم الشكر لآلاء الله، ونعمائه)[1].

- قوله: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾: هذه تزكية ربانية عظيمة لأولئك السابقين، وبيان عبادتهم بالغداة والعشي، وهو أمر ظاهر، مع إخلاصهم لله، وابتغائهم مرضاته، فهؤلاء هم من يُصاحبون؛ ولذلك اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ونصرته.

- قوله: ﴿وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ﴾: فيه إشارة إلى تعظيمهم وعدم ازدرائهم، قال الشنقيطي: «أي: لا تتجاوزهم عيناك وتنبو عن رثاثة زيهم، محتقراً لهم، طامحًا إلى أهل الغنى والجاه والشرف، بدلا منهم»[2].

- قوله: ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: قال السعدي: «فإن هذا ضار غير نافع، وقاطع عن المصالح الدينية، فإن ذلك يوجب تعلق القلب بالدنيا، فتصير الأفكار والهواجس فيها، وتزول من القلب الرغبة في الآخرة، فإن زينة الدنيا تروق للناظر، وتسحر العقل، فيغفل القلب عن ذكر الله، ويقبل على اللذات والشهوات، فيضيع وقته، وينفرط أمره، فيخسر الخسارة الأبدية، والندامة السرمدية، ولهذا قال: ﴿وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾، غفل عن الله، فعاقبه بأن أغفله عن ذكره»[3].

(١) التفسير الكبير: (٢١/ ٤٥٥).
(٢) أضواء البيان: (٣/ ٢٦٤).
(٣) تفسير السعدي، ص ٤٧٥ .

- قوله: ﴿وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾: قال الرازي: (يدل على أن شر أحوال الإنسان أن يكون قلبه خاليًا عن ذكر الحق، ويكون مملوءًا من الهوى الداعي إلى الاشتغال بالخلق، وتحقيق القول إن ذكر الله نور، وذكر غيره ظلمة؛ لأن الوجود طبيعة النور، والعدم منبع الظلمة)(١).

- قوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾: قال السعدي: «فهذا قد نهى الله عن طاعته؛ لأن طاعته تدعو إلى الاقتداء به، ولأنه لا يدعو إلا لما هو متصف به، ودلت الآية، على أن الذي ينبغي أن يطاع، ويكون إمامًا للناس، من امتلأ قلبه بمحبة الله، وفاض ذلك على لسانه، فلهج بذكر الله، واتبع مراضي ربه، فقدمها على هواه، فحفظ بذلك ما حفظ من وقته، وصلحت أحواله، واستقامت أفعاله، ودعا الناس إلى ما منَّ الله به عليه، فحقيق بذلك، أن يتبع ويجعل إمامًا، والصبر المذكور في هذه الآية، هو الصبر على طاعة الله، الذي هو أعلى أنواع الصبر، وبتمامه تتم باقي الأقسام.

- وفي الآية: استحباب الذكر والدعاء والعبادة طرفي النهار؛ لأن الله مدحهم بفعله، وكل فعل مدح الله فاعله، دل ذلك على أن الله يحبه، وإذا كان يحبه فإنه يأمر به، ويرغب فيه»(٢).

- وفي الآية: أن أكثر من سارع بالاستجابة إلى الرسول ﷺ من الضعفاء، وهكذا أتباع الرسل، كما قال تعالى عن قوم نوح: ﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾[هود: ٢٧]، وقال عن قوم موسى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾[الأعراف: ١٣٧].

صحيح الروايات:

أما قصة ذلك العتاب فهي أن مسلمًا مسكينًا ضرير البصر اسمه: عبد الله بن أم مكتوم: (أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: أرشدني -وعند رسول الله ﷺ- رجل من

(١) التفسير الكبير: (٢١/ ٤٥٧).
(٢) تفسير السعدي، ص ٤٧٥.

عظماء المشركين-، فجعل النبي ﷺ يعرض عنه، ويقبل على الآخر، ويقول: أترى بما أقول بأسًا، فيقول: لا)[1]، فأنزل الله آياته تصححُ الخطأ، وتجبرُ الكسر[2].

عن خباب بن الأرت رضي الله عنه، قال: «جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة ابن حصن الفزاري، فوجدوا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدًا في ناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حول النبي ﷺ حقروهم، فأتوه فخلوا به، وقالوا: إنا نريد أن تجعل لنا مجلسًا تعرف لنا به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا العرب مع هذه الأعبد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم، إن شئت. قال: «**نعم**».

قالوا: فاكتب لنا عليك كتابًا.

قال: فدعا بصحيفة ودعا عليًا ليكتب -ونحن قعود في ناحية- فنزل جبرائيل عليه السلام فقال: ﴿**وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنعام: ٥٢].

ثم ذكر الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن، فقال: ﴿**وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلاَءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ**﴾[الأنعام: ٥٣].

ثم قال: ﴿**وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾ [الأنعام: ٥٤]، فألقى رسول الله ﷺ الصحيفة من يده ثم دعانا.

قال: فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته، وهو يقول: ﴿**سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾.

---

(١) إسنادُهُ صحيحٌ، رواه ابن جرير (٣٠/ ٣٢)، والواحدي (٢٩٧) والحاكم والترمذيُّ وأبو يعلى، من طريق سعيد بن يحيى بن سعيد بن أبان الأموي، عن أبيه عن هشام عن أبيه عروة عن عائشة، وسعيد ووالده ثقتان، انظر التهذيب (١١/ ٢١٣) و(٤/ ٩٨) وهشام ووالده ثقتان معروفان، فالسند صحيح، ينظر: السيرة النبوية للصوياني: (١/ ١٤٩).

(٢) ينظر: السيرة النبوية للصوياني: (١/ ١٤٧).

وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا؛ فأنزل الله: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ**﴾: ولا تجالس الأشراف؛ ﴿**تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا**﴾ يعني: عيينة والأقرع، ﴿**وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾: قال: هلاكًا، قال: أمر عيينة والأقرع، ثم ضرب لهم مثل الرجلين، ومثل الحياة الدنيا).

قال خباب: «فكنا نقعد مع النبي ﷺ، فإذا بلغنا الساعة التي يقوم فيها، قمنا وتركناه حتى يقوم»[1].

وعن سعد رضي الله عنه، قال: «كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترؤون علينا.

قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه، فأنزل الله عز وجل: ﴿**وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**﴾[الأنعام: ٥٢]»[2].

وظاهر السبب الأول أن ذلك كان في المدينة، والثاني أنه كان في مكة، وهو الأقرب؛ لكون السورة مكية، ولأنه أصح إسنادًا من الأول، قال ابن عطية: (سبب هذه الآية: أن عظماء الكفار، قيل: من أهل مكة، وقيل: عيينة بن حصن وأصحابه، والأول أصوب؛ لأن السورة مكية، قالوا لرسول اللَّه ﷺ: لو أبعدت هؤلاء عن نفسك لجالسناك، وصحبناك، يريدون عمار بن ياسر وصهيب بن سنان وسلمان

(١) أخرجه ابن ماجة: (٤١٢٧) والسياق له وابن جرير: (٧/ ٢٠١) وابن أبي شيبة أيضًا وأبو يعلى وأبو نعيم في (الحلية) وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الدلائل، كما في الدر المنثور: (٣/ ١٣)، قال الألباني: (وإسناده صحيح كما قال البوصيري. وله شاهد عن ابن مسعود مختصراً. أخرجه أحمد: (١/ ٤٢٠) وابن جرير: (٧/ ٢٠٠) من طريق أشعث عن كردوس الثعلبي عنه. وسنده صحيح إن كان أشعث بن أبي الشعثاء. ثم ترجح عندي أنه ابن سوار وفيه ضعف؛ لأنه ممن رواه عن حفص بن غياث). صحيح السيرة للألباني ص ٢٢٣.

(٢) أخرجه مسلم (٢٤١٣) وابن ماجه (٤١٢٨) وابن جرير (٧/ ٢٠٢) والحاكم (٣/ ٣١٩) وقال: (صحيح على شرط الشيخين)، ووافقه الذهبي.

الفارسي وابن مسعود، وغيرهم من الفقراء كبلال، ونحوه، وقالوا: إن ريح جباتهم تؤذينا، فنزلت الآية بسبب ذلك)[1].

لكن ذكره لسلمان الفارسي غير دقيق؛ لأنه مذكور في السبب المرجوح عنده، فقد كان إسلام سلمان في المدينة. والله أعلم.



(١) المحرر: (٣/ ٥١٢).

المطلب الرابع: إسلام الجن

- قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧) وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (٩) وَأَنَّا لاَ نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠) وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (١١) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا (١٢) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلاَ رَهَقًا (١٣)﴾[الجن: ١-١٣].

- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَنْ لاَ يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٢)﴾[الأحقاف: ٢٩-٣٢].

***

لم تكن الرسالة النبوية مقصورة على الإنس، بل كانت رسالة عامة للعالمين من الجن والإنس، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٧]؛ لأنها رسالة لتحقيق العبودية لله تعالى، وهي مكلف بها الإنس والجن، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦].

ولذلك قيض الله تعالى نفراً من الجن لاستماع القرآن، بعد أن حيل بينهم وبين خبر السماء، فطافوا في الأرض حتى علموا برسالة النبي ﷺ، ونزول القرآن عليه، فأنصتوا إليه، فتعجبوا منه، وآمنوا به، ورجعوا إلى قومهم منذرين.

وفي ذلك إكرام للنبي ﷺ، وبيان لعالمية رسالته.

والجن عالم له خصائصه، وهم غير عالم الإنس، وعالم الملائكة، وخُلقوا من نار، كما قال تعالى: ﴿**وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ**﴾[الرحمن: ١٥]، وقال تعالى: ﴿**وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ**﴾[الحجر: ٢٧]، وقال ﷺ: «**خلقتْ الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**»[(١)]، قال النووي: «المارج: اللهب المختلط بسواد النار»[(٢)].

وسموا جنًا لاستتارهم عن أعين الإنس، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ**﴾ [الأعراف: ٢٦]، وتتشكل على هيئات متعددة، قال ﷺ: «**الجن ثلاثة أصناف: فصنف يطير في الهواء، وصنف حيّات وكلاب، وصنف يحلون ويظعنون**»[(٣)].

وقيل: بأن إبليس هو أبو الجن، كما أن آدم عليه السلام أبو الإنس، قال قتادة: (كان الحسن يقول في قوله: ﴿**إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ**﴾: إلجاء إلى نسبه، وما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن، كما أن آدم أصل الإنس)[(٤)].

المعنى الإجمالي للآيات:

أولا: آيات سورة الجن:

- ﴿**قُلْ**﴾: يا أيها الرسول للناس ﴿**أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ**﴾: صرفهم الله لسماع آياته؛ لتقوم عليهم الحجة، ويكونوا نذراً لقومهم.

(١) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، برقم: (٢٩٩٦).
(٢) شرح مسلم: (١٨/ ١٢٣).
(٣) أخرجه الحاكم: (٣٧٠٢)، وقال: هذا حَديث صحيحُ الإسناد ولم يخرّجاه، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الأسماء والصفات: (٨٢٧)، بإسناد صَحيح، كما في صحَيح الجامع: (٣/ ٨٥).
(٤) تفسير الطبري: (١/ ٢٢٦).

فلما أنصتوا فهموا معانيه، ووصلت حقائقه إلى قلوبهم، ﴿**فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا**﴾: أي: من العجائب الغالية، والمطالب العالية.

- ﴿**يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ**﴾: لكل ما يرشد الناس إلى مصالح دينهم ودنياهم، ﴿**فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا**﴾ فجمعوا بين الإيمان الذي يدخل فيه جميع أعمال الخير، وبين التقوى، المتضمنة لترك الشر، وجعلوا السبب الداعي لهم إلى الإيمان وتوابعه، ما علموه من إرشادات القرآن.

- ﴿**وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا**﴾: أي: تعالت عظمته، وتقدست أسماؤه، ﴿**مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا**﴾ فعلموا من جد الله وعظمته، ما دلهم على بطلان من يزعم أن له صاحبة أو ولدًا؛ لأنه يضاد كمال الغنى.

- ﴿**وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا**﴾: أي: قولًا جائرًا عن الصواب، متعديًا للحد، وما حمله على ذلك إلا سفهه وضعف عقله.

- ﴿**وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا**﴾: أي: كنا مغترين قبل ذلك، وغرنا القادة والرؤساء من الجن والإنس، فأحسنا بهم الظن، وظنناهم لا يتجرؤون على الكذب على الله؛ فلذلك كنا قبل هذا على طريقهم.

- ﴿**وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا**﴾: أي: كان الإنس يعبدون الجن، ويستعيذون بهم عند المخاوف والأفزاع، فزاد الإنس الجن رهقًا، أي: طغيانًا وتكبرًا لما رأوا الإنس يعبدونهم، ويستعيذون بهم.

ويحتمل أن الضمير في زادوهم يرجع إلى الجن، ضمير الواو أي: زاد الجن الإنس ذعرًا وتخويفًا لما رأوهم يستعيذون بهم؛ ليلجئوهم إلى الاستعاذة بهم.

- ﴿**وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا**﴾ أي: فلما أنكروا البعث أقدموا على الشرك والطغيان.

- ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ أي: أتيناها واختبرناها، ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾ عن الوصول إلى أرجائها، والدنو منها، ﴿وَشُهُبًا﴾ يرمى بها من استرق السمع، وهذا بخلاف عادتنا الأولى، فإنا كنا نتمكن من الوصول إلى خبر السماء.

- ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾: فنتلقف من أخبار السماء ما شاء الله.

- ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾: أي: مرصدًا له، معدًا لإتلافه وإحراقه.

- ﴿وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ أي: لا بد من هذا أو هذا؛ لأنهم رأوا الأمر تغير عليهم تغيرًا أنكروه، فعرفوا بفطنتهم أن هذا الأمر يريده الله، ويحدثه في الأرض، وفي هذا بيان لأدبهم؛ إذ أضافوا الخير إلى الله تعالى، والشر حذفوا فاعله تأدبًا مع الله.

- ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾: أي: فسّاق وفجار وكفار، ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾: أي: فرقًا متنوعة، وأهواء متفرقة، كل حزب بما لديهم فرحون.

- ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾: أي: وأنا في وقتنا الآن تبين لنا كمال قدرة الله تعالى، وكمال عجزنا، وأن نواصينا بيد الله تعالى، فلن نعجزه في الأرض، ولن نعجزه إن هربنا وسعينا بأسباب الفرار والخروج عن قدرته، لا ملجأ منه إلا إليه.

- ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى﴾ وهو القرآن الكريم، الهادي إلى الصراط المستقيم، وعرفنا هدايته وإرشاده، فأثر في قلوبنا فـ﴿آمَنَّا بِهِ﴾.

ثم ذكروا ما يرغب المؤمن فقالوا: ﴿فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ﴾ إيمانًا صادقًا ﴿فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا﴾؛ أي: لا نقصًا ولا طغيانًا ولا أذى يلحقه، وإذا سلم من الشر حصل له الخير، فالإيمان سبب داع إلى حصول كل خير وانتفاء كل شر[1].

(١) ينظر: تفسير السعدي ص ٨٩٠.

ثانيًا: آيات سورة الأحقاف:

«واذكر -أيها الرسول- حين بعثنا إليك، طائفة من الجن يستمعون منك القرآن، فلما حضروا، ورسول الله ﷺ يقرأ، قال بعضهم لبعض: أنصتوا؛ لنستمع القرآن، فلما فرغ الرسول من تلاوة القرآن، وقد وعَوه وأثَّر فيهم، رجعوا إلى قومهم منذرين ومحذرين لهم بأس الله، إن لم يؤمنوا به.

قالوا: يا قومنا إنا سمعنا كتابًا أنزل من بعد موسى، مصدقًا لما قبله من كتب الله التي أنزلها على رسله، يهدي إلى الحق والصواب، وإلى طريق صحيح مستقيم.

يا قومنا أجيبوا رسول الله محمدًا إلى ما يدعوكم إليه، وصدِّقوه واعملوا بما جاءكم به، يغفر الله لكم من ذنوبكم، وينقذكم من عذاب مؤلم موجع.

ومن لا يُجبْ رسول الله إلى ما دعا إليه: فليس بمعجز الله في الأرض إذا أراد عقوبته، وليس له من دون الله أنصار يمنعونه من عذابه، أولئك في ذَهاب واضح عن الحق»[1].

هدايات الآيات:

أولا: آيات سورة الجن:

- «افتتاح السورة بالأمر بالقول يشير إلى أن ما سيذكر بعده حدث غريب، وخاصة بالنسبة للمشركين الذين هم مظنة التكذيب به، كما يقتضيه قوله: ﴿**كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا**﴾ حسبما يأتي»[2].

-وفي هذا الخبر بيان لعدم علم النبي ﷺ بالغيب، وإنما يعلم من ذلك ما أوحاه الله تعالى إليه فحسب؛ لذلك كان ختام هذه السورة مؤكدًا على ذلك، في قوله تعالى: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا**﴾[الجن: ٢٦-٢٧].

(١) التفسير الميسر ص ٥٠٦.

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: (٢٩/ ٢١٨).

- وفيها رد على مزاعم المشركين من أن النبي ﷺ ربما أخذ هذا القرآن من الجن، «فتجيء الشهادة من الجن أنفسهم بهذه القضايا التي يجحدونها ويجادلون فيها، وبتكذيب دعواهم في استمداد محمد من الجن شيئًا.

والجن لم يعلموا بهذا القرآن إلا حين سمعوه من محمد ﷺ؛ فهالهم وراعهم ومسهم منه ما يدهش ويذهل، وملأ نفوسهم وفاض، حتى ما يملكون السكوت على ما سمعوا».

- وفيها مناسبة دقيقة لما قبلها: فقد «أنزل الله تعالى سورة الجن، وجعلها إثر سورة نوح؛ تبكيتًا لقريش والعرب في كونهم تباطؤوا عن الإيمان، وكانت الجن خيراً منهم؛ إذ أقبل للإيمان من أقبل منهم، وهم من غير جنس الرسول عليه الصلاة والسلام، حتى كادوا يكونون عليه لبدًا»[1].

وقد ذكر الطاهر بن عاشور -رحمه الله- جملة من الهدايات العامة لهذه الآيات، منها:

- إثبات كرامة للنبي ﷺ بأن دعوته بلغت إلى جنس الجن، وإفهامهم فهم معان من القرآن الذي استمعوا للنبي ﷺ، وفهم ما يدعو إليه من التوحيد والهدى، وعلمهم بعظمة الله وتنزيهه عن الشريك والصاحبة والولد.

- وإبطال عبادة ما يعبد من الجن.

- وإبطال الكهانة، وبلوغ علم الغيب إلى غير الرسل الذين يطلعهم الله على ما يشاء.

- وإثبات أن لله خلقًا يدعون الجن، وأنهم أصناف منهم الصالحون، ومنهم دون ذلك بمراتب.

- وتضليل الذين يتقولون على الله ما لم يقله، والذين يعبدون الجن، والذين ينكرون البعث، وأن الجن لا يفلتون من سلطان الله تعالى.

---

(١) روح المعاني للآلوسي: (١٥/ ٩١). لبدًا: أي جماعات بعضها فوق بعض. ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب: (١٢/ ٧٧٧٥).

- وتعجبهم من الإصابة برجوم الشهب المانعة من استراق السمع، وفي المراد من هذا المنع والتخلص من ذلك إلى ما أوحى الله إلى رسوله ﷺ[1].

ثانيًا: آيات سورة الأحقاف:

- ﴿**وَإِذْ صَرَفْنَا**﴾: فيها: أن الأمر كله لله تعالى، وأنه يصرف من شاء إلى ما يشاء، فليس على الداعي إلا البلاغ المبين، وأن هداية الخلق هي بمحض فضل الله تعالى.

- وفيها: عظيم فضل الله تعالى على رسوله ﷺ؛ حيث صرف له الجن لما أعرض عن سماع رسالته كثير من الإنس من أهل مكة.

- ﴿**قَالُوا أَنْصِتُوا**﴾: فيها أدب الإنصات إلى القرآن، وأن من تأدب معه، وأنصت إليه بسمعه وقلبه فإنه سيجد أثره، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾[ق: ٣٧].

- ﴿**وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ**﴾: فيها إتباع العلم بالعمل والدعوة، كما قال تعالى: ﴿**خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[البقرة: ٦٣].

- ﴿**إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**﴾: فيها بيان وحدة دين الأنبياء، وأن كل نبي يصدق من قبله.

- وفيها: معرفة الجن بالرسالات السابقة؛ ولذلك بادروا بالإيمان عند سماع القرآن.

- وفيها: تعظيمهم لله تعالى، وعلمهم بأنه سبحانه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فمن تمرد على رسله فليس له أولياء ينصرونه من دون الله تعالى.

صحيح الروايات:

- بدأت ثورة الجن منذ مبعث النبي ﷺ، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: (ما سمعت عمر، لشيء قط يقول: إني لأظنه كذا إلا كان كما يظن.

(١) التحرير والتنوير: (٢٩/ ٢١٧).

بينما عمر جالس؛ إذ مر به رجل جميل، فقال: لقد أخطأ ظني، أو إن هذا على دينه في الجاهلية، أو: لقد كان كاهنهم، على الرجل، فدعي له.

فقال له ذلك، فقال: ما رأيت كاليوم استقبل به رجل مسلم.

قال: فإني أعزم عليك إلا ما أخبرتني، قال: كنت كاهنهم في الجاهلية.

قال: فما أعجب ما جاءتك به جنيتك؟

قال: بينما أنا يومًا في السوق، جاءتني أعرف فيها الفزع، فقالت:

ألم تر الجن وإبلاسها ويأسها من بعد إنكاسها ولحوقها بالقلاص، وأحلاسها[1]؟

قال عمر: صدق بينما أنا نائم، عند آلهتهم إذ جاء رجل بعجل فذبحه، فصرخ به صارخ، لم أسمع صارخًا قط أشد صوتًا منه يقول:

يا جليح، أمر نجيح[2]، رجل فصيح، يقول: لا إله إلا الله.

فوثب القوم، قلت: لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا.

ثم نادى: يا جليح، أمر نجيح، رجل فصيح، يقول لا إله إلا الله.

فقمت، فما نشبنا أن قيل: هذا نبي)[3].

- عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: (انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عُكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشُهب، فرجعت الشياطين، فقالوا: ما لكم؟

فقالوا: حِيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشُهب.

---

(١) (إبلاسها): تحيرها، وقيل: صيرورتها مثل إبليس حائرًا.
(إنكاسها): انتكاسها وهو الانقلاب على الرأس.
(بالقلاص): جمع قلوص وهي الناقة الشابة.
(أحلاسها): جمع حلس، وهو كساء رقيق يوضع تحت ما يجلس عليه الراكب على ظهر الدابة.

(٢) (جليح): اسم رجل ناداه به، ومعناه الوقح الكاشف بالعداوة.
(نجيح): من النجاح وهو الظفر بالحوائج. ما سبق من تعليق البغا على البخاري: (٥/ ٤٨).

(٣) رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رقم: (٣٨٦٦).

قال: ما حالَ بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث؟

فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض، ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء؟

قال: فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة، وهو عامد إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابهَ صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمّعوا له، فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء.

فهنالك رجعوا إلى قومهم، فقالوا: يا قومنا، إنا سمعنا قرآنا عجبًا يهدي إلى الرشد فآمنا به، ولن نشرك بربنا أحدًا.

وأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ: ﴿**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ**﴾، وإنما أوحي إليه قول الجن)[1].

- عن معن بن عبد الرحمن قال: (سمعت أبي قال: سألت مسروقًا: من آذن النبي ﷺ بالجن ليلة استمعوا القرآن؟

فقال: حدثني أبوك - يعني عبد الله - أنه آذنت بهم شجرة)[2].

- عن علقمة قال: (قلتُ لابن مسعود -رضي الله عنه -: هل صحب النبي ﷺ ليلة الجن منكم أحد؟

قال: ما صحبه منا أحد، ولكن قد افتقدناه ذات ليلة وهو بمكة، فقلنا: اغتيل أو استُطير ما فُعل به؟ فبتنا بشرّ ليلة بات بها قوم، حتى إذا أصبحنا، أو كان في وجه الصبح، إذا نحن به يجيء من قبل حراء.

قال: فذكروا له الذي كانوا فيه، فقال: «**أتاني داعي الجن، فأتيتهم، فقرأت عليهم**»، فانطلق فأرانا أثرهم وأثر نيرانهم.

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب سورة الجن، رقم: (٤٩٢١)، ومسلم، كتاب الأذان، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، رقم: (٤٤٩).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب ذكر الجن وقول الله تعالي (قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن) رقم: (٣٨٥٩). وعبد الله: هو ابن مسعود. ومعنى آذن: أي أعلم، (الفتح ٧/ ٢١٠).

قال الشعبي: وسألوه الزاد، وكانوا من جن الجزيرة.

فقال: «كل عظم يذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما كان لحمًا، وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم»، فقال رسول الله ﷺ: «**فلا تستنجوا بهما فإنهما زاد إخوانكم الجن**»[1].



(١) أخرجه الترمذي، كتاب التفسير، برقم: (٣٢٥٨)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، وأخرجه مسلم من طريق علي بن حجر به نحوه. ومن طريق عبد الأعلى عن داود به نحوه. صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، رقم: (٤٤٩).

المبحث الثالث: الابتلاءات والشبهات والمساومات والبشارات

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الابتلاءات في ذات الله

- قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)﴾ [العنكبوت: ٢-٣] .

- قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠)﴾[البروج: ٤-١٠].

- قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣) أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (١٤) كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلا لاَ تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (١٩)﴾[العلق: ٩-١٩].

***

بعد أن أعلن النبي ﷺ رسالة التوحيد، ورفع رايتها عالية خفاقة: بدأت تتوالى الابتلاءات، وتتتابع الكربات؛ أسوة بسنن إخوانه السابقين، من الأنبياء والمرسلين، كما قال تعالى عنهم: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[البقرة: ٢١٤]، «لقد افترش العذاب هذه الأجساد

الطاهرة، وطاب له المقام، فغرز أنيابه بلا رحمة، بلا شفقة، يشرحها ويشرب من دمها، وقهقهات السكارى، والطواغيت حول هذه الأجساد المطروحة، لا تجد من يخرسها، حتى رسول الله ﷺ لا يستطيع أن يفعل شيئًا، وكيف يفعل، وهو لا يستطيع حماية نفسه من هؤلاء الأوغاد؟!

لقد اضطر الصحابة إلى اتخاذ إجراء يحمون به رسولهم، فكانوا يتناوبون في حراسته ليلاً ونهارًا؛ فالنهار لا يخلو من السفهاء والمتهورين، والليل مثقل بخناجر الغدر يسددها المتلثمون»[1].

وقد ذكر الله تعالى ذلك في آيات كثيرة، فذكر إيذاء أبي جهل للنبي ﷺ، وذكر قصصًا عظيمة في الابتلاء في القرآن المكي؛ تسلية للنبي الأمين، وثبيتًا لقلوب المؤمنين، كما في قصة أصحاب الأخدود.

المعنى الإجمالي للآيات:

الآيات الأولى:

- الاستفهام في قوله: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ**﴾، للإنكار.

والمعنى: أن الناس لا يتركون دون فتنة، أي: ابتلاء واختبار، لأجل قولهم: آمنا، بل إذا قالوا: آمنا فتنوا، أي: امتحنوا واختبروا بأنواع الابتلاء؛ حتى يتبين بذلك الابتلاء الصادق في قوله: آمنا من غير الصادق.

وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة، جاء مبينًا في آيات أخر من كتاب الله، كقوله تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾، وقوله: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**﴾، وقوله تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ**﴾، وقوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا**

(١) السيرة النبوية للصوياني: (١/ ٨٩).

﴿أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾، الآية، وقوله تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، إلى غير ذلك من الآيات، وقد أشار تعالى إلى ذلك بقوله هنا: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾، الآية[1].

آيات قصة الأخدود:

- ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ أي: لُعِنُوا وهلكوا.

والأخدود: شق يشق في الأرض، والجمع: أخاديد.

وهؤلاء قوم حفروا حفائر في الأرض، وأوقدوا فيها النار، وألقَوا فيها من لم يكفر.

- ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾: هذا بدل من «الأخدود» كأنه قال: قتل أصحاب النار.

- ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾: أي: عند النار. وكان الملك وأصحابه جلوسًا على الكراسي عند الأخدود، يعرضون المؤمنين على الكفر، فمن أبى ألْقَوْه.

- ﴿وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾: أي: حضور، فأخبر الله عزّ وجلّ في هذه الآيات بقصة قوم بلغ من إيمانهم ويقينهم أن صبروا على التحريق بالنار، ولم يرجعوا عن دينهم.

- ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾: أنكروا عليهم إيمانهم.

- ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: لم يَخْفَ عليه ما صنعوا، فهو شهيد عليهم بما فعلوا.

---

(١) أضواء البيان: (٦/ ١٥٥).

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾: أي: أحرقوهم، وعذّبوهم.

- ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾: من شركهم، وفعلهم ذلك.

- ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾: بكفرهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾: بما أحرقوا المؤمنين(١).

آيات سورة العلق:

- ﴿أَرَأَيْتَ﴾ أيها الناهي للعبد إذا صلى ﴿إِنْ كَانَ﴾ العبد المصلي ﴿عَلَى الْهُدَى﴾: العلم بالحق والعمل به، ﴿أَوْ أَمَرَ﴾ غيره ﴿بِالتَّقْوَى﴾.

فهل يحسن أن ينهى، من هذا وصفه؟ أليس نهيه، من أعظم المحادة لله، والمحاربة للحق؟!

فإن النهي لا يتوجه إلا لمن هو في نفسه على غير الهدى، أو كان يأمر غيره بخلاف التقوى.

-﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ﴾ الناهي بالحق ﴿وَتَوَلَّى﴾ عن الأمر، أما يخاف الله ويخشى عقابه؟

- ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ ما يعمل ويفعل؟.

- ثم توعده إن استمر على حاله، فقال: ﴿كَلا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ﴾ عما يقول ويفعل ﴿لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ﴾: أي: لنأخذن بناصيته، أخذًا عنيفًا، وهي حقيقة بذلك، فإنها ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾: أي: كاذبة في قولها، خاطئة في فعلها.

- ﴿فَلْيَدْعُ﴾ هذا الذي حق عليه العقاب ﴿نَادِيَهُ﴾: أي: أهل مجلسه، وأصحابه، ومن حوله؛ ليعينوه على ما نزل به، ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾: أي: خزنة جهنم، لأخذه وعقوبته، فلينظر: أي الفريقين أقوى وأقدر؟

فهذه حالة الناهي وما توعد به من العقوبة، وأما حالة المنهي، فأمره الله تعالى أن لا يصغى إلى هذا الناهي، ولا ينقاد لنهيه، فقال: ﴿كَلا لا تُطِعْهُ﴾: فإنه لا يأمر إلا بما

(١) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي: (٤/ ٤٢٦).

فيه خسارة الدارين، ﴿وَاسْجُدْ لربك وَاقْتَرِبْ﴾ منه في السجود وغيره من أنواع الطاعات والقربات، فإنها كلها تدني من رضاه وتقرب منه[1].

هدايات الآيات:

الآية الأولى:

-فيها: أن «الإيمان ليس كلمة تقال، إنما هو حقيقة ذات تكاليف، وأمانة ذات أعباء، وجهاد يحتاج إلى صبر، وجهد يحتاج إلى احتمال.

فلا يكفي أن يقول الناس: آمنا، وهم لا يتركون لهذه الدعوى، حتى يتعرضوا للفتنة فيثبتوا عليها، ويخرجوا منها، صافيةً عناصرهم، خالصة قلوبهم، كما تفتن النار الذهب؛ لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به-، وهذا هو أصل الكلمة اللغوي، وله دلالته وظله وإيحاؤه- وكذلك تصنع الفتنة بالقلوب».

-وفيها: كمال عدل الله تعالى وإقامته الحجة على خلقه؛ فالله تعالى يعلم كل شيء، لكنه سبحانه يوقع ما سبق علمه؛ ليحاسب الخلق على كسبهم، وما اقترفوا بجوارحهم.

- **وقال الجزائري: (من هداية الآيات:**

١- بيان سنة أن الإيمان يصدق بالأعمال، أو يكذب.

٢- بيان إمكان التكليف بما يشق على النفس فعله أو تركه، ولكن ليس بما لا يطاق.

٣- تحذير المغترين من العقوبة وإن تأخرت زمنًا ما، فإنها واقعة لا محالة)[2].

آيات قصة الأخدود:

- فيها: بيان تربص أهل الكفر بالمؤمنين، وأنهم متى وجدوا إليهم سبيلاً: لم يرقبوا فيهم إلاّ ولا ذمة، وهذا يحمل المؤمنين على دوام اليقظة، والحذر من مكرهم.

---

(١) ينظر: تفسير السعدي، ص ٩٣٠.

(٢) أيسر التفاسير: (٤/ ١١١).

- وفيها: أن الابتلاء سنة ماضية؛ ليميز الله الخبيث من الطيب، ويمحص المؤمنين، ويهذب نفوسهم، ويتخذ منهم شهداء، ويرفع درجاتهم.

- فيها: الوعيد الشديد، والتهديد الأكيد لكل من آذى أولياء الله تعالى، فالله عز وجل بعظمته وكبريائه هو من تولى الدفاع عنهم، والانتقام لهم، وهذا برد يقين على قلوبهم.

- فيها: أنه سبحانه لم يذكر لنا من وصفهم شيئًا إلا أنهم أصحاب الأخدود، وفي ذلك تحقير لشأنهم، وبيان لشناعة فعلهم الذي أحبط جميع أوصافهم.

- **وذكر الزمخشري بعض هداياتها، ومنها:**

«أن السورة وردت في تثبيت المؤمنين، وتصبيرهم على أذى أهل مكة، وتذكيرهم بما جرى على من تقدّمهم: من التعذيب على الإيمان، وإلحاق أنواع الأذى، وصبرهم وثباتهم، حتى يأنسوا بهم، ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم، ويعلموا أن كفارهم عند الله بمنزلة أولئك المعذبين المحرقين بالنار، ملعونون أحقاء بأن يقال فيهم: قتلت قريش، كما قيل: قتل أصحاب الأخدود، وقتل: دعاء عليهم، كقوله: ﴿**قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ**﴾ وقرئ: قتّل، بالتشديد»[1].

آيات سورة العلق:

- قوله: ﴿**أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى**﴾: استفهام يفيد تعظيم شناعة هذا الفعل، فإن أفضل عمل المؤمن الصلاة، والنهي عنها هو من أعظم المنكر، كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[البقرة: ١١٤].

- قوله: ﴿**عَبْدًا**﴾: قال الرازي: (قال: ينهى عبدًا، ولم يقل: ينهاك، وفيه فوائد:

- أحدها: أن التنكير في «عبدًا» يدل على كونه كاملاً في العبودية، كأنه يقول: إنه عبد لا يفي العالم بشرح بيانه، وصفة إخلاصه في عبوديته.

(١) الكشاف: (٤/ ٧٢٩).

- وثانيها: أن هذا أبلغ في الذم؛ لأن المعنى أن هذا دأبه وعادته، فينهى كل من يرى.
- وثالثها: أن هذا تخويف لكل من نهى عن الصلاة)[1].

- قوله: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾:

فيها: أن هذه هي وظيفة النبي ﷺ، وهي أنه:

- على الهدى بإقامة الصلاة، وعبادة الله.
- ويدعو إلى التقوى بالرسالة التي كلف بها، فهو مهتد في نفسه، هاد لغيره.

- قوله: ﴿عَلَى الْهُدَى﴾: قال البقاعي: «وعبر بأداة الاستعلاء إشارة إلى أنه في غاية الثبات والتمكن فقال: ﴿عَلَى الْهُدَى﴾ أي الكامل في الهداية، فكُفَّ عن نهي هذا المصلي عن خدمة مولاه، الذي هو معترف بسيادته، وإن ادعى كذبًا أن له شريكًا»[2].

- قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾: «المقصود من الآية التهديد بالحشر والنشر، والمعنى أنه تعالى عالم بجميع المعلومات، حكيم لا يهمل، عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، فلا بد وأن يوصل جزاء كل أحد إليه بتمامه فيكون هذا تخويفًا شديدًا للعصاة، وترغيبًا عظيمًا لأهل الطاعة»[3].

- ﴿كَلا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾: قال البقاعي: «وهو أشرف ما فيه، والعرب لا تأنف من شيء أنفتهم من أخذ الناصية، وإذا انتهكت حرمة الأشرف فما بالك بغيره»[4].

- ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾: فيها أن محل التكذيب والتصديق والإدراك والتصور هو الناصية؛ لذلك وصفها الله تعالى بالكذب والخطأ والضلال[5].

(١) التفسير الكبير: (٣٢/ ٢٢٢).
(٢) نظم الدرر: (٢٢/ ١٦٤).
(٣) التفسير الكبير: (٣٢/ ٢٢٣).
(٤) نظم الدرر: (٢٢/ ١٧٠).
(٥) ينظر: موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

وقد تكرر في القرآن والسنة ذكر الناصية، كما في قوله تعالى: ﴿**مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[هود: ٥٦]، وقوله تعالى: ﴿**يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ**﴾[الرحمن: ٤١]، وقوله ﷺ: ﴿**أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته**﴾[1].

لذلك قال ابن عثيمين: «ولا يبعد أن الناصية هي محل الإقدام؛ لأنها هي مقدم الرأس، والرأس هو محل التفكير والتصور، فلا يبعد أن الله أراد هذا المعنى، وإن كان في ظني والله أعلم: أن الناس في ذلك العهد لا يعلمون بهذا الشيء، لكن لا مانع إذا شهد الحس والأمر الواقع لمعنى صحيح يقاربه القرآن، أقول: لا مانع من أن نقول إنه دال عليه»[2].

-﴿**فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ**﴾: ذكره للزبانية فيه إشارة إلى أن مأواه النار، ومآله إليها.

واعترض بعض الملاحدة المعاصرين على الآية[3]، فقالوا بأن الله تعالى بعظمته وقدرته كيف يتحدى مخلوقًا ضعيفًا حقيرًا بأنه سيدعو له الملائكة، وهو قادر على إهلاكه في طرفة عين!

والجواب -والله أعلم-: أن في ذلك إظهارًا لكثرة جنوده وعظمتهم، وهم الذين يعبدونه، ويطيعونه ولا يعصونه، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ**﴾[المدثر: ٣١].

كما أن الإهلاك بجنود يرونهم أبلغ في إقامة الحجة عليهم من إهلاكهم بالأخذ أو الصيحة أو الريح، ونحو ذلك مما أهلك الله تعالى به الأمم قبلهم، ولله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة، وهو أعلم بما يصلح عباده.

---

(١) رواه مسلم، في كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم: (٢٧١٣).
(٢) موقع فتاوى ابن عثيمين (الشبكة).
(٣) كما في أحد المواقع الإلحادية !!!

- ﴿كَلا لاَ تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ :

- فيها : أن السجود لله تعالى هو المفزع عند البلاء، والملجأ إذا اشتدت الضراء، كما قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ(٩٨)﴾ .

- وفيها : أن السجود من أشرف العبادات التي تقرب إلى الله تعالى، كما قال ﷺ : «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء**»[1] .

صحيح الروايات:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال : (قال أبو جهل : هل يُعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال : فقيل : نعم .

فقال : واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته . أو لأعَفرنَّ وجهه في التراب . قال : فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي . زعم ليطأ على رقبته .

قال : فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقى بيديه . قال : فقيل له : ما لك؟

فقال : إن بيني وبينه لخندقًا من نار، وهولاً وأجنحة .

فقال رسول الله ﷺ : «**لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً**» . قال فأنزل الله عز وجل -لا ندري في حديث أبي هريرة، أو شيء بلغه- : ﴿**كَلا إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى (٧) إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْداً إِذَا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى** -يعني أبا جهل- **أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (١٤) كَلا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لاَ تُطِعْهُ**﴾ .

زاد عبيد الله في حديثه قال : وأمره بما أمره به .

---

(١) رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم : (٤٨٢) .

وزاد عبد الأعلى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ يعني: قومه)[1].

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: (كان النبي ﷺ يُصلي، فجاء أبو جهل، فقال: ألم أنهك عن هذا؟ ألم أنهك عن هذا؟

فانصرف النبي ﷺ، فزبره، فقال أبو جهل: إنك لتعلم ما بها نادٍ أكثر مني، فأنزل الله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾.

فقال ابن عباس: فوالله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله)[2].

-وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سجدنا مع النبي ﷺ في: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ و﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[3].

- وعن مجاهد -رحمه الله- قال: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾: أبو جهل ينهى محمدا ﷺ إذا صلى.

وعن قتادة -رحمه الله- قال: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾: محمد كان على الهدى، وأمر بالتقوى.

وعن مجاهد -رحمه الله- قال: ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾: الملائكة[4].

- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: «أول من ظهر إسلامه سبعة: رسول الله، وأبوبكر، وعمار بن ياسر، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد.

فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم، فأخذهم المشركون، فألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس.

(١) رواه مسلم، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: قوله: (الآيات)، رقم: (٢٧٩٧).

(٢) رواه الترمذي: (٥/ ٤٤٤)، كتاب التفسير، باب سورة اقرأ باسم ربك، وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح، وصححه الألباني في (صحيح سنن الترمذي)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (٢/ ٤٨٧-٤٨٨) من طريق عبد الوهاب بن عطاء وعبد الرحمن المحاربي كلاهما عن داود بن أبي هند به، وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه أحمد من طريق وهيب عن داود به: (٥/ ١٦٧)، رقم: (٣٠٤٤)، وصححه محققو المسند بإشراف أ. د. عبد الله التركي.

(٣) رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب سجود التلاوة، رقم: (٥٧٨).

(٤) الآثار السابقة في تفسير الطبري: (٢٤/ ٥٢٧).

فما منهم إنسان إلا وقد واتاهم على ما أرادوا، إلا بلال، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأعطوه الولدان، وأخذوا يطوفون به شعاب مكة وهو يقول: أحد.. أحد»[1].

- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (أن النبي ﷺ كان يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس؛ إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسلى[2] جزور بني فلان، فيضعه على ظهر محمد إذا سجد؟

فانبعث أشقى القوم فجاء به، فنظر حتى سجد النبي ﷺ، وضعه على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر لا أغني شيئًا، لو كان لي منعة.

قال: فجعلوا يضحكون ويحيل بعضهم على بعض، ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه، حتى جاءته فاطمة، فطرحت عن ظهره، فرفع رسول الله ﷺ رأسه ثم قال: «**اللهم عليك بقريش**». ثلاث مرات، فشق عليهم إذ دعا عليهم.

قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة.

ثم سمى: «**اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد ابن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط**» - وعد السابع فلم يحفظ -.

قال: فوالذي نفسي بيده، لقد رأيت الذين عد رسول الله ﷺ صرعى، في القليب قليب بدر)[3].



(١) رواه أحمد في فضائل الصحابة: (١/ ١٨٢) (١٩١)، وابن ماجه: (١/ ١٥٠). وقال البوصيري في الزوائد: «إسناده ثقات»، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه: (١٥٠)، وصحيح السيرة، ص ١٢١.

(٢) الجلدة التي يكون فيها ولد البهائم وهي كالمشيمة بالنسبة للآدمي.

(٣) رواه البخاري، كتاب الوضوء، باب إذا ألقي على ظهر المصلي قذر أو جيفة، لم تفسد عليه صلاته، رقم: (٢٤٠)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين، رقم: (١٧٩٤).

المطلب الثاني: الاستهزاء والتكذيب والافتراء

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ(٣٦)﴾ [المطففين: ٢٩-٣٦].

- قوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٤) أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥) وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ (٧) أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ (٨)﴾ [ص: ٤-٨].

- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (٤) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا(٥) قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا(٦)﴾ [الفرقان: ٤-٦].

- قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥)﴾[المدثر: ١١-٢٥].

- قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً (٢٩)﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (١٠٣)﴾ [النحل: ١٠٣].

- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ(٢٦)﴾[فصلت: ٢٦].

- قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣)﴾[الأنعام: ٣٣].

- قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً(١١٠)﴾ [الإسراء: ١١٠].

***

تتابعت سلسلة الإيذاء بالأقوال والاستهزاء، والشائعات والافتراء، بعد أن انتشرت الرسالة، وشعت أنوارها في شعاب مكة وأوديتها.

فلم يكتفوا بالإيذاء العملي؛ لأنهم يعلمون أن الحجة والبرهان لا يمكن طمسها بالقوة وحدها، بل لا بد معها من مؤامرات التشويه، ومخططات التضليل، فأخذوا يستهزؤون بالمؤمنين كما في الآيات الأولى، ويصفون القرآن بالكذب والاختلاق، ويصدون عن سماعه، ولا يزيد المؤمنين فعلهم وقولهم إلا إيمانًا وثباتًا على الحق.

وفي أثناء ذلك ينزل الله تعالى من الآيات ما يكبت به باطلهم، ويكشف زيفهم، ويخفف عن النبي صلى الله عليه والمؤمنين وطأتهم.

كما أنه يوجه إلى طرق التعامل معهم، كما في التوجيه القرآني في الآية الأخيرة، التي تأمر النبي ﷺ بعدم الجهر بالقرآن؛ فيسبه المشركون، وعدم الإخفات؛ فلا يسمعه المؤمنون، وتقرر قاعدة التوسط في شريعته.

المعنى الإجمالي للآيات:

آيات سورة المطففين:

- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ**﴾: يعني كفار قريش: أبا جهل، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وأصحابهم من مترفي مكة، كانوا من الذين آمنوا: عمار وخباب وصهيب وبلال، وأصحابهم من فقراء المؤمنين. يضحكون، وبهم يستهزؤون.

- ﴿**وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ**﴾: يعني مر المؤمنون بالكفار.

- ﴿**يَتَغَامَزُونَ**﴾: والغمز: الإشارة بالجفن والحاجب، أي يشبرون إليهم بالأعين استهزاء.

- ﴿**وَإِذَا انْقَلَبُوا**﴾: يعني الكفار، ﴿**إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ**﴾: معجبين بما هم فيه، يتفكهون بذكرهم.

- ﴿**وَإِذَا رَأَوْهُمْ**﴾: رأوا أصحاب النبي ﷺ، ﴿**قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ**﴾: يأتون محمدًا ﷺ، يرون أنهم على شيء.

- ﴿**وَمَا أُرْسِلُوا**﴾: يعني المشركين، ﴿**عَلَيْهِمْ**﴾: يعني على المؤمنين، ﴿**حَافِظِينَ**﴾: أعمالهم؛ أي لم يوكلوا بحفظ أعمالهم.

- ﴿**فَالْيَوْمَ**﴾: يعني في الآخرة، ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ**﴾: فإذا اطلعوا في الجنة إلى أعدائهم وهم يعذبون في النار ضحكوا.

- ﴿**عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ**﴾: أي: الأسرّة العالية المزينة، ينظرون، إليهم في النار.

- ﴿**هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾: هل جوزي، الكفار ما كانوا يفعلون، أي جزاء استهزائهم بالمؤمنين، ومعنى الاستفهام هاهنا التقرير[1].

(١) ينظر: تفسير البغوي: (٥/ ٢٢٧).

آيات سورة ص:

- ﴿**وَعَجِبُوا**﴾: أي: ومن جهلهم أنهم أظهروا التعجب من أن جاءهم منذر منهم.
- ﴿**وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ**﴾: أي يجيء بالكلام المموه الذي يخدع به الناس.

وقيل: يفرق بسحره بين الوالد وولده، والرجل وزوجته.

- ﴿**كَذَّابٌ**﴾: أي: في دعوى النبوة.
- ﴿**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا**﴾: مفعولان: أي صير الآلهة إلهًا واحدًا.
- ﴿**إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ**﴾: أي: عجيب، وقيل: العجاب الذي قد تجاوز حد العجب.
- ﴿**وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا**﴾: الملأ: الأشراف، والانطلاق الذهاب بسرعة، أي انطلق هؤلاء الكافرون من عند الرسول ﷺ، يقول بعضهم لبعض: ﴿**أَنِ امْشُوا**﴾ أي امضوا على ما كنتم عليه، ولا تدخلوا في دينه.
- ﴿**وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ**﴾: أي: على عبادة آلهتكم.
- ﴿**إِنَّ هَذَا**﴾: أي: هذا الذي جاء به محمد ﷺ، ﴿**لَشَيْءٌ يُرَادُ**﴾: أي إنما يريد محمد بما يقول الانقياد له؛ ليعلو علينا، ونكون له أتباعًا فيتحكم فينا بما يريد، فاحذروا أن تطيعوه.
- ﴿**مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ**﴾: ما سمعنا أن هذا يكون في آخر الزمان.
- ﴿**إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ**﴾: أي: كذب وتخرص.
- ﴿**أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا**﴾: هو استفهام إنكار، والذكر ها هنا القرآن.

أي: أنكروا اختصاصه بالوحي من بينهم.

- ﴿**بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي**﴾: أي: من وحيي وهو القرآن، أي: قد علموا أنك لم تزل صدوقًا فيما بينهم، وإنما شكوا فيما أنزلته عليك هل هو من عندي أم لا.

-﴿بَلْ لَّما يَذُوقُوا عَذَابِ﴾: أي: إنما اغتروا بطول الإمهال، ولو ذاقوا عذابي على الشرك لزال عنهم الشك، ولما قالوا ذلك، ولكن لا ينفع الإيمان حينئذ[1].

آيات سورة الفرقان:

- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ﴾: يخبر الله تعالى عن سخافة عقول الجهلة من الكفار، في قولهم عن القرآن إنه كذب افتراه النبي ﷺ.

- ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ أي: واستعان على جمعه بقوم آخرين.

- ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ أي: فقد افتروا هم قولاً باطلاً، هم يعلمون أنه باطل، ويعرفون كذب أنفسهم فيما يزعمون.

- ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا﴾ يعنون: كتب الأوائل استنسخها، ﴿فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ﴾ أي: تقرأ عليه ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ أي: في أول النهار وآخره.

وهذا الكلام -لسخافته وكذبه وبهته منهم- كل أحد يعلم بطلانه، فإنه قد علم بالتواتر وبالضرورة: أن محمدًا رسول الله لم يكن يعاني شيئًا من الكتابة، لا في أول عمره ولا في آخره، وقد نشأ بين أظهرهم من أول مولده إلى أن بعثه الله نحوًا من أربعين سنة، وهم يعرفون مدخله ومخرجه، وصدقه، وبره وأمانته، ونزاهته من الكذب والفجور وسائر الأخلاق الرذيلة، حتى إنهم لم يكونوا يسمونه في صغره إلى أن بعث إلا الأمين؛ لما يعلمون من صدقه وبره.

وقال تعالى في جواب ما عاندوا هاهنا وافتروا: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أي: أنزل القرآن المشتمل على أخبار الأولين والآخرين إخبارًا حقًا صدقًا مطابقًا للواقع في الخارج، ماضيًا ومستقبلاً: الله الذي يعلم غيب السموات والأرض، ويعلم السرائر كعلمه بالظواهر[2].

---

(١) تفسير القرطبي: (١٥/ ١٤٩-١٥٢)، بتصرف يسير.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير: (٦/ ٩٤).

- ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيمًا﴾: ومع كل هذا التكذيب إلا أن من تاب وأناب، وآمن بما أُنزل عليه: فإن الله تعالى يغفر له، ويرحمه.

آيات سورة المدثر:

- قال السعدي: «هذه الآيات، نزلت في الوليد بن المغيرة، معاند الحق، والمبارز لله ولرسوله بالمحاربة والمشاقة، فذمه الله ذمًا لم يذمه غيره، وهذا جزاء كل من عاند الحق ونابذه، أن له الخزي في الدنيا، ولعذاب الآخرة أخزى، فقال: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾ أي: خلقته منفرداً، بلا مال ولا أهل، ولا غيره، فلم أزل أنميه وأربيه، ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالا مَمْدُوداً﴾ أي: كثيراً، وَجعلت له ﴿بَنِينَ﴾ أي: ذكورا ﴿شُهُوداً﴾ أي: دائمًا حاضرين عنده، على الدوام يتمتع بهم، ويقضي بهم حوائجه، ويستنصر بهم.

- ﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً﴾ أي: مكنته من الدنيا وأسبابها، حتى انقادت له مطالبه، وحصل على ما يشتهي ويريد ﴿ثُمَّ﴾ مع هذه النعم والإمدادات ﴿يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ أي: يطمع أن ينال نعيم الآخرة كما نال نعيم الدنيا.

- ﴿كَلاّ﴾ أي: ليس الأمر كما طمع، بل هو بخلاف مقصوده ومطلوبه؛ وذلك لأنه ﴿كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً﴾أي: معانداً، عرفها ثم أنكرها، ودعته إلى الحق فلم ينقد لها ولم يكفه أنه أعرض وتولى عنها، بل جعل يحاربها ويسعى في إبطالها، ولهذا قال عنه: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ﴾ أي: في نفسه ﴿وَقَدَّرَ﴾ ما فكر فيه، ليقول قولاً يبطل به القرآن.

- ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ لأنه قدر أمراً ليس في طوره، وتسور على ما لا يناله هو ولا أمثاله، ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ ما يقول، ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ في وجهه، وظاهره نفرة عن الحق وبغضًا له، ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ أي: تولى ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ نتيجة سعيه الفكري والعملي والقولي أن قال:

- ﴿إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ أي: ما هذا كلام الله، بل كلام البشر، وليس أيضًا كلام البشر الأخيار، بل كلام الفجار منهم والأشرار، من كل كاذب سحار.

فتبًا له، ما أبعده من الصواب، وأحراه بالخسارة والتباب!! »[1].

آيات سورة الفرقان:

-﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي﴾، أي المشرك الكافر، بيان لعسر اليوم وشدته؛ حيث يعض الظالم على يديه تندمًا وتحسرًا وأسفًا على تفريطه في الدنيا في الإيمان وصالح الأعمال.. يقول يا ليتني أي متمنيًا: ﴿اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾ أي طريقًا إلى النجاة من هول هذا اليوم، وذلك بالإيمان والتقوى.

وينادي مرة أخرى قائلاً: ﴿يَا وَيْلَتَى﴾ أي يا هلكتي احضري فهذا وقت حضورك.

ويتمنى مرة أخرى فيقول: ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً﴾ وهو شيطان من الإنس أو الجن، كان قد صافاه ووالاه في الدنيا، فغرر به، وأضله عن الهدى.

فقال في تحسر: ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾ أي القرآن، بعد إذ جاءني من ربي بواسطة الرسول، وفيه هداي وبه هدايتي.

﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً﴾ أي يورطه، ثم يتخلى عنه، ويتركه في غير موضع وموطن[2].

- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾[النحل: ١٠٣].

«يخبر تعالى عن المشركين في قولهم غير ما نقل عنهم قبل من المقالة الشنعاء، وكذبهم وبهتهم: أن الرسول إنما يعلمه هذا الذي يتلوه من القرآن، بشر. يعنون

(١) تفسير السعدي، ص ٨٩٦.
(٢) أيسر التفاسير للجزائري: (٣/ ٦١٠).

رجلاً أعجميًا كان بين أظهرهم، يقرأ في الكتب المتقدمة. ربما يتحدث معه النبيّ ﷺ أحيانًا.

وإنما لم يصرح باسمه للإيذان بأن مدار خطئهم ليس بنسبته صلوات الله عليه إلى التعلم من شخص معين بل من البشر، كائنًا من كان.

ثم أشار تعالى وضوح بطلان بهتهم، بأن لسان الرجل الذي ينسبون إليه التعليم أعجمي غير بيّن. وهذا القرآن الكريم لسان عربي مبين. ذو بيان وفصاحة»[1].

- قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾[فصلت: ٢٦].

« لما أخبر تعالى عن كفر عاد وثمود وغيرهم، أخبر عن مشركي قريش، وأنهم كذبوا القرآن، والمعنى قال الكافرون بعضهم لبعض: لا تستمعوا لمحمد إذا قرأ القرآن، وتشاغلوا عنه.

﴿**والغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾: أي ارفعوا أصواتكم عند قراءته حتى لا يسمعه أحد؛ لكي تغلبوه على دينه»[2].

- قوله تعالى: ﴿**قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ**﴾[الأنعام: ٣٣] .

«المعنى أن تكذيبك أمر راجع إلى الله؛ لأنك رسوله المصدق بالمعجزات، فهم لا يكذبونك في الحقيقة، وإنما يكذبون الله بجحود آياته، فاله عن حزنك لنفسك، وإن هم كذبوك وأنت صادق، وليشغلك عن ذلك ما هو أهمّ، وهو استعظامك بجحود آيات الله تعالى، والاستهانة بكتابه»[3].

- قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١١٠)**﴾ [الإسراء: ١١٠].

(١) محاسن التأويل للقاسمي: (٦/ ٤١٠).
(٢) صفوة التفاسير: (٣/ ١١٢).
(٣) الكشاف للزمخشري: (٢/ ١٨).

- ﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ﴾ أي: قراءتك ﴿وَلا تُخَافِتْ بِهَا﴾ فإن في كل من الأمرين محذوراً. أما الجهر، فإن المشركين المكذبين به إذا سمعوه سبوه، وسبوا من جاء به.

وأما المخافتة، فإنه لا يحصل المقصود لمن أراد استماعه مع الإخفاء ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي: بين الجهر والإخفات (سَبِيلا) أي: تتوسط فيما بينهما»[1].

هدايات الآيات:

آيات سورة المطففين:

- فيها: بيان شدة ما لاقاه النبي ﷺ، وأصحابه من أذى المشركين، والاستهزاء بهم، والسخرية منهم، وأنها سنة متجددة لأعداء الرسالات.

- فيها: أن استهزاء المجرمين لا يضر المؤمنين شيئًا، وأن العاقبة لأهل التقوى والصبر، كما قال تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

- فيها: أن الجزاء من جنس العمل، فكما ضحك المشركون من المسلمين، فالجزاء أن يضحك عليهم المؤمنون، إما في الدنيا كما وقع لكثير من الأنبياء والصحابة، ومن ذلك ما حكاه الله تعالى عن نوح، في قوله: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾[هود: ٣٨-٣٩].

وإما في الآخرة وهم في دار النعيم، كما في هذه الآيات.

- ومن الهدايات العميقة المتعلقة بالسياق أنها جاءت بعد ذكر النعيم في الجنة؛ «وكأنما أطال السياق في عرض صور النعيم الذي ينتظر الأبرار؛ تمهيداً للحديث عما كانوا

(١) تفسير السعدي، ص ٤٦٨.

يلقون في الأرض من الفجار: من أذى واستهزاء وتطاول وادعاء. . وقد أطال في عرضه كذلك. ليختمه بالسخرية من الكفار، وهم يشهدون نعيم الأبرار».

آيات سورة ص:

- من هداياتها:

- في قوله: ﴿**وَقَالَ الكَافِرُونَ**﴾: ولم يقل: وقالوا، كما قال: ﴿**وَعَجِبُوا**﴾، وإنما ذكر كفرهم هنا: «دلالة على أن هذا القول لا يصدر إلا عن الكفر التام؛ فإن الساحر هو الذي يمنع من طاعة الله، ويدعو إلى طاعة الشيطان، وهو عندكم بالعكس من ذلك، والكذاب هو الذي يخبر عن الشيء لا على ما هو عليه، وهو يخبر عن وجود الصانع القديم[1]، الحكيم العليم وعن الحشر والنشر، وسائر الأشياء، التي تثبت بدلائل العقول صحتها، فكيف يكون كذابًا»[2].

- وفيها: بيان ما كان عليه المشركون من كبرياء، وعداء للنبي ﷺ.

- وفيها: بيان جهل المشركين في استنكارهم لكلمة: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

- وفيها: تحدي الرب تعالى للمشركين؛ إظهارًا لعجزهم، ودعوته لهم إلى النزول إلى الحق وقبوله.

- وفيها: إخبار القرآن بالغيب، وصدقه في ذلك، مما يربط القلب على اليقين بأنه من عند الله تعالى[3].

آيات سورة الفرقان:

-من هداياتها:

- قوله: ﴿**فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا**﴾: «هذا القدر إنما يكفي جوابًا عن الشبهة المذكورة؛

(١) القديم والصانع: يطلقان على الله تعالى من باب الإخبار، وهما عند المحققين ليسا من أسماء الله تعالى الحسنى. ينظر: صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، لعلوي السقاف، ص: (١٦٣، ٢٠٠).
(٢) مفاتيح الغيب للرازي: (٢٦/ ٣٦٧).
(٣) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري: (٤/ ٤٣٨).

لأنه قد علم كل عاقل أنه عليه السلام تحداهم بالقرآن، وهم النهاية في الفصاحة، وقد بلغوا في الحرص على إبطال أمره كل غاية، حتى أخرجهم ذلك إلى ما وصفوه به في هذه الآيات، فلو أمكنهم أن يعارضوه لفعلوا، ولكان ذلك أقرب إلى أن يبلغوا مرادهم فيه مما أوردوه في هذه الآية وغيرها.

ولو استعان محمد عليه السلام في ذلك بغيره لأمكنهم أيضًا أن يستعينوا بغيرهم؛ لأن محمدًا ﷺ كأولئك المنكرين في معرفة اللغة، وفي المكنة من الاستعانة، فلما لم يفعلوا ذلك -والحالة هذه-: علم أن القرآن قد بلغ النهاية في الفصاحة، وانتهى إلى حد الإعجاز.

ولما تقدمت هذه الدلالة مرات وكرات في القرآن، وظهر بسببها سقوط هذا السؤال: ظهر أن إعادة هذا السؤال بعد تقدم هذه الأدلة الواضحة لا يكون إلا للتمادي في الجهل والعناد؛ فلذلك اكتفى الله في الجواب بقوله: ﴿**فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا**﴾»[1].

- قوله: ﴿**قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾: «لأنه أعجزكم عن آخركم بفصاحته، وتضمنه أخبارًا عن مغيبات مستقبلة، وأشياء مكنونة لا يعلمها إلا عالم الأسرار، فكيف تجعلونه أساطير الأولين!»[2].

- قوله: ﴿**إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾: إنما ذكر الغفور الرحيم في هذا الموضع لوجهين:

الأول: أنه إنما أنزله لأجل الإنذار، فوجب أن يكون غفورًا رحيمًا غير مستعجل في العقوبة. **الثاني**: أنه تنبيه على أنهم استوجبوا بمكايدتهم هذه أن يصب عليهم العذاب صبًا، ولكن صرف ذلك عنهم كونه غفورًا رحيمًا، يمهل ولا يعجل[3].

(١) مفاتيح الغيب للرازي: (٢٤/ ٤٣٣).
(٢) تفسير البيضاوي: (٤/ ١١٨).
(٣) مفاتيح الغيب للرازي: (٢٤/ ٤٣٤)، بتصرف يسير.

آيات سورة المدثر:

- من هداياتها:

- قوله: ﴿**ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً**﴾: هذا التعبير فيه معان عميقة، فوحيداً:

- إما: «حال من الله عز وجل على معنيين:

أحدهما: ذرني وحدي معه، فأنا أجزيك في الانتقام منه عن كل منتقم.

والثاني: خلقته وحدي لم يشركني في خلقه أحد.

- أو: حال من المخلوق على معنى: خلقته وهو وحيد فريد لا مال له ولا ولد، كقوله: ﴿**وَلَقَدْ جِئْتُمُونا فُرادى كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾[الأنعام: ٩٤]»[(١)].

- فيها: ذكر خطوات ضلاله، وهي «أنه أولاً: فكر وثانيًا: قدر وثالثًا: نظر في ذلك المقدر، فالنظر السابق للاستخراج، والنظر اللاحق للتقدير، وهذا هو الاحتياط. فهذه المراتب الثلاثة متعلقة بأحوال قلبه. ثم وصف بعد ذلك أحوال وجهه»[(٢)] وهو العبوس، ثم ذكر أحوال فعله وهو الإدبار والإعراض، ثم كانت أحواله القولية، وهو زعمه أنه سحر يؤثر.

- وفي تصوير هذه الأحوال تأكيد على عناده، ومناقضته لما يقوم في قلبه من الانبهار بالقرآن، فهي صورة المرتاب المعاند المتردد؛ لذلك كان عذابه إرهاقًا بالصعود من جنس حاله.

آيات سورة الفرقان:

- من هداياتها:

- قوله: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ**﴾:

- فيها: بيان فضل الصحبة الصالحة، وأنها لا تأتي إلا بخير؛ لذلك شبهها النبي ﷺ ببائع المسك، وبالمقابل شؤم رفقة السوء، وأنها سبب للشقاوة عاجلاً وآجلاً.

(١) الكشاف للزمخشري: (٤/ ٦٤٧).

(٢) تفسير الرازي: (٣٠/ ٧٠٦).

- فيها: أن أعظم صحبة في الدنيا، سيندم على فواتها كل أحد: صحبة النبي ﷺ بمحبته، وملازمة هديه، والسير على سبيله، والعيش مع سيرته.

-وقال الجزائري في هداياتها: (تندم الظلمة، وتحسرهم على ما فاتهم من الإيمان، والطاعة لله ورسوله.

- بيان سوء عاقبة موالاة شياطين الإنس والجن، وطاعتهم في معصية الله ورسوله)[1].

- هدايات قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**﴾[النحل: ١٠٣].

- فيها: بيان ضعف حجة المشركين وسفاهتهم، في ادعائهم أن أعجميًا هو من علم النبي ﷺ القرآن؛ «ومن أين للأعجمي أن يذوق بلاغة هذا التنزيل، وما حواه من العلوم، فضلاً أن ينطق به، فضلاً أن يكون معلمًا له!»[2].

- وفيها: أنه لا يأتي مبطل بحجة على القرآن إلا كان في القرآن ما يرد حجته، ويقلب عليه دليله، ويظهر ضعفه وتهافته، ﴿**وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**﴾[الفرقان: ٣٣].

- هدايات قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾[فصلت: ٢٦].

- فيها: بيان ما كان المشركون يكيدون به الإسلام، ويحاربونه به، حتى لم يجدوا إلا اللغو عند قراءة القرآن، لئلا يُسمع ولا يهتدي به أحد.

- وفيها: عظمة تأثير هذا القرآن على النفوس؛ وهو ما تيقن به المشركون، فخافوا من أسره لقلوب أتباعهم، وجذبه لأنصارهم.

- فيها: أن جميع هذه الأفعال العبثية، والمحاولات المتتالية، والمؤامرات لم تطفئ نور القرآن، بل لا يزداد على الدوام إلا سطوعًا وانتشارًا، كما قال تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ**

(١) أيسر التفاسير: (٣/ ٦١١).

(٢) محاسن التأويل للقاسمي: (٦/ ٤١٠).

يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢-٣٣].

- هدايات قوله تعالى: **﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾**[الأنعام: ٣٣] .

- فيها: بيان شرف النبي ﷺ، وأن المشركين يعرفون صدقه وأمانته، كما قال تعالى: **﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾**[المؤمنون: ٦٩]، لكنهم مع ذلك تكبروا عما جاءهم به؛ ظلمًا وعلواً.

- وفيها: مواساة النبي ﷺ، والتخفيف عنه؛ لشدة ما أصابه من تكذيب المشركين وإعراضهم، كما قال تعالى عنه: **﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾**[الكهف: ٦]، وقال: **﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾**[الشعراء: ٣]، أي: «مهلك نَفسك حزنًا»[1].

- هدايات قوله تعالى: **﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١١٠)﴾**[الإسراء: ١١٠].

-فيها: توجيه دعوي للنبي ﷺ، وأنه ليس كل حق يصدع به، بل لا بد من مراعاة الحكمة في تبليغ الرسالة.

- فيها: الحث على التوسط في جميع الأمور، وأن طرفي قصد الأمور ذميم، فلا إفراط في الشرع ولا تفريط.

- فيها: أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح: فدرء مفسدة سب الله تعالى، وكتابه، ونبيه مقدم على مصلحة إسماع القرآن للمشركين.

- فيها: رسالة إلى الدعاة بضبط حماسهم، والنظر في مآلات الأمور، والموازنة بين المصالح والمفاسد، وتلمس الحكمة في أقوالهم وأفعالهم.

(١) تفسير السمعاني: (٤/ ٣٨).

صحيح الروايات:

- عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: (إن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه، فقال: يا عم؛ إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً.

قال: لم؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمداً لتعرض ما قبله.

قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً.

قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له.

قال: وماذا أقول؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو، ولا يعلى، وإنه ليحطم ما تحته.

قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه.

قال: فدعني حتى أفكر فيه، فلما فكر قال: إن هذا إلا سحر يؤثر؛ يأثره عن غيره.

فنزلت: ﴿**ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً**﴾ الآيات)[1].

وذكر ابن إسحاق أن أبي بن خلف حين قال لعقبة بن أبي معيط: ألم يبلغني أنك جالست محمداً وسمعت منه؟ وجهي من وجهك حرام إلا أن تتفل في وجهه.

ففعل ذلك عدو الله عقبة لعنه الله؛ فأنزل الله: ﴿ **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً**﴾ والتي بعدها[2].

---

(١) رواه ابن جرير: (٢٩/ ١٥٦)، والحاكم: (٢/ ٥٠٦-٥٠٧)، وصححه، ووافقه الذهبي، وله طرق يصح بها، كما في صحيح السيرة للألباني ص١٥٩.

(٢) رواه ابن إسحاق معلقًا: (١/ ٤٨٧)، ووصله ابن جرير: (٢٢/ ٣٠)، وهو في صحيح السيرة للألباني ص٢٠٠.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن أبا معيط كان يجلس مع النبي ﷺ بمكة لا يؤذيه، وكان رجلاً حليمًا، وكان بقية قريش إذا جلسوا معه آذوه، وكان لأبي معيط خليل غائب عنه بالشام فقالت قريش: صبأ أبو معيط.

وقدم خليله من الشام ليلاً، فقال لامرأته: ما فعل محمد مما كان عليه؟

فقالت: أشد مما كان أمرًا.

فقال: ما فعل خليلي أبو معيط؟ فقالت: صبا.

فبات بليلة سوء، فلما أصبح أتاه أبو معيط فحياه فلم يرد عليه التحية.

فقال: ما لك لا ترد عليَّ تحيتي؟

فقال: كيف أرد عليك تحيتك وقد صبوت؟

قال: أوقد فعلتها قريش؟ قال: نعم.

قال: فما يبرئ صدورهم إن أنا فعلت؟

قال: تأتيه في مجلسه وتبزق في وجهه، وتشتمه بأخبث ما تعلمه من الشتم.

ففعل فلم يزد النبي ﷺ أن مسح وجهه من البزاق، ثم التفت إليه فقال: «**إن وجدتك خارجًا من جبال مكة أضرب عنقك صبرًا**».

فلما كان يوم بدر وخرج أصحابه: أبى أن يخرج.

فقال له أصحابه: اخرج معنا.

قال: قد وعدني هذا الرجل إن وجدني خارجًا من جبال «مكة» أن يضرب عنقي صبرًا.

فقالوا: لك جمل أحمر لا يُدرك فلو كانت الهزيمة طرت عليه.

فخرج معهم فلما هزم الله المشركين، وحل به جمله في جدد من الأرض، فأخذه رسول الله ﷺ أسيرًا في سبعين من قريش، وقدم إليه أبو معيط فقال: تقتلني من بين هؤلاء؟ قال: «**نعم بما بزقت في وجهي**».

فأنزل الله في أبي معيط: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾، إلى قوله: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩]»[١].

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ كثيراً ما يجلس عند المروة، إلى مبيعة غلام نصراني، يقال له: جبر، عبدٌ لبني الحضرمي، وكانوا يقولون: والله ما يعلم محمداً كثيراً مما يأتي به إلا جبر.

فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣][٢].

عن علي رضي الله عنه قال: قال أبو جهل للنبي ﷺ: قد نعلم يا محمد أنك تصل الرحم، وتصدق الحديث، ولا نكذبك، ولكن نكذب الذي جئت به.

فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦][٣].

عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠] قال: «نزلت ورسول الله ﷺ مختف بمكة، كان إذا صلى بأصحابه، رفع صوته بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن، ومن أنزله، ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ أي بقراءتك، فيسمع المشركون، فيسبوا القرآن ﴿وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا﴾ عن أصحابك، فلا تسمعهم، ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾ [الإسراء: ١١٠][٤].

---

(١) أخرجه ابن مردويه وأبو نعيم في (الدلائل) بسند صحيح من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، كما في الدر المنثور: (٥ / ٦٨)، صحيح السيرة للألباني ص٢٠٥.

(٢) رواه ابن إسحاق معلقًا: (٢/ ٣٣)، ووصله ابن جرير: (١٤/ ١٧٨)، ورواه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنه: (٢/ ٣٥٧)، وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح السيرة ص٢١٨.

(٣) أخرجه الترمذي (٥٠٥٨) والحاكم (٢ / ٣١٥) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
ينظر: صحيح السيرة، ص٢٠٣.

(٤) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا﴾، رقم: (٤٧٢٢)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية، رقم: (٤٤٦).

المطلب الثالث: إثارة الشبهات

- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩)﴾ [الزخرف: ٥٧-٥٩].

-قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣)﴾ [يس: ٧٧-٨٣].

***

وهنا ضرب آخر من الصد عن سبيل الله بعد الصد بالأفعال، والأقوال، وهو صد العقول والقلوب بظاهر من الشبهات، فرح بها المشركون، وتشبثوا بها في معركتهم الخاسرة، فهم مثلهم في ذلك: ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[العنكبوت: ٤١]، فسرعان ما تنقلب شبهاتهم عليهم، كما قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[الأنبياء: ١٨]، وقال سبحانه: ﴿وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

فهذه الآيات تعرض لنا جانبًا من تلك التشغيبات، وهي إثارة الشبهات، وما قابلها من الحجج والبينات التي دحضتها، وقلبت الحجة عليهم، في الشبهة الأولى حول عيسى ابن مريم، وفي الثانية حول البعث.

المعنى الإجمالي للآيات:

آيات سورة الزخرف:

- ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى ابن مريم مثلاً، وجادل رسول الله ﷺ بعبادة النصارى إياه، إذا ﴿**قَوْمُكَ**﴾ قريش من هذا المثل ﴿**يَصِدُّونَ**﴾ ترتفع أصواتهم لهم جلبة، وضجيج؛ فرحًا وجزلاً وضحكًا بما سمعوا منه من إسكات رسول الله ﷺ بجدله.

وأمّا من قرأ: «يصُدُّون»- بالضم- فمن الصدود، أي: من أجل هذا المثل يصدّون عن الحق، ويعرضون عنه.

- ﴿**وَقَالُوا أَآلِهَتُنا خَيْرٌ أَمْ هُوَ**﴾: يعنون أنّ آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى، وإذا كان عيسى من حصب النار كان أمر آلهتنا هينًا.

- ﴿**ما ضَرَبُوهُ**﴾: أي ما ضربوا هذا المثل ﴿**لَكَ إِلاَّ جَدَلاً**﴾ إلا لأجل الجدل والغلبة في القول، لا لطلب الميز بين الحق والباطل، ﴿**بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**﴾ لدّ شداد الخصومة دأبهم اللجاج، كقوله تعالى: ﴿**وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا**﴾[مريم: ٩٧]، وذلك أنّ قوله تعالى: ﴿**إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ ما أريد به إلا الأصنام، ومحال أن يقصد به الأنبياء والملائكة، وما عيسى إلاَّ عَبْدٌ كسائر العبيد ﴿**أَنْعَمْنا عَلَيْهِ**﴾ حيث جعلناه آية: بأن خلقناه من غير سبب، كما خلقنا آدم وشرفناه بالنبوّة، وصيرناه عبرة عجيبة، كالمثل السائر لبنى إسرائيل[1].

آيات سورة يس:

هذه الآيات الكريمات، فيها ذكر شبهة منكري البعث، والجواب عنها بأتم جواب وأحسنه وأوضحه.

- فقال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ**﴾ المنكر للبعث والشاك فيه، أمرًا يفيده اليقين التام بوقوعه، وهو ابتداء خلقه ﴿**مِنْ نُطْفَةٍ**﴾ ثم تنقله في الأطوار شيئًا فشيئًا، حتى كبر

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري: (٤/ ٢٥٩-٢٦١).

وشب، وتم عقله واستتب، ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ بعد أن كان ابتداء خلقه من نطفة، فلينظر التفاوت بين هاتين الحالتين، وليعلم أن الذي أنشأه من العدم، قادر على أن يعيده بعد ما تفرق وتمزق، من باب أولى.

- ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً﴾ لا ينبغي لأحد أن يضربه، وهو قياس قدرة الخالق بقدرة المخلوق، وأن الأمر المستبعد على قدرة المخلوق مستبعد على قدرة الخالق.

فسّر هذا المثل بقوله: ﴿قَالَ﴾ ذلك الإنسان ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ أي: هل أحد يحييها؟ استفهام إنكار، أي: لا أحد يحييها بعد ما بليت وتلاشت.

هذا وجه الشبهة والمثل، وهو أن هذا أمر غاية في البعد على ما يعهد من قدرة البشر، وهذا القول الذي صدر من هذا الإنسان غفلة منه، ونسيان لابتداء خلقه، فلو فطن لخلقه بعد أن لم يكن شيئًا مذكورًا فوجد عيانًا، لم يضرب هذا المثل.

فأجاب تعالى عن هذا الاستبعاد بجواب شاف كاف، فقال: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وهذا بمجرد تصوره، يعلم به علمًا يقينًا لا شبهة فيه، أن الذي أنشأها أول مرة قادر على الإعادة ثاني مرة، وهو أهون على القدرة إذا تصوره المتصور.

- ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾: هذا أيضًا دليل ثان من صفات الله تعالى، وهو أن علمه تعالى محيط بجميع مخلوقاته في جميع أحوالها، في جميع الأوقات، ويعلم ما تنقص الأرض من أجساد الأموات وما يبقى، ويعلم الغيب والشهادة، فإذا أقر العبد بهذا العلم العظيم، علم أنه أعظم وأجلّ من إحياء الله الموتى من قبورهم.

ثم ذكر دليلاً ثالثًا: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾: فإذا أخرج النار اليابسة من الشجر الأخضر، الذي هو غاية في الرطوبة، مع تضادهما وشدة تخالفهما، فإخراجه الموتى من قبورهم مثل ذلك.

ثم ذكر دليلاً رابعًا: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾: على سعتهما وعظمهما ﴿بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾: أي: أن يعيدهم بأعيانهم.

- ﴿بَلَى﴾: قادر على ذلك، فإن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس.

- ﴿وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ﴾: وهذا دليل خامس، فإنه تعالى الخلاق، الذي جميع المخلوقات، متقدمها ومتأخرها، صغيرها وكبيرها، كلها أثر من آثار خلقه وقدرته، وأنه لا يستعصي عليه مخلوق أراد خلقه.

فإعادته للأموات، فرد من أفراد آثار خلقه، ولهذا قال: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾: نكرة في سياق الشرط، فتعم كل شيء.

- ﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾: أي: في الحال من غير تمانع.

- ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: وهذا دليل سادس، فإنه تعالى هو الملك المالك لكل شيء، الذي جميع ما سكن في العالم العلوي والسفلي ملك له، وعبيد مسخرون ومدبرون، يتصرف فيهم بأقداره الحكمية، وأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية.

فإعادته إياهم بعد موتهم، لينفذ فيهم حكم الجزاء، من تمام ملكه، ولهذا قال: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: من غير امتراء ولا شك؛ لتواتر البراهين القاطعة، والأدلة الساطعة على ذلك. فتبارك الذي جعل في كلامه الهدى والشفاء والنور[1].

هدايات الآيات:

آيات سورة الزخرف:

- فيها: أن من أعظم وسائل الباطل إثارة الشبهات حول الحق، وهي وسيلة لا تنقطع في ساحة المدافعة، على مر الأزمان، وفي جميع المحال، إلى أن تختم بشبهات الدجال.

- وفيها: أن مواجهة الشبهات تحتاج إلى علم؛ ولذلك أرشدهم الله تعالى إلى الجواب عن الشبهة بالعلم اليقيني، بوحي قطعي.

(١) ينظر: تفسير السعدي، ص٦٩٩.

قال الجزائري: «من هداية الآيات:

- بيان أن قريشًا أوتيت الجدل، والقوة في الخصومة.

- ذم الجدل لغير إحقاق حق، أو إبطال باطل، وفي الحديث: «**ما ضل قوم بعد هُدى كانوا عليه إلا أتوا الجدل**»[1].

- شرف عيسى، وعلو مكانته، وأن نزوله إلى الأرض علامة كبرى من علامات قرب الساعة»[2].

آيات سورة يس:

- ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ**﴾:

- فيها: تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه بالنسبة إلى إنكارهم الحشر.

- فيها: الحث على ضرب الأمثال العقلية، والمحاورة باستخدام الأقيسة، في الدعوة إلى الله تعالى، ورد الشبهات بالحجج والبينات.

- وفيها: بليغ لإنكاره؛ حيث عجب منه، وجعله إفراطًا في الخصومة، ومنافاة لجحود القدرة على ما هو أهون مما عمله في بدء خلقه، ومقابلة النعمة التي لا مزيد عليها- وهي خلقه من أخس شيء وأمهنه، شريفًا مكرمًا- بالعقوق والتكذيب[3].

- في هذه الآيات العظيمة يحكي الله تعالى مثلاً ضربه هذا الكافر وأمثاله من المنكرين للبعث، ثم يجيب عليه سبحانه بثلاثة أمثلة وافية، هي حجج وبراهين كافية في دحض حجة هؤلاء الجاحدين، بالإضافة إلى ما سبق من وجوه.

- أما مثل هذا الكافر فهو قياسه قدرة الخالق على قدرة المخلوق في استبعاد إحياء هذه العظام بعد أن بليت، كما قال سبحانه عنهم في آية أخرى: ﴿**أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ**﴾[النازعات: ١١-١٢]، وكذلك في قوله: ﴿**وَقَالُوا**

(١) أخرجه الترمذي، كتاب التفسير، باب من سورة الزخرف: (٥/ ٣٧٨)، رقم: (٣٢٥٣)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أيسر التفاسير: (٤/ ٦٥٠).

(٣) تفسير البيضاوي: (٤/ ٢٧٤).

﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾[الإسراء: ٤٩، ٩٨]، فمثل هذه الأمثلة التي تتضمن قياس الخالق على المخلوق نهى الله عنها وحذر منها فقال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤].

ثم يبين الله تعالى أن مثل هذا القياس إنما هو ذهول وغفلة عن أصل خلقه؛ لذلك يجيب الله عليه بثلاثة أمثلة قياسية محكمة، وهي كما يلي:

- **المثل الأول:** ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: هذا هو المثل الصحيح، والقياس المستقيم، فالذي أنشأ العظام، وأوجدها، وخلقها قادر على إحيائها، وإعادتها بعد أن بليت، فلا فرق بينهما، بل إيجادها من العدم أعظم من إعادة إحيائها.

لذلك نجد أن هذا الدليل يحيط بالشبهة قبلها، وفي أثنائها، وبعدها، فقد قال قبلها: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾، وقال في أثنائها: ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ ثم قال بعدها: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

وهذه الإحاطة تدل على إبطال الشبهة من أصلها، واجتثاثها من جذرها؛ لذلك ذكرها الله تعالى في مواطن من كتابه فقال سبحانه: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[ق: ١٥]، وقال سبحانه: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وهذا لعظيم قدرته.

ثم يبين واسع علمه وإحاطته بخلقه في ختم هذا المثل فقال: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾، فبكمال القدرة مع كمال العلم يتحقق البعث.

- **المثل الثاني:** ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾: وهذا دليل على البعث وإخراج الأموات من قبورهم، كما أخرج النار اليابسة المحرقة من الشجر الأخضر الرطب البارد، ذي النضرة والثمرة، فتغير هذه الصفات والخصائص والأحوال، وإخراج الأشياء من أضدادها، كل ذلك دليل على قدرة الله تعالى على كل شيء، ومنه إعادة الحياة للعظام بعد فنائها.

- **المثل الثالث: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾**: وهذا دليل واضح للعقول وإن ضعفت، فالذي خلق السماوات وكواكبها ونجومها مع سعتها وعظمتها، وخلق الأرض وبحارها وجبالها وأشجارها مع تنوعها وكثرة خيراتها: كيف يعجز من قدر على ذلك عن أن يخلق أجسامهم ثم يعيد أرواحهم إلى أعيانهم.

وهذا قياس أولوي فخلق السماوات والأرض أعظم فما دونه أولى منه، كما قال سبحانه: **﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾**[غافر: ٥٧]، وقد ذكر الله تعالى هذا المثل كما في قوله سبحانه: **﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[الأحقاف: ٣٣].

-وختم الله سبحانه هذا المثل بقوله: **﴿بَلَى﴾** فأجاب الله سبحانه على سؤاله؛ لأنه الجواب الذي لا يختلف فيه عامة العقلاء فضلا عن عباده المؤمنين الأتقياء، فإنه من ضروريات العقول وحقائق الفطرة وأصول الإيمان التي لا يصح إلا بها.

صحيح الروايات:

عن أبي يحيى مولى ابن عقيل الأنصاري، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: (لقد علمت آية من القرآن ما سألني عنها رجل قط، فما أدري أعلمها الناس، فلم يسألوا عنها، أم لم يفطنوا لها، فيسألوا عنها؟!

- ثم طفق يحدثنا، فلما قام، تلاومنا أن لا نكون سألناه عنها-، فقلت: أنا لها إذا راح غدًا، فلما راح الغد، قلت: يا ابن عباس، ذكرت أمس أن آية من القرآن لم يسألك عنها رجل قط، فلا تدري أعلمها الناس، فلم يسألوا عنها، أم لم يفطنوا لها؟ فقلت: أخبرني عنها، وعن اللاتي قرأت قبلها.

قال: نعم، إن رسول الله ﷺ قال لقريش: «**يا معشر قريش، إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير**» وقد علمت قريش أن النصارى تعبد عيسى ابن مريم، وما تقول في

محمد، فقالوا: يا محمد، ألست تزعم أن عيسى كان نبيًا وعبدًا من عباد الله صالحًا؟ فلئن كنت صادقًا، فإن آلهتهم لكما تقولون.

قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿**وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ**﴾[الزخرف: ٥٧])[1].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (جاء العاص بن وائل إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل، ففته، فقال: يا محمد، أيبعث الله هذا بعد ما أرم؟

قال: «**نعم. يبعث الله هذا، يميتك، ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم**».

قال: فنزلت الآيات: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ**﴾ إلى آخر السورة)[2].



(١) رواه أحمد في المسند: (٤/ ٣٢٨-٣٢٩)، رقم: (٢٩٢١) وصححه أحمد شاكر، وأخرجه ابن حبان: (٦٨١٧)، مختصراً، والطبراني في المعجم الكبير من طريق شيبان به: (١٢/ ١٥٣)، رقم: (١٢٧٤٠) وقال الهيثمي: فيه عاصم ابن بهدله وثقه أحمد وغيره، وهو سيئ الحفظ، وبقية رجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد: (٧/ ١٠٤).
ورواه الحاكم: (٢/ ٤٤٨)، وصححه، ووافقه الذهبي، وحسنه محققو المسند، بإشراف أ. د. عبد الله التركي: (٥/ ٨٥)، رقم: (٢٩١٨).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك: (٢/ ٤٢٩)، كتاب التفسير. وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وصححه الذهبي، وأخرجه ابن أبي حاتم في التفسير من طريق عثمان بن سعيد الزيات عن هشيم به، ينظر تفسير ابن كثير: (٣/ ٩٢٥).

المطلب الرابع: التحدي والجواب

- قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَرًا رَسُولاً (٩٣) ﴾[الإسراء: ٩٠-٩٣].

- قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلاَ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (٧) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُورًا (٨) انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً (٩) ﴾[الفرقان: ٧-٩].

- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٢) وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣) ﴾[الأنفال: ٣٢-٣٣].

***

وهنا ضرب آخر من تشغيب المشركين، وتكبرهم على ربهم، وجحدهم لرسالة نبيهم؛ حيث طلبوا منه طلبات على سبيل التحدي والتعجيز، وهذا من فرط جهلهم، مع معرفتهم بصدقه وبشريته، كما طلبوا تعجيل العقوبة عليهم؛ لعدم تعظيمهم ربهم، قال الرازي: «اعلم أنه تعالى لما بين بالدليل كون القرآن معجزاً، وظهر هذا المعجز على وفق دعوى محمد ﷺ فحينئذ تم الدليل على كونه نبيًا صادقًا؛ لأنا نقول إن محمداً ادعى النبوة، وظهر المعجز على وفق دعواه، وكل من كان كذلك فهو نبي صادق، فهذا يدل على أن محمداً ﷺ صادق، وليس من شرط كونه نبيًا صادقًا تواتر المعجزات الكثيرة، وتواليها؛ لأنا لو فتحنا هذا الباب للزم أن لا ينتهي الأمر فيه إلى مقطع، وكلما

أتى الرسول بمعجز: اقترحوا عليه معجزاً آخر، ولا ينتهي الأمر فيه إلى حد ينقطع عنده عناد المعاندين، وتغلب الجاهلين»[1].

المعنى الإجمالي للآيات:

آيات سورة الإسراء:

- في هذه الآيات الكريمة شدة عناد الكفار، وكثرة اقتراحاتهم، لأجل التعنت لا لطلب الحق؛ فذكر أنهم قالوا له ﷺ: إنهم لن يؤمنوا له حتى يفجر لهم من الأرض ينبوعًا، أي: نبع له ماء غزير.

- ﴿**أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ**﴾: أي بستان من نخيل وعنب، فيفجر وسطها أنهاراً من الماء، أو يسقط السماء عليهم كسفًا: أي قطعًا كما زعم، أي في قوله تعالى: ﴿**إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ**﴾[سبأ: ٩]، أو يأتيهم بالله والملائكة قبيلاً: أي معاينة.

أو يكون له بيت من زخرف: أي من ذهب، أو يرقى في السماء: أي يصعد فيه، وإنهم لن يؤمنوا لرقيه، أي من أجل صعوده، حتى ينزل عليهم كتابًا يقرؤونه.

وقوله في هذه الآية: ﴿**كِتَابًا نَقْرَؤُهُ**﴾، أي كتابًا من الله إلى كل رجل منا.

ويوضح هذا قوله تعالى: ﴿**بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً**﴾[المدثر: ٥٢]، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ**﴾[الأنعام: ١٢٤].

- ﴿**قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَرًا رَسُولاً**﴾: أي تنزيهًا لربي جل وعلا عن كل ما لا يليق به، ويدخل فيه تنزيهه عن العجز عن فعل ما اقترحتم، فهو قادر على كل شيء، لا يعجزه شيء، وأنا بشر أتبع ما يوحيه إليَّ ربي.

وبين هذا المعنى في مواضع أخر: كقوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ**

(١) التفسير الكبير: (٢١/ ٤٠٧).

أَحَداً﴾[الكهف: ١١٠]، وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾[فصلت: ٦]، وكقوله تعالى عن جميع الرسل: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[إبراهيم: ١١][1].

آيات سورة الفرقان:

- ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ﴾: ما لهذا الذي يزعم الرسالة، وفيه استهانة وتهكم.

- ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾: كما نأكل.

- ﴿وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ﴾؛ لطلب المعاش كما نمشي، والمعنى إن صح دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا، وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات؛ فإن تميز الرسل عمن عداهم ليس بأمور جسمانية، وإنما هو بأحوال نفسانية، كما أشار إليه تعالى بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[الكهف: ١١٠].

- ﴿لَوْلاَ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً﴾؛ لنعلم صدقه بتصديق الملك.

- ﴿أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ﴾؛ فيستظهر به، ويستغني عن تحصيل المعاش.

- ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾: هذا على سبيل التنزل، أي إن لم يلق إليه كنز: فلا أقل من أن يكون له بستان كما للدهاقين، والمياسير، فيتعيش بريعه.

- ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾: وضع «الظالمون» موضع ضميرهم؛ تسجيلاً عليهم بالظلم فيما قالوه.

- ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ﴾: ما تتبعون.

- ﴿إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُوراً﴾، سُحر فغلب على عقله[2].

---

(١) ينظر: أضواء البيان للشنقيطي: (٣/ ١٨٣) وما بعدها.

(٢) تفسير البيضاوي: (٤/ ١١٨)، بتصرف يسير.

آيات سورة الأنفال:

- قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾: «هذا من كثرة جهلهم، وعتوهم وعنادهم وشدة تكذيبهم، وهذا مما عيبوا به، وكان الأولى لهم أن يقولوا: «اللهم، إن كان هذا هو الحق من عندك، فاهدنا له، ووفقنا لاتباعه». ولكن استفتحوا على أنفسهم، واستعجلوا العذاب، وتقديم العقوبة، كما قال تعالى: ﴿**وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلاَ أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ**﴾[العنكبوت: ٥٣]، ﴿**وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ**﴾[ص: ١٦]، ﴿**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ**﴾ [المعارج: ١-٣].

وكذلك قال الجهلة من الأمم السالفة، كما قال قوم شعيب له: ﴿**فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾[الشعراء: ١٨٧][(١)].

- قوله: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان فيهم أمانان: النبي ﷺ، والاستغفار، فذهب النبي ﷺ وبقي الاستغفار»[(٢)].

هدايات الآيات:

آيات سورة الإسراء:

- في هذه الآيات بيان لشدة تعنت المشركين ولجاجتهم، واستكبارهم على ربهم، فكلما ظهرت لهم آية أعرضوا عنها، وطلبوا غيرها، كما قال تعالى: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ**﴾[يوسف: ١٠٥].

---

(١) تفسير ابن كثير: (٤/ ٤٨-٤٩).

(٢) رواه الطبري في تفسير (١٣/ ٥١١) من طريق أبي حذيفة موسى بن مسعود به، ورواه الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة رضي الله عنه: (١/ ٥٤٢) - كتاب الدعاء، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

- وهذا التعنت والعناد العظيم الذي ذكره جل وعلا عن الكفار هنا بينه في مواضع أخر، وبين أنهم لو فعل الله ما اقترحوا ما آمنوا؛ لأن من سبق عليه الشقاء لا يؤمن، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ**﴾[الأنعام: ٧]، وقوله: ﴿**وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ**﴾[الأنعام: ١١١]، وقوله: ﴿**وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ**﴾[الحجر: ١٤-١٥]، وقوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ**﴾[يونس: ٩٦-٩٧]، والآيات بمثل هذا كثيرة(١).

آيات سورة الفرقان:

- فيها: أنهم «ذكروا له صفات خمسًا، فزعموا أنها تخل بالرسالة:

إحداها: قولهم: مال هذا الرسول يأكل الطعام.

وثانيتها: ويمشي في الأسواق، فزعموا أنه ليس له فضل عليهم.

وثالثتها: لولا أنزل إليه ملك يصدقه، أو يشهد له، ويرد على من خالفه.

رابعتها: أو يلقى إليه كنز أي من السماء فينفقه، فلا يحتاج إلى التردد لطلب المعاش.

وخامستها: أو تكون له جنة يأكل منها، إن لم يكن له كنز فلا أقل من بستان يأكل منه.

والرد على ذلك كله أن ذلك غير قادح في النبوة؛ لأن الذي يميزها هو الوحي والمعجزات؛ مع بقاء خصائص البشرية، وهي حاصلة له ﷺ.

(١) ينظر: أضواء البيان: (٣/ ١٨٣).

- في ذكر الكنز والجنة بالفعل المضارع إشارة إلى تكالبهم على الدنيا، وحرصهم عليها، وأنها أكبر همهم[1].

- **قال الجزائري: «من هداية الآيات:**

- بيان ما قابل به المشركون دعوة التوحيد من جلب كل قول وباطل؛ ليصدوا عن سبيل الله، وما زال هذا دأب المشركين إزاء دعوة التوحيد، إلى اليوم وإلى يوم القيامة.

- تقرير الوحي الإلهي، والنبوة المحمدية.

- بيان حيرة المشركين إزاء دعوة الحق، وضربهم الأمثال الواهية الرخيصة؛ للصدّ عن سبيل الله، وقد باءت كل محاولاتهم بالفشل، والخيبة المرة»[2].

آيات سورة الأنفال:

- فيها: شدة تعنت المشركين، واستعجالهم عذاب الله تعالى، وعدم تقديره حق قدره.

- وفيها: بيان لمكانة النبي ﷺ؛ حيث ذكر تعالى أن محمداً وإن كان محقًا في قوله إلا أنه مع ذلك لا يمطر الحجارة على أعدائه، وعلى منكري نبوته، لسببين:

- **الأول**: أن محمداً عليه الصلاة والسلام ما دام يكون حاضراً معهم، فإنه تعالى لا يفعل بهم ذلك تعظيمًا له، وهذا أيضًا عادة الله مع جميع الأنبياء المتقدمين، فإنه لم يعذب أهل قرية إلا بعد أن يخرج رسولهم منها، كما كان في حق نوح وهود وصالح ولوط.

- **والسبب الثاني**: وفيه فضل الاستغفار، وأنه أمان من العذاب، في قوله: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾: ولها عدة توجيهات:

- **التوجيه الأول**: وما كان الله معذب هؤلاء الكفار وفيهم مؤمنون يستغفرون، فاللفظ وإن كان عامًا إلا أن المراد بعضهم.

---

(١) ينظر: نظم الدرر: (١٣/ ٣٤٤).

(٢) أيسر التفاسير: (٣/ ٦٠١).

- **الثاني**: وما كان الله معذب هؤلاء الكفار، وفي علم الله أنه يكون لهم أولاد يؤمنون بالله ويستغفرونه، فوصفوا بصفة أولادهم وذراريهم.
- **الثالث**: أي لو استغفروا لم يعذبوا، فكان المطلوب من ذكر هذا الكلام استدعاء الاستغفار منهم، أي لو اشتغلوا بالاستغفار لما عذبهم الله؛ ولهذا ذهب بعضهم إلى أن الاستغفار هاهنا بمعنى الإسلام(١).

صحيح الروايات:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا، وأن ينحي عنهم الجبال فيزدرعوا.

فقيل له: إن شئت أن تستأني بهم، وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا، كما أهلكت من قبلهم. قال: «**لا بل أستأني بهم**».

فأنزل الله تعالى: ﴿**وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا**﴾[الإسراء: ٥٩]»(٢).

عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-: «قال أبو جهل: ﴿**اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ فنزلت: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣) وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾ الآية»(٣).



(١) ينظر: التفسير الكبير للرازي: (١٥/ ٤٧٩-٤٨٠).

(٢) رواه أحمد في المسند: (١/ ٢٥٨)، رقم: (٢٣٣٣)، والحاكم في المستدرك: (٢/ ٣٦٢)، وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند، والألباني في صحيح السيرة ص ١٥٢.

(٣) رواه البخاري: (٨/ ١٥٨)، كتاب التفسير، سورة الأنفال، الآية، رقم: (٤٦٤٨)، ومسلم: (٤/ ٢١٥٤)، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب قوله: ﴿**إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى**﴾، رقم: (٢٧٩٦).

المطلب الخامس: المساومات والمفاوضات

- قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩)﴾[القلم: ٩].

- قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢) وَلاَ تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٧٣) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٧٤)﴾[آل عمران: ٧٢-٧٤].

- قوله تعالى: ﴿حم (١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ (٤) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ (٥) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (٦) الَّذِينَ لاَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٨) قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٣)﴾ [فصلت: ١-١٣].

- قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا

أَعْبُدُ (٣) وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)﴾[الكافرون].

- قوله تعالى: **﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦)﴾**[الزمر: ٦٤-٦٦].

***

هنا بدأ اليأس يدب في قلوب المشركين، وعلموا أن التعذيب والإيذاء لن ينزع الإيمان من صدور المؤمنين، وأن السب والشتم والاستهزاء لن يثنيهم عن دينهم، وأن التكذيب لن يضرهم شيئًا، وأن الشبهات لن تكسبهم إلا قوة في الحجة، وأن التحدي لن يزيدهم إلا ثباتًا وعزيمة، فبدأوا في المساومات والعروض.

فأرسلوا مفاوضيهم، ومنهم عتبة، ولكن قابله النبي ﷺ بقراءة سورة فصلت، فتغير لها، وتأثر بها: «لقد هزت الآيات قلبه، ولكنها وجدته صخرًا، أما عقله فقد أدرك سحر هذا القرآن وأثره، لكن أنياب العادات والتقاليد، وبقايا سمعته كانت مغروزة فيه، وهو أضعف من أن يتخلص منها، فهو في ريبه يتردد، لا يجد له استقرارًا، في نزاع بين ما هو صحيح، وبين ما يهواه، وأخيرًا دحرجته جموع الكفر إلى الكفر، دحرجت قلبه الصخري على عقله، فانطمس، ولبث في عماء حتى ألقي مكفنًا بالشرك والعفن»[1].

المعنى الإجمالي للآيات:

- الآية الأولى: قال ابن الجوزي: **﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾** فيه سبعة أقوال:
- **أحدها:** لو ترخص فيرخصون، قاله ابن عباس.
- **والثاني:** لو تُصَانِعُهم في دِينك، فَيُصانِعون في دينهم، قاله الحسن.
- **والثالث:** لو تكفر فيكفرون، قاله عطية، والضحاك، ومقاتل.
- **والرابع:** لو تَلِينُ لهم، فيلينون لك، قاله ابن السائب.

(١) السيرة النبوية للصوياني: (١/ ١١٢).

- **والخامس**: لو تنافق وترائي فينافقون ويراءون، قاله زيد بن أسلم.
- **والسادس**: ودُّوا لو تداهن في دينك فيداهنون في أديانهم. وكانوا أرادوه على أن يعبد آلهتهم مُدَّة، ويعبدوا الله مدة، قاله ابن قتيبة. وقال أبو عبيدة: هو من المداهنة.
- **والسابع**: لو تقاربهم فيقاربوك، قاله ابن كيسان)[1].

قال الطبري: «وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ود هؤلاء المشركون يا محمد لو تلين لهم في دينك بإجابتك إياهم إلى الركون إلى آلهتهم، فيلبون لك في عبادتك إلهك، كما قال جل ثناؤه: ﴿**وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً إِذاً لأَذَقْناكَ ضِعْفَ الْحَياةِ وَضِعْفَ الْمَماتِ**﴾، وإنما هو مأخوذ من الدهن، شبّه التليين في القول بتليين الدهن)[2].

آيات سورة آل عمران:

- أخبر تعالى في هذه الآيات أن طائفة من اليهود من أحبارهم ذهبت إلى خديعة المسلمين بهذا المنزع، وهو أن يظهروا الإيمان صدر النهار، ثم يكفروا آخر النهار، فسيقول المسلمون عند ذلك: ما بال هؤلاء كانوا معنا ثم انصرفوا عنا؟ ما ذلك إلا لأنهم انكشفت لهم حقيقة في الأمر فيشكون، ولعلهم يرجعون عن الإيمان بمحمد عليه السلام.

وذكر الله تعالى عن هذه الطائفة من أهل الكتاب، أنهم قالوا: ﴿**وَلا تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ**﴾، أي: ولا تصدقوا تصديقًا صحيحًا وتؤمنوا إلا لمن جاء بمثل دينكم كراهة أو مخافة أو حذارًا أن يؤتى أحد من النبوة والكرامة مثل ما أوتيتم، وحذرًا أن يحاجوكم بتصديقكم إياهم عند ربكم، إذا لم تستمروا عليه.

وهذا القول على هذا المعنى ثمرة الحسد والكفر، مع المعرفة بصحة نبوة محمد ﷺ.

---

(١) زاد المسير: (٤/ ٣٢٠-٣٢١).

(٢) تفسير الطبري: (١٢/ ١٨٢).

والكلام كله من قول الطائفة، إلا الاعتراض الذي هو: ﴿**قُلْ إِنَّ الْهُدى هُدَى اللَّهِ**﴾، فإنه لا يختلف أنه من قول الله تعالى لمحمد ﷺ.

- قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ..**﴾، تكذيب لليهود في قولهم: نبوءة موسى مؤبدة، ولن يؤتي الله أحداً مثل ما آتى بني إسرائيل من النبوة والشرف(١).

آيات سورة فصلت:

- يخبر تعالى عباده أن هذا الكتاب الجليل، والقرآن الجميل (تَنزيلٌ) صادر **مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** الذي وسعت رحمته كل شيء، الذي من أعظم رحمته وأجلها، إنزال هذا الكتاب، الذي حصل به، من العلم والهدى، والنور، والشفاء، والرحمة.

ثم أثنى على الكتاب بتمام البيان، فقال: ﴿**فُصِّلَتْ آيَاتُهُ**﴾ أي: فصل كل شيء من أنواعه، وهذا يستلزم البيان التام.

- ﴿**قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ أي: لأجل أن يتبين لهم معناه، كما تبين لفظه، ويتضح لهم الهدى من الضلال، والْغَيِّ من الرشاد.

- ﴿**بَشِيرًا وَنَذِيرًا**﴾ أي: بشيراً بالثواب العاجل والآجل، ونذيراً بالعقاب العاجل والآجل، وذكر تفصيلهما، وذكر الأسباب والأوصاف التي تحصل بها البشارة والنذارة، وهذه الأوصاف للكتاب، مما يوجب أن يُتَلقَّى بالقبول، والإذعان، والإيمان، والعمل به، ولكن أعرض أكثر الخلق عنه إعراض المستكبرين، ﴿**فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ**﴾ له سماع قبول وإجابة، وإن كانوا قد سمعوه سماعًا، تقوم عليهم به الحجة الشرعية.

- ﴿**وقالوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ**﴾ أي: أغطية مغشاة ﴿**مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ**﴾ أي: صمم فلا نسمع لك، ﴿**وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ**﴾ فلا نراك.

(١) ينظر: تفسير ابن عطية: (١/ ٤٥٣)، وما بعدها.

- ﴿فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ أي: كما رضيت بالعمل بدينك، فإننا راضون كل الرضا، بالعمل في ديننا.

- ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ أي: هذه صفتي ووظيفتي، أني بشر مثلكم، وإنما فضلني الله عليكم، وخصَّني بالوحي الذي أوحاه إليَّ وأمرني باتباعه، ودعوتكم إليه.

- ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ أي: اسلكوا الصراط الموصل إلى الله تعالى، ولما كان العبد، -ولو حرص على الاستقامة- لا بد أن يحصل منه خلل بتقصير بمأمور، أو ارتكاب منهي، أمره بدواء ذلك بالاستغفار، فقال: ﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾.

ثم توَّعد من ترك الاستقامة فقال: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الذين لا يؤتون الزكاة﴾ أي: الذين عبدوا من دونه من لا يملك نفعًا ولا ضرًا، ولا موتًا، ولا حياة، ولا نشورًا ودنسوا أنفسهم، فلم يزكوها بتوحيد ربهم والإخلاص له، ولم يصلوا ولا زكوا، فلا إخلاص للخالق بالتوحيد والصلاة، ولا نفع للخلق بالزكاة وغيرها.

ولما ذكر الكافرين، ذكر المؤمنين، ووصفهم وجزاءهم، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بهذا الكتاب، وما اشتمل عليه مما دعا إليه من الإيمان، وصدقوا إيمانهم بالأعمال الصالحة الجامعة للإخلاص، والمتابعة: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير مقطوع ولا نافد، بل هو مستمر مدى الأوقات، متزايد على الساعات، مشتمل على جميع اللذات والمشتهيات.

ثم ينكر الله تعالى ويعجِّب، من كفر الكافرين به، الذين جعلوا معه أندادًا يشركونهم معه، ويبذلون لهم ما يشاؤون من عباداتهم، ويسوونهم بالرب العظيم، الملك الكريم، الذي خلق الأرض الكثيفة العظيمة، في يومين، ثم دحاها في يومين، بأن جعل فيها رواسي من فوقها، ترسيها عن الزوال، والتزلزل، وعدم الاستقرار.

فكمل خلقها، ودحاها، وأخرج أقواتها، وتوابع ذلك ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ عن ذلك، فلا ينبئك مثل خبير، فهذا الخبر الصادق، الذي لا زيادة فيه ولا نقص.

- ﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾ أي: بعد أن خلق الأرض قصد ﴿إِلَى﴾ خلق ﴿السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ قد ثار على وجه الماء، ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾: أي: انقادا لأمري، طائعتين أو مكرهتين، فلا بد من نفوذه.

- ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ ليس لنا إرادة تخالف إرادتك.

- ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾: فَتَمَّ خلق السماوات والأرض في ستة أيام، مع أن الله تعالى قادر على خلق الجميع في لحظة واحدة، ولكنه حكيم رفيق، فمن حكمته ورفقه، أن جعل خلقها في هذه المدة المقدرة.

- وقوله: ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ أي: الأمر والتدبير اللائق بها، الذي اقتضته حكمة أحكم الحاكمين.

- ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ هي: النجوم، يستنار بها، ويهتدى، وتكون زينة وجمالاً للسماء ظاهراً، وجمالاً لها باطنًا، بجعلها رجومًا للشياطين؛ لئلا يسترق السمع فيها.

- ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾: الذي عزته قهر بها الأشياء ودبرها، وخلق بها المخلوقات.

- ﴿الْعَلِيمِ﴾: الذي أحاط علمه بالمخلوقات، الغائب والشاهد.

فإن أعرض هؤلاء المكذبون بعد ما بين لهم من أوصاف القرآن الحميدة، ومن صفات الإله العظيم: ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً﴾ أي: عذابًا يستأصلكم، ويجتاحكم، ﴿مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ القبيلتين المعروفتين؛ حيث اجتاحهم العذاب، وحل عليهم، وبيل العقاب، وذلك بظلمهم وكفرهم [1].

سورة الكافرون:

- اعترض رسولَ الله ﷺ وهو يطوف عند باب الكعبة -الأسودُ بن المطلب، والوليد بن المغيرة، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل، فقالوا: يا محمد، هلم، فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، فنشترك نحن وأنت في الأمر، فنزلت هذه الآيات، كما

(١) ينظر: تفسير السعدي ص ٧٤٤.

سيأتي في صحيح الروايات. ولذلك تعتبر هذه السورة براءة من الشرك وأهله، فعن فروة ابن نوفل عن أبيه أن النبي ﷺ قال لنوفل: «**اقرأ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ثم نم على خاتمتها، فإنها براءة من الشرك**»(١).

- ومعناها: قل يا محمد لهؤلاء الكافرين: لا أعبد ما تعبدون في الحال.

ولا أنتم عابدون ما أعبد في الحال، ولا أنا عابد ما عبدتم في الاستقبال، ولا أنتم عابدون ما أعبد في الاستقبال، وهذا خطاب لمن سبق في علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون.

لكم دينكم، الشرك، ولي دين الإسلام(٢).

آيات سورة الزمر:

هذه الآيات متعلقة بالسبب السابق من مساومة المشركين للنبي ﷺ.

- ومعناها: ﴿قُلْ﴾ يا أيها الرسول لهؤلاء الجاهلين، الذين دعوك إلى عبادة غير الله: ﴿**أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ**﴾ أي: هذا الأمر صدر من جهلكم، وإلا فلو كان لكم علم بأن الله تعالى الكامل من جميع الوجوه، مسدي جميع النعم، هو المستحق للعبادة، دون من كان ناقصًا من كل وجه، ولا ينفع ولا يضر، لم تأمروني بذلك.

وذلك لأن الشرك بالله محبط للأعمال، مفسد للأحوال؛ ولهذا قال: ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ**﴾ من جميع الأنبياء، ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**﴾ ففي نبوة جميع الأنبياء، أن الشرك محبط لجميع الأعمال، كما قال تعالى في سورة الأنعام -لما عدد كثيرًا من أنبيائه ورسله -: ﴿**وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾.

---

(١) رواه أبوداود: (٤/ ٣١٣)، كتاب الأدب، باب ما يقال عند النوم، رقم: (٥٠٥٥)، وأخرجه الدارمي في السنن: (٢/ ٤٥٩)، والحاكم في المستدرك: (٢/ ٥٣٨) من طرق عن زهير بن معاوية به، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح السنن.

(٢) ينظر: تفسير البغوي: (٥/ ٣١٨).

- ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ دينك وآخرتك، فبالشرك تحبط الأعمال، ويستحق النكال.

- ثم قال: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾ لما أخبر أن الجاهلين يأمرونه بالشرك، وأخبر عن شناعته، أمره بالإخلاص فقال: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾ أي: أخلص له العبادة وحده لا شريك له، ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لله تعالى على توفيقه وهدايته ونعمه[1].

هدايات الآيات:

آيات سورة آل عمران:

- قوله: ﴿وَجْهَ النَّهارِ﴾: «مقصود به ساعات الصباح والظهر، فالوجه هو أول ما يواجه في أي أمر، ونحن نأخذ ذلك في أمثلة حياتنا اليومية، فنقول عن بائع الفاكهة: «لقد صنع وجهًا للفاكهة»، أي أنه قد وضع أنضج الثمار في واجهة العربة، وأخفى خلف الثمار الصالحة الناضجة ثمارًا أخرى فاسدة.

وعندما يفعل التاجر مثل هذا الفعل فمقصده الغش والخداع؛ لأن الإنسان إذا ما اشترى أي مقدار من هذه الفاكهة فسيجد ربع ما اشترى هو من واجه الفاكهة، والباقي من الثمار الفاسدة.

وكذلك حاول بعض من أهل الكتاب أن يخدعوا المؤمنين بإعلان الإيمان أول النهار، ثم إعلان الكفر آخر النهار، والهدف بطبيعة الحال هو إشاعة الشك، وزراعة البلبلة في نفوس المؤمنين، بخصوص هذا الدين، فقد يقول بعض من الأميين: لقد اختبر أهل الكتاب هذا الدين الجديد، وهم أهل علم بمناهج السماء، ولم يجدوه مطابقًا لمناهج السماء»[2].

- فيها: أن المبطلين لهم خطوات في الإضلال، فهم لا يبدؤون بإبعاد المؤمنين عن دينهم جملة واحدة؛ فإن هذا لا ينطلي عليهم؛ ولذلك فهم يبدؤون بالأدنى، فإن قُبل انتقلوا إلى الأعلى.

(١) تفسير السعدي ص ٧٢٩، بتصرف يسير.
(٢) تفسير الشعراوي: (٣/ ١٥٣٩).

آيات سورة فصلت:

- فيها: أن أعظم المواعظ ما كان بالقرآن، فهو الذي تهتز به النفوس، ويتغلغل في سويداء الأفئدة، ويخاطب بقايا الفطرة، كما قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ**﴾[الأنبياء: ٤٥]، وقال: ﴿**فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ**﴾[ق: ٤٥]؛ لذلك كان هذا التأثير العجيب على صناديد الكفر، فهي رسالة للدعاة أن يكون خطابهم قرآنيًا، به يدعون، ومنه يصدرون.

- ظاهر آية خلق الأرض قبل السموات يتعارض مع قوله تعالى في النازعات، لما ذكر خلق السماوات قال: ﴿**وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا**﴾[النازعات: ٣٠]، وكتاب الله لا تعارض فيه ولا اختلاف.

والجواب عن ذلك: أن خلق الأرض وصورتها متقدم على خلق السماوات كما هنا، ودحي الأرض بأن: ﴿**أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا**﴾ [النازعات: ٣١-٣٢]: متأخر عن خلق السماوات كما في سورة النازعات؛ ولهذا قال فيها: ﴿**وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا**﴾، إلى آخره ولم يقل: «والأرض بعد ذلك خلقها»[1].

- فيها: أن تَرْك المشركين الإخلاص لهذا الرب العظيم الواحد القهار، الذي انقادت المخلوقات لأمره ونفذ فيها قدره، من أعجب الأشياء، واتخاذهم له أندادًا يسوونهم به، وهم ناقصون في أوصافهم وأفعالهم، أعجب، وأعجب، ولا دواء لهؤلاء، إن استمر إعراضهم، إلا العقوبات الدنيوية والأخروية؛ فلهذا جاء تخويفهم في الآيات بعدها.

- **وفيها: كما قال الجزائري**: «إثبات حيرة المشركين إزاء الدعوة المحمدية، وإلى اليوم.

- بيان استعمال المشركين أسلوب المساومات؛ لإحباط الدعوة، وإطفاء نورها

- ثبات النبي ﷺ، ووقوفه كأنه جبل أشم أمام المساومات والتحديات»[2].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي ص ٧٤٤.

(٢)هذا الحبيب يا محب ص١٠٩.

سورة الكافرون:

- فيها: أن أصل الرسالات، وغاية النبوات: تحقيق العبودية لله تعالى، كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾[النحل: ٣٦]، وقوله: ﴿**وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ**﴾[الزخرف: ٤٥]، فلا يمكن التنازل عن ذلك طرفة عين.

- ومن الهدايات المتعلقة بمناسبة السورة: أنها وقعت بين سورتين تتضمنان بشارات للنبي ﷺ، فقبلها سورة الكوثر، وأن التمكين والذكر في الدنيا للنبي ﷺ، مع ما له في الآخرة من النعيم المقيم.

وبعدها سورة النصر وأن العاقبة لهذا الدين، وفي هذا إشارة إلى أن مفاصلة المشركين والبراءة منهم لن تنقص من دينه ودنياه وآخرته شيئًا، بل هو موعود بالنصر، ففيها تثبيت وتبشير للنبي ﷺ وصحابته والمؤمنين من بعده.

- ومن هدايات التكرار في هذه السورة ما بينه الزمخشري بقوله: (﴿**وَلا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُّمْ**﴾ أي: وما كنت قط عابدًا فيما سلف ما عبدتم فيه، يعنى لم تعهد منى عبادة صنم في الجاهلية، فكيف ترجى منى في الإسلام.

- ﴿**وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ**﴾ أي: وما عبدتم في وقت ما أنا على عبادته)[1].

آيات سورة الزمر:

- قوله: ﴿**قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ**﴾: فيه: أن التوحيد وإفراد الله تعالى بالعبادة لا مساومة فيه ولا مفاوضة، بل هو أصل المفاصلة مع المشركين.

- قوله: ﴿**أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ**﴾: فيه: أن حقيقة الجهل الإعراض عن عبادة الله تعالى، فهي تفويت للحياة الطيبة في الدنيا، والنعيم المقيم في الآخرة.

- قوله: ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**﴾: فيه أن الله تعالى لا يحابي أحدًا في الشرك،

(١) الكشاف: (٤/ ٨٠٩).

وأنه الذنب الذي تنقطع به جميع أسباب النجاة إن لم يتب عنه في حياته، فإذا كان هذا خطاب الله تعالى لأصفيائه وأنبيائه، فكيف حال غيرهم؟!

- قوله: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾: التقديم والتأخير، يفيد اختصاص الله تعالى بالعبادة، وأنه حق خالص له سبحانه وتعالى، لا يشركه فيه ملك مقرب، ولا نبي مرسل.

- قوله: ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾: فيه أن الشكر يكون بالعبادة، وهو أعظم معالم الشكر، كما قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[سبأ: ١٣].

- وفيها: أن الشكر يكون على النعم الدينية والدنيوية، «فكما أنه تعالى يشكر على النعم الدنيوية، كصحة الجسم وعافيته، وحصول الرزق وغير ذلك، كذلك يشكر ويثنى عليه بالنعم الدينية، كالتوفيق للإخلاص، والتقوى، بل نعم الدين، هي النعم على الحقيقة، وفي تدبر أنها من الله تعالى والشكر لله عليها، سلامة من آفة العجب التي تعرض لكثير من العاملين، بسبب جهلهم، وإلا فلو عرف العبد حقيقة الحال، لم يعجب بنعمة تستحق عليه زيادة الشكر»[1].

صحيح الروايات:

- عن مجاهد رحمه الله في قوله: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾، **قال**: (لو تركن إلى آلهتهم، وتترك ما أنت عليه من الحق فيمالئونك)[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «قال عبد الله بن الصيف، وعدي بن زيد، والحارث بن عوف بعضهم لبعض: تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة، ونكفر به عشية؛ حتى نلبس عليهم دينهم، لعلهم يصنعون كما نصنع فيرجعوا عن دينهم!

(١) تفسير السعدي ص ٧٢٩.

(٢) تفسير الطبري: (٢٣/ ٥٣٤)، بسند صحيح، كما في التفسير الصحيح: (٤/ ٥٢١).

فأنزل الله عز وجل فيهم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ إلى قوله ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾»[1].

عن قتادة في قوله: ﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ﴾: «فقال بعضهم لبعض: أعطوهم الرضى بدينهم أول النهار، واكفروا آخره؛ فإنه أجدر أن يصدقوكم، ويعلموا أنكم قد رأيتم فيهم ما تكرهون، وهو أجدر أن يرجعوا عن دينهم»[2].

عن مجاهد في قول الله عز وجل: ﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ﴾: (يهود تقوله، صلت مع محمد صلاة الصبح، وكفروا آخر النهار، مكرًا منهم؛ ليُروا الناس أن قد بدت لهم منه الضلالة بعد أن كانوا اتبعوه)[3].

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: (اجتمعت قريش يومًا فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وعاب ديننا، فليكلمه، ولينظر ماذا يرد عليه؟

فقالوا: ما نعلم أحدًا غير عتبة بن ربيعة. فقالوا: أنت يا أبا الوليد.

فأتاه عتبة، فقال: يا محمد: أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله ﷺ.

فقال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ.

ثم قال: إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك: فقد عبدوا الآلهة التي عبت.

وإن كنت تزعم أنك خير منهم: فتكلم حتى نسمع قولك، إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك، فرقت جماعتنا، وشتت أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب، حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحرًا، وأن في قريش كاهنًا، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى.

(١) تفسير الطبري: (٦/ ٥٠٤)، رقم: (٧٢٢٣) بسند حسن، كما في التفسير الصحيح: (١/ ٤٢٥).
(٢) تفسير الطبري: (٦/ ٥٠٧)، رقم: (٧٢٣١)، بسند حسن، كما في التفسير الصحيح: (١/ ٤٢٥).
(٣) تفسير الطبري: (٦/ ٥٠٨)، رقم: (٧٢٣٥)، بسند حسن، كما في التفسير الصحيح: (١/ ٤٢٥).

أيها الرجل: إن كان إنما بك الحاجة: جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً واحداً.

وإن كان إنما بك الباءة: فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً.

فقال رسول الله ﷺ: «**فرغت؟**». قال: نعم.

فقال رسول الله ﷺ: ﴿**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

حم (١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ إلى أن بلغ: ﴿**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ**﴾ [فصلت: ١-١٣].

فقال عتبة: حسبك ما عندك غير هذا؟ قال: «**لا**».

فرجع إلى قريش فقالوا: ما وراءك؟ قال: ما تركت شيئًا أرى أنكم تكلمونه إلا كلمته.

قالوا: فهل أجابك؟ فقال: نعم. ثم قال: لا والذي نصبها بينة ما فهمت شيئًا مما قال، غير أنه أنذركم صاعقة، مثل صاعقة عاد وثمود.

قالوا: ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال؟

قال: لا والله ما فهمت شيئًا مما قال، غير ذكر الصاعقة)[1].

وفي رواية: (وإن كنت إنما بك الرياسة عقدنا ألويتنا لك فكنت رأسًا ما بقيت.

ولما قال: ﴿**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ**﴾: أمسك عتبة على فيه، وناشده الرحم أن يكف عنه، ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم.

فقال أبو جهل: والله يا معشر قريش ما نرى عتبة إلا صبا إلى محمد، وأعجبه كلامه، وما ذاك إلا من حاجة أصابته، انطلقوا بنا إليه.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٥٣)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي، ينظر: صحيح السيرة للألباني، ص١٦١.

فأتوه، فقال أبو جهل: والله يا عتبة ما جئنا إلا أنك صبوت إلى محمد، وأعجبك أمره، فإن كان بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن محمد.

فغضب، وأقسم بالله لا يكلم محمدًا أبدًا، وقال: لقد علمتم أني من أكثر قريش مالاً، ولكني أتيته -وقص عليهم القصة- فأجابني بشيء -والله ما هو بسحر، ولا بشعر، ولا كهانة- قرأ: ﴿**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

حم (١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ حتى بلغ: ﴿**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ**﴾، فأمسكت بفيه، وناشدته الرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئا لم يكذب، فخفت أن ينزل عليكم العذاب»[(١)].

قال ابن إسحاق: (واعترض رسول الله ﷺ -فيما بلغني- وهو يطوف عند باب الكعبة: الأسود بن المطلب، والوليد بن المغيرة، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل، فقالوا: يا محمد، هلم، فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، فنشترك نحن، وأنت في الأمر.

فأنزل الله فيهم: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ**﴾ إلى آخرها)[(٢)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: (فجاء الوحي من اللوح المحفوظ: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**﴾ السورة. وأنزل الله: ﴿**قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ**﴾ إلى قوله: ﴿**بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾[الزمر: ٦٤ - ٦٦])[(٣)].



(١) وهي رواية أخرى، ينظر: صحيح السيرة ص١٦٢.

(٢) ذكره ابن إسحاق في السيرة معلقًا: (١/ ٣٨٨)، ووصله ابن جرير: (٣٠/ ٣٣١)، وهو في صحيح السيرة، ص٢٠١.

(٣) أخرجه ابن جرير: (٣٠/ ٣٣١)، وابن أبي حاتم والطبراني كما في الدر المنثور: (٦/ ٤٠٤)، وإسناده حسن. ينظر: صحيح السيرة للألباني، ص٢٠٦.

المطلب السادس: المعجزات وبشارات التمكين

- قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (٣) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (٥)﴾[القمر: ١-٥].

- قوله تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ (٤٤) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ (٤٦)﴾[القمر: ٤٣-٤٦].

- قوله تعالى: ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ (١١)﴾[ص: ١١].

- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣)﴾[الصافات: ١٧١-١٧٣].

- قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٩٦)﴾[الحجر: ٩٥-٩٦].

- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ (٣٤)﴾[الأنعام: ٣٤].

***

رغم كل ما سبق من ابتلاءات، واستضعاف فقد «كان رسول الله ﷺ يبثّ عناصر الثقة في قلوب رجاله، ويفيض عليهم ما أفاضه الله على فؤاده، من أمل رحيب في انتصار الإسلام، وانتشار مبادئه، وزوال سلطان الطغاة أمام طلائعه المظفّرة في المشارق والمغارب، وقد اتخذ المستهزئون من هذه الثقة مادة لسخريتهم وضحكهم؛ كان الأسود بن المطّلب وجلساؤه إذا رأوا أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام يتغامزون بهم، ويقولون:

قد جاءكم ملوك الأرض الذين سيغلبون غداً على ملك كسرى وقيصر، ثم يصفّرون ويصفقون!!.»[1].

وكل هذه الآيات تتضمن بشارات التمكين، وقبس من نور اليقين، الذي يدرك كل مؤمن تحققه عياناً كالشمس الساطعة، في نبوة صادقة، وحقيقة ناطقة، تزيد المؤمنين إيماناً، وتثبت قلوبهم عند الفتن إذا عصفت بهم؛ لأنهم اعتبروا بتلك السيرة العظيمة، مع هذه الآيات الكريمة، فخالطت أرواحهم: فاطمأنت لها، واستكانت جوارحهم بتوكلها على ربها.

فظهرت في هذه الأثناء معجزة انشقاق القمر، وكُفي النبي ﷺ، وبدأ الدين يظهر وينتشر، ووجد المؤمنون لهم فرجاً ومخرجاً.

المعنى الإجمالي للآيات:

- **أوائل سورة القمر:**

- ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ**﴾: يخبر تعالى عن اقتراب الساعة، وفراغ الدنيا وانقضائها. كما قال تعالى: ﴿**أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ**﴾[النحل: ١]، وقال سبحانه: ﴿**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ**﴾[الأنبياء: ١].

- ﴿**وَانْشَقَّ الْقَمَرُ**﴾: وكان هذا في زمان رسول الله ﷺ، كما سيأتي في الأحاديث الصحيحة، وكان إحدى المعجزات الباهرات.

- وقوله: ﴿**وَإِنْ يَرَوْا آيَةً**﴾ أي: دليلاً وحجة وبرهاناً ﴿**يُعْرِضُوا**﴾ أي: لا ينقادون له، بل يعرضون عنه، ويتركونه وراء ظهورهم، ﴿**وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ**﴾ أي: ويقولون: هذا الذي شاهدناه من الحجج، سحر سحرنا به، ذاهب لا دوام له.

- قوله: ﴿**وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ**﴾ أي: كذبوا بالحق إذ جاءهم، واتبعوا ما أمرتهم به آراؤهم، وأهواؤهم من جهلهم، وسخافة عقلهم.

(١) فقه السيرة للغزالي ص ١١٣.

- وقوله: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾: أي أن الخير واقع بأهل الخير، والشر واقع بأهل الشر.

- وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾أي: من الأخبار عن قصص الأمم المكذبين بالرسل، وما حل بهم من العقاب والنكال والعذاب، مما يتلى عليهم في هذا القرآن.

- ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾أي: ما فيه واعظ لهم عن الشرك، والتمادي على التكذيب.

- وقوله: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ أي: في هدايته تعالى لمن هداه وإضلاله لمن أضله.

- ﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾: فأي شيء تغني النذر عمن كتب الله عليه الشقاوة، وختم على قلبه، فمن الذي يهديه من بعد الله؟[1].

- **أواخر سورة القمر:**

- ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ يا معشر العرب.

- ﴿خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ﴾ الكفار المعدودين قوة وعدة، أو مكانة وديناً عند الله تعالى.

- ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ أم نزل لكم في الكتب السماوية أن من كفر منكم فهو في أمان من العذاب؟!

- ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾ جماعة أمرنا مجتمع منتصر ممتنع لا نرام، أو منتصر من الأعداء لا نغلب، أو متناصر ينصر بعضنا بعضاً، والتوحيد على لفظ الجميع.

- ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾: أي الأدبار، وإفراده لإرادة الجنس، أو لأن كل واحد يولي دبره، وقد وقع ذلك يوم بدر، وهو من دلائل النبوة.

- ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ موعد عذابهم الأصلي وما يحيق بهم في الدنيا فمن طلائعه.

- ﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَى﴾ أشد، والداهية أمر فظيع لا يهتدي لدوائه.

- ﴿وَأَمَرُّ﴾ مذاقًا من عذاب الدنيا[2].

- قوله تعالى: ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ (١١)﴾[ص: ١١].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير: (٧/ ٤٧٥).

(٢) تفسير البيضاوي: (٥/ ١٦٨).

سبقت معنا الآيات قبل هذه الآية، والتي حكت تكذيب المشركين للرسالة، واستكبارهم على ربهم، وتآمرهم على النبي ﷺ، وتأتي هذه الآية لتبشر النبي ﷺ بأن جميع هؤلاء الملأ عاقبتهم الهزيمة والهلاك، كما أهلكت الأمم المكذبة قبلهم، وأخبر الله تعالى بمكة أنه سيهزم جند المشركين، فجاء تأويلها يوم بدر.

وقيل: المعنى أنهم جند سيصيرون منهزمين في الموضع الذي ذكروا فيه هذه الكلمات، وذلك الموضع هو مكة، فالمراد أنهم سيصيرون منهزمين في مكة يوم الفتح، والله أعلم[1].

- قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣)**﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

لا زالت تتتابع البشارات الربانية للنبي ﷺ وأصحابه في الآيات المكية، بأن الضعف سينقلب إلى قوة، والقلة إلى كثرة، والهوان إلى عزة، فيقول تعالى هنا: لقد سبق وعدنا للمرسلين، وأتباعهم بالنصرة والغلبة.

والجند هم أتباع المرسلين، وأضافهم إليه تعالى تشريفًا لهم وتنويهًا بهم[2].

- قوله تعالى: ﴿**إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٩٦)**﴾[الحجر: ٩٥-٩٦].

وهذه بشارة أخرى للنبي ﷺ، وهي أنه لن يضره أذى المشركين؛ لأن الله تعالى هو حسبه وكافيه وحافظه.

قال السعدي: (﴿**إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ**﴾ بك وبما جئت به، وهذا وعد من الله لرسوله، أن لا يضره المستهزئون، وأن يكفيه الله إياهم بما شاء من أنواع العقوبة.

وقد فعل تعالى، فإنه ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله ﷺ، وبما جاء به إلا أهلكه الله، وقتله شر قتلة.

(١) ينظر: التفسير الكبير للرازي: (٢٦/ ٣٧٠).

(٢) ينظر: روح المعاني للألوسي: (١٢/ ١٤٨).

ثم ذكر وصفهم وأنهم كما يؤذونك يا رسول الله، فإنهم أيضًا يؤذون الله ويجعلون معه ﴿إِلَهًا آخَرَ﴾ وهو ربهم وخالقهم ومدبرهم.

- ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ غبَّ أفعالهم إذا وردوا القيامة)[1].

- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ (٣٤)﴾ [الأنعام: ٣٤].

وهنا أيضًا تسلية لرسول الله ﷺ، وأنه على ركب مواكب المرسلين من قبله، وتبشير له بأن عاقبة صبره إلى النصر.

- ﴿فَصَبَرُوا﴾ الصبر: حبس النفس على المكروه.

- ﴿عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ﴾ على تكذيبهم وإيذائهم.

- ﴿حتى أتاهم نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدّلَ لكلمات الله﴾ لمواعيده كما سبق في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾، وقوله: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾[غافر: ٥١].

- ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾، بعض أنبائهم وقصصهم، وما كابدوا من مصابرة المشركين، وانتصارهم عليهم[2].

هدايات الآيات:

- **أوائل سورة القمر:**

- فيها: مواساة للمؤمنين، ونعي للمكذبين؛ فاقتراب الساعة: هو اقتراب لكرامة المؤمن، وذهاب نصبه، وانكشاف كربه، وبالمقابل هو اقتراب لتعذيب المكذبين الظالمين، وأخذهم على ظلمهم، وإنصاف المظلوم منهم.

(١) تفسير السعدي، ص٤٣٥.
(٢) ينظر: مدارك التنزيل للنسفي: (١/ ٥٠١).

- من هداياتها: قول ابن جرير: «وهذا من الله تعالى إنذاره لعباده بدنوّ القيامة، وقرب فناء الدنيا، وأمر لهم بالاستعداد لأهوال القيامة، قبل هجومها عليهم، وهم عنها في غفلة ساهون»[1].

- وفيها: أن الله تعالى يؤيد أنبياءه بمعجزاته، وهي إحدى دلائل نبوتهم، وحججهم على أقوامهم، كما في حادثة انشقاق القمر.

- وفيها: «تسجيل مكابرة المشركين في الآيات البينة، وأمر النبي ﷺ بالإعراض عن مكابرتهم»[2].

-**أواخر سورة القمر**:

- فيها: كثرة البشارات القرآنية رغم إحاطة المحن بالمؤمنين؛ ثبيتًا لقلوبهم، وكشفًا لهمومهم، وهو من أسرار صبرهم بتوفيق من ربهم.

- قال الجزائري: «من هداية الآيات:

١- بيان حقيقة يغفل عنها الناس، وهي أن الكفر كله واحد، ومورد للهلاك.

٢- لا قيمة أبدًا لقوة الإنسان إزاء قوة الله تعالى.

٣- صدق القرآن في إخباره بغيب لم يقع، ووقع كما أخبر، وهو آية أنه وحي الله وكلامه.

٤- القيامة موعد لقاء البشرية كافة بحيث لا يتخلف عنه أحد»[3].

- هدايات قوله تعالى: ﴿**جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ (١١)**﴾ [ص: ١١].

- في الآية بيان لسعة علم الله تعالى، وإحاطته بجميع الغيبيات، وإطلاع عباده على ما شاء منها.

- كما أن فيها إظهارًا لعظيم قدرته، وشدة بطشه وقوته، فمع تكاثر الأحزاب فهم لا شيء في ملكوته وقهره.

---

(١) تفسير الطبري: (٢٢/ ٥٦٥).

(٢) التحرير والتنوير: (٢٧/ ١٦٦).

(٣) أيسر التفاسير: (٥/ ٢١٩).

- وفيها: وصفهم بالأحزاب، وهي تدل على التفرق، والضعف، والضلال؛ حيث لم تأت في القرآن إلا في مواطن الذم من التكذيب والاختلاف والهلاك، وأما المؤمنون فهم حزب واحد تجمعهم كلمة التوحيد، والوحي العظيم، وأركان الدين.

- هدايات قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣)**﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

- فيها: أن ما قدره الله تعالى كائن، لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه، ولا غالب لأمره.

- وفيها: أن شرط النصر هو التعبد لله تعالى وطاعته؛ لذلك وصف المرسلين بقوله: ﴿**لِعِبَادِنَا**﴾؛ للدلالة على أن شرفهم إنما هو بعبادتهم الله تعالى والدعوة إليه، كما أنه سبب نصرهم، كما قال تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا**﴾[النور: ٥٥].

- وفيها: تشريف لأتباع الرسل الذين يجاهدون في سبيله؛ حيث وصفهم الله تعالى بأنهم جنده، فأضافهم إليه سبحانه مع عدم حاجته لهم، فهي إضافة تشريف تقتضي النصر بشرطه السابق.

-هدايات قوله تعالى: ﴿**إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٩٦)**﴾ [الحجر: ٩٥-٩٦].

- فيها: التبشير بحفظ رسالة النبي ﷺ، وأنه في كفاية الله تعالى، وهذا يقتضي بقاءها إلى قيام الساعة.

- فيها: أن الدعاة إلى الله تعالى من أتباع الرسل هم في حفظ الله تعالى ورعايته، فالآية جاءت بعد آية الصدع بالدعوة؛ للدلالة على أن الداعية قد يتعرض للاستهزاء والإيذاء، لكنه محفوظ من الله تعالى.

- وفيها: أن الاستهزاء من أعمال المشركين، فلا يجتمع الإيمان مع الاستهزاء بشيء من شعائر الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ**﴾[التوبة: ٦٥-٦٦].

- هدايات قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ (٣٤)**﴾[الأنعام: ٣٤].

- في هذه الآية: أن «موكب الدعوة إلى الله موغل في القدم، ضارب في شعاب الزمن، ماض في الطريق اللاحب، ماض في الخط الواصب.. مستقيم الخطى، ثابت الأقدام، يعترض طريقه المجرمون من كل قبيل، ويقاومه التابعون -من الضالين-، والمتبوعون، ويصيب الأذى من يصيب من الدعاة، وتسيل الدماء، وتتمزق الأشلاء.. والموكب في طريقه لا ينحني، ولا ينثني، ولا ينكص، ولا يحيد.. والعاقبة هي العاقبة، مهما طال الزمن، ومهما طال الطريق.. إن نصر الله دائمًا في نهاية الطريق».

- فيها «كلمات للذكرى، وللتسرية وللمواساة، والتأسية.

- وهي ترسم للدعاة إلى الله من بعد رسول الله -ﷺ- طريقهم واضحًا، ودورهم محددًا، كما ترسم لهم متاعب الطريق وعقباته، ثم ما ينتظرهم بعد ذلك كله في نهاية الطريق...

- إنها تعلمهم أن سنة الله في الدعوات واحدة. كما أنها كذلك وحدة. وحدة لا تتجزأ.. دعوة تتلقاها الكثرة بالتكذيب، وتتلقى أصحابها بالأذى.. وصبر من الدعاة على التكذيب وصبر كذلك على الأذى.. وسنة تجري بالنصر في النهاية..

ولكنها تجيء في موعدها. لا يعجلها عن هذا الموعد أن الدعاة الأبرياء الطيبين المخلصين يتلقون الأذى والتكذيب، ولا أن المجرمين الضالين والمضلين يقدرون على أذى المخلصين الأبرياء الطيبين! ولا يعجلها كذلك عن موعدها أن صاحب الدعوة المخلص المتجرد من ذاته، ومن شهواته، إنما يرغب في هداية قومه حبًا في هدايتهم، ويأسى على ما هم فيه من ضلال وشقوة، وعلى ما ينتظرهم من دمار وعذاب في الدنيا والآخرة.. لا يعجلها عن موعدها شيء من ذلك كله. فإن الله لا يعجل لعجلة أحد من خلقه. ولا مبدل لكلماته. سواء تعلقت هذه الكلمات بالنصر المحتوم، أم تعلقت بالأجل المرسوم.

- إنه الجد الصارم، والحسم الجازم، إلى جانب التطمين والتسرية والمواساة والتسلية[1].

صحيح الروايات:

- عن ابن مسعود - رضي الله عنه -، قال: «انشق القمرُ على عهد رسول الله ﷺ فِرقتين: فِرقة فوق الجبل، وفرقةٌ دُونه. فقال رسول الله ﷺ: **اشهدوا**»[2].
- عن أنس - رضي الله عنه -، قال: «سأل أهل مكة أن يُريهم آية فأراهم انشقاق القمر»[3].
- عن قتادة -رحمه الله- في قوله: ﴿**وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ**﴾- قال: «رأى أهل الضلالة شيئًا من آيات الله، قالوا: إنما هذا عمل السحر، يوشك هذا أن يستمر ويذهب»[4].

(١) المرجع السابق.

(٢) رواه البخاري: (٨/ ٤٨٣-٤٨٤)، كتاب التفسير، سورة القمر، (الآية)، رقم: (٤٨٦٤)، ومسلم في كتاب صفات المنافقين، باب انشقاق القمر، رقم: (٢٨٠٠).

(٣) رواه البخاري: (٨/ ٤٨٣- ٤٨٤)، كتاب التفسير، سورة القمر، (الآية)، رقم: (٤٨٦٧)، ومسلم برقم: (٢٨٠٢).

(٤) أخرجه الطبري: (٢٢/ ٥٧٠)، بسند حسن، كما في التفسير الصحيح: (٤/ ٤١٣).

- عن ابن عباس - رضي الله عنهما-: (أن رسول الله ﷺ قال وهو في قبّة يوم بدر: «**اللهم إني أنشدُك عهدك، ووعدك، اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم**».

فأخذ أبو بكر بيده، فقال: حسبك يا رسول الله، ألْححْتَ على ربك -وهو يَثب في الدرع. فخرج، وهو يقول: ﴿**سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ**﴾)[1].

- عن خباب بن الأرت- رضي الله عنه، قال: «شكونا إلى رسول الله ﷺ، وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟

قال: «**كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»[2].

عن مجاهد رحمه الله: قال- «**جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ**»-: «قريش من الأحزاب، قال: القرون الماضية»[3].

وعن تميم الداري -رضي الله عنه-، قال: قال ﷺ: «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر، ولا وبر، إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر**»[4].

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما-، قال: ﴿**إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ**﴾: «المستهزؤون: الوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث الزهري، والأسود بن المطلب أبو زمعة، والحارث بن عيطل، والعاص بن وائل السهمي.

---

(١) رواه البخاري: (٨/ ٤٨٥-٤٨٦)، كتاب التفسير، سورة القمر، (الآية): رقم: (٤٨٧٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم: (٣٦١٢).

(٣) أخرجه الطبري: (٢١/ ١٥٧)، بسند صحيح، كما في التفسير الصحيح: (٤/ ٢١٩).

(٤) رواه أحمد (٤/ ١٠٣) (١٦٩٩٨)، والحاكم (٤/ ٤٧٧). وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (٦/ ١٤): ورجال أحمد رجال الصحيح. ينظر: (السلسلة الصحيحة) للألباني (٣).

فأتاه جبريل، فشكاهم إليه رسول الله ﷺ، فأراه الوليد، فأشار جبريل إلى أكحله، وقال: كفيته.

ثم أراه الأسود بن المطلب، فأومأ إلى عينيه، وقال: كفيته.

ثم أراه الحارث بن عيطل، فأومأ إلى بطنه، وقال: كفيته.

ومر به العاص بن وائل، فأومأ إلى أخمصه، وقال: كفيته.

فأما الوليد: فمر برجل من خزاعة، وهو يريش نبلاً له، فأصاب أكحله فقطعها.

وأما الأسود بن عبد يغوث: فخرج في رأسه قروح، فمات منها.

وأما الأسود بن المطلب: فعمي، وكان سبب ذلك أنه نزل تحت سمرة، فجعل يقول: يا بني ألا تدفعون عني؟ قد قتلت، فجعلوا يقولون: ما نرى شيئًا، وجعل يقول: يا بني ألا تمنعون عني؟ قد هلكت، ها هو ذا الطعن بالشوك في عيني، فجعلوا يقولون: ما نرى شيئًا. فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه.

وأما الحارث بن عيطل: فأخذه الماء الأصفر في بطنه، حتى خرج خرؤه من فيه فمات منها.

وأما العاص بن وائل: فبينما هو كذلك يومًا إذ دخل في رجله شبرقة، حتى امتلأت منها فمات منها- وفي رواية-: فركب إلى الطائف على حمار، فربض به على شبرقة -يعني: شوكة-، فدخلت في أخمص قدمه شوكة، فقتلته»[1].

(١) رواه ابن جرير مرسلا: (١٤/ ٧٠)، والطبراني في المعجم الأوسط: (٤٩٨٦)، والبيهقي في دلائل النبوة: (٢/ ٣١٨)، بسند حسن، كما في صحيح السيرة للألباني، ص٢٢٢.

الفصل الثالث:

هجرة الحبشة والإسراء والمعراج

وفيه ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول: هجرة الحبشة**
- **المبحث الثاني: عام الحزن**
- **المبحث الثالث: الإسراء والمعراج**



المبحث الأول: هجرة الحبشة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الهجرة الأولى إلى الحبشة

- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٨٥)﴾ [المائدة: ٨٣-٨٥].

***

«باءت جميع محاولات المشركين بالفشل، وسقط كل أمل كان يترنح في الأفق، واتضحت الرؤية على أرض مكة، إما الله وإما الأصنام، إما التوحيد وإما الشرك، لا جسور بينهما، ولا اتصال، تبددت جميع الآمال التي كانت تحملها قريش فأغضبها ذلك السقوط، وأغضبتها تلك الهزيمة، فعزمت على العودة من جديد، للتعذيب من جديد، وسيكون هذه المرة أقسى وأغلظ وأشد، ستصل أنيابه إلى الجميع دون تفريق، لقد قررت قريش أن تملأ مكة بالدماء»[1].

فلم يجد المسلمون بدًا من الهجرة إلى الله، والفرار بدينهم، فلم يكن أمامهم إلا الحبشة.

قال ابن إسحاق: «لما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية بمكانه من الله، ثم من عمه أبي طالب، وإنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: «**لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه**».

(١) السيرة النبوية للصوياني: (١/ ١٢٤)، بتصرف.

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة؛ مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام»[1].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: «بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي، ونحن نحو من ثمانين رجلاً»[2].

وهذه آيات مدنية لكنها تحكي قصة تلك الهجرة إلى الحبشة لمن استضعفوا في مكة[3]، وقد ذكرت الآيات أعظم ما في هذه الهجرة، وهي تأييدُ الله تعالى للمسلمين، وانتصارُهم بإسلام ملك الحبشة، وإيواؤُهم له آمنين مطمئنين.

المعنى الإجمالي للآيات:

- ﴿**إذا سَمِعُوا مَا أُنزلَ إِلَى الرَّسُولِ**﴾ محمد ﷺ، أثر ذلك في قلوبهم، وخشعوا له، وفاضت أعينهم بسبب ما سمعوا من الحق الذي تيقنوه؛ فلذلك آمنوا وأقروا به فقالوا: ﴿**رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ**﴾ وهم أمة محمد ﷺ، يشهدون لله بالتوحيد، ولرسله بالرسالة، وصحة ما جاءوا به، ويشهدون على الأمم السابقة بالتصديق والتكذيب.

وهم عدول، شهادتهم مقبولة، كما قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾[البقرة: ١٤٣].

فكأنهم ليموا على إيمانهم ومسارعتهم فيه، فقالوا: ﴿**وَمَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ**﴾ أي: وما الذي يمنعنا من الإيمان بالله، والحال أنه قد جاءنا الحق من ربنا، الذي لا يقبل الشك والريب، ونحن إذا آمنا واتبعنا الحق طمعنا أن يدخلنا الله الجنة مع القوم الصالحين، فأي مانع يمنعنا؟ أليس ذلك موجبًا للمسارعة، والانقياد للإيمان، وعدم التخلف عنه.

---

(١) السيرة لابن هشام (١/ ٣٤٤).

(٢) صحيح السيرة للألباني ص ١٦٤.

(٣) والجمهور على أنها كانت في رجب من السنة الخامسة للهجرة، ينظر: الرحيق المختوم ص ١٠٩.

قال الله تعالى: ﴿**فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا**﴾ أي: بما تفوهوا به من الإيمان، ونطقوا به من التصديق بالحق ﴿**جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ**﴾، فكل من أحسن عمله بإيمانه بربه، واتباعه لنبيه ﷺ كانت هذه عاقبته[1].

هدايات الآيات:

وفي هذه الهجرة أحداث عظيمة، ما يهمنا هنا ما يتعلق بهذه الآيات من الهدايات:

- قال الجزائري: «إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا، نجملها فيما يأتي:

مشروعية الهجرة، وهي الانتقال من بلد الكفر حيث تعذر على العبد أن يعبد الله، إلى دار يتمكن فيها من عبادة الله تعالى، بدون تعذيب»[2].

وفي ذلك يقول تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً (٩٨) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (٩٩) وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾[النساء: ٩٧-١٠٠].

- وفيها: فضل النجاشي، الذي خلد الله تعالى ذكره بهذا العدل، وهذه النصرة للحق؛ لذلك أكرمه النبي ﷺ بأن صلى عليه صلاة الغائب عند بلوغه خبر موته، فعن جابر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال -حين مات النجاشي-: «**مات اليوم رجل صالح، فقوموا، فصلوا على أخيكم أصحمة**»[3].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي، ص٢٤٢.

(٢) هذا الحبيب يا محب ص ١٢٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب موت النجاشي، رقم: (٣٨٧٧).
وكأنّ في ذكره لحديث النجاشي في كتاب الأنصار ما يشير إلى فضيلة إيوائه ونصرته، وإن لم يكن معدودًا من الصحابة.

- في قوله: ﴿وَما لَنا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَما جاءَنا مِنَ الْحَقِّ، وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنا رَبُّنا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾: موقف صريح قاطع، تجاه ما أنزل الله إلى رسوله من الحق.. موقف الاستماع والمعرفة، ثم التأثر الغامر، والإيمان الجاهر، ثم الإسلام والانضمام إلى الأمة المسلمة، مع دعاء الله- سبحانه- أن يجعلهم من الشاهدين لهذا الحق، الذين يؤدون شهادتهم سلوكًا وعملاً وجهادًا؛ لإقراره في الأرض، والتمكين له في حياة الناس.

- ثم وضوح الطريق في تقديرهم، وتوحده، بحيث لا يعودون يرون أنه يجوز لهم أن يمضوا إلا في طريق واحد: هو طريق الإيمان بالله، وبالحق الذي أنزله على رسوله، والأمل - بعد ذلك- في القبول عنده، والرضوان.

- وهذه الآيات وإن كانت نزلت في النصارى الذين آمنوا بمحمد ﷺ، كالنجاشي وغيره ممن آمن منهم. إلا أنها كذلك تدل على أنه لا يزال يوجد في النصارى من يختار الدين الحق، ويتبين له بطلان ما كانوا عليه، وهم أقرب من اليهود والمشركين إلى دين الإسلام.

صحيح الروايات:

- حكى لنا ابن عباس رضي الله عنهما تفاصيل ذلك، فقال: «كان رسول الله ﷺ وهو بمكة يخاف على أصحابه من المشركين، فبعث جعفر بن أبي طالب، وابن مسعود، وعثمان بن مظعون، في رهط من أصحابه إلى النجاشي ملك الحبشة.

فلما بلغ ذلك المشركين، بعثوا عمرو بن العاص في رهط منهم، ذكر أنهم سبقوا أصحاب النبي ﷺ إلى النجاشي.

فقالوا: إنه خرج فينا رجل سفه عقول قريش وأحلامها، زعم أنه نبي، وإنه بعث إليك رهطًا ليفسدوا عليك قومك، فأحببنا أن نأتيك ونخبرك خبرهم.

قال: إن جاؤوني نظرت فيما يقولون.

فقدم أصحاب رسول الله ﷺ، فأموا باب النجاشي.

فقالوا: استأذن لأولياء الله، فقالا: ائذن لهم، فمرحبًا بأولياء الله، فلما دخلوا عليه سلموا، فقال له الرهط من المشركين: ألا ترى أيها الملك أنا صدقناك؟ لم يحيوك بتحيتك التي تحيَّ بها. فقال لهم: ما منعكم أن تحيوني بتحيتي؟ فقالوا: إنا حييناك بتحية أهل الجنة، وتحية الملائكة.

قال لهم: ما يقول صاحبكم في عيسى وأمه؟ قال: يقول: هو عبد الله، وكلمة من الله ألقاها إلى مريم، وروح منه. ويقول في مريم: إنها العذراء البتول.

قال: فأخذ عودًا من الأرض فقال: ما زاد عيسى وأمه على ما قال صاحبكم قدر هذا العود. فكره المشركون قوله، وتغيَّرت وجوههم.

قال لهم: هل تعرفون شيئًا مما أنزل عليكم؟ قالوا: نعم.

قال: اقرأوا فقرؤوا، وهنالك منهم قسيسون ورهبان وسائر النصارى، فعرفت كل ما قرؤوه وانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق.

- قال الله تعالى ذكره: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ**﴾ الآية»[1].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: «بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلا، فيهم عبد الله بن مسعود، وجعفر، وعبد الله بن عرفطة، وعثمان ابن مظعون، وأبو موسى. فأتوا النجاشي.

وبعثت قريش عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد بهدية.

فلما دخلا على النجاشي سجدا له، ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله، ثم قالا له: إن نفرًا من بني عمنا نزلوا أرضك، ورغبوا عنا، وعن ملتنا.

---

(١) أخرجه الطبري: (١٠/ ٤٩٩-٥٠٠)، رقم: (١٢٣١٧)، وابن أبي حاتم في التفسير - سورة المائدة آية (٨٣)، رقم: (٤٢٨)، عن أبيه عن عبد الله بن صالح به، ولفظه أخصر من لفظ الطبري. وإسناده جيد، ينظر: التفسير الصحيح: (٢/ ٢٠٣).

قال: فأين هم؟ قالا: في أرضك، فابعث إليهم.

فبعث إليهم، فقال جعفر: أنا خطيبكم اليوم. فاتبعوه.

فسلم، ولم يسجد، فقالوا له: ما لك لا تسجد للملك؟

قال: إنا لا نسجد إلا لله عز وجل.

قال: وما ذاك؟

قال: إن الله بعث إلينا رسولاً، ثم أمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله عز وجل، وأمرنا بالصلاة والزكاة.

قال عمرو: فإنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم.

قال: فما تقولون في عيسى ابن مريم وأمه؟

قال: نقول كما قال الله: هو كلمته وروحه، ألقاها إلى العذراء البتول، التي لم يمسها بشر، ولم يفرضها ولد.

قال: فرفع عودًا من الأرض، ثم قال: يا معشر الحبشة، والقسيسين والرهبان: والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما سوى هذا، مرحبًا بكم، وبمن جئتم من عنده، أشهد أنه رسول الله، وأنه الذي نجد في الإنجيل، وأنه الرسول الذي بشر به عيسى ابن مريم، انزلوا حيث شئتم، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته، حتى أكون أنا الذي أحمل نعليه وأوضئه.

وأمر بهدية الآخرين فردت إليهما.

ثم تعجل عبد الله بن مسعود حتى أدرك بدرًا.

وزعم أن النبي ﷺ استغفر له حين بلغه موته»[1].

(١) رواه الحاكم: (٢/ ٣٠٩-٣١٠)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني كما في صحيح السيرة، ص١٦٦، وقد سبق أوله في بداية المطلب.

المطلب الثاني: الهجرة الثانية إلى الحبشة

- قوله تعالى: ﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلاَ تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ (٦١) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا (٦٢)﴾ [النجم: ٥٩-٦٢].

***

تنامى إلى مسامع المسلمين أن المشركين سجدوا لله تعالى، عند قراءة النبي ﷺ لسورة النجم، فاستبشروا بذلك، وظنوا أنهم أسلموا، فقفلوا راجعين إلى مكة، لكن سرعان ما تبدد اغتباطهم، فتبين لهم خلاف ذلك، و«أن الاضطهاد الواقع على الإسلام أحدّ وأشدّ، فدخل بعضهم مكة مستجيراً بمن يعرف من كبرائها، وتوارى الآخرون، لكن قريشًا أبت إلا أن تنكّل بالقادمين، وأن تغري سائر القبائل بمضاعفة الأذى للمسلمين، فلم ير الرسول ﷺ بدًا من أن يشير على أصحابه بالهجرة مرة أخرى»[1]. فسميت الهجرة الثانية.

قال ابن كثير: «والمقصود أن الناقل لما رأى المشركين قد سجدوا متابعة لرسول الله ﷺ اعتقد أنهم قد أسلموا، واصطلحوا معه، ولم يبق نزاع بينهم.

فطار الخبر بذلك، وانتشر، حتى بلغ مهاجرة الحبشة بها، فظنوا صحة ذلك، فأقبل منهم طائفة، طامعين بذلك، وثبتت جماعة، وكلاهما محسن مصيب فيما فعل»[2].

ولكن كيف وقع السجود من هؤلاء المشركين؟!

إن تفسير هذا الحدث يحتاج إلى قلب يتدبر، وعقل يتفكر، وذلك بتأمل أحداث هذه السورة من أولها حتى لحظة السجود؛ فلذلك قلّبت الآيات، وقلّبت معها القلب في هذه المسيرة:

- «عشت مع قلب محمد ﷺ في رحلته إلى الملأ الأعلى.

---

(١) فقه السيرة للغزالي، ص ١٢١.

(٢) السيرة، ص٢٠٩، مع صحيح السيرة للألباني.

- عشت معه وهو يشهد جبريل -عليه السلام- في صورته الملائكية التي خلقه الله عليها.

ذلك الحادث العجيب المدهش، حين يتدبره الإنسان ويحاول تخيله!

- وعشت معه وهو في رحلته العلوية الطليقة، عند سدرة المنتهى، وجنة المأوى[1].

- عشت معه بقدر ما يسعفني خيالي، وتحلق بي رؤاي، وبقدر ما تطيق مشاعري وأحاسيسي، وتابعته في الإحساس بتهافت أساطير المشركين حول الملائكة وعبادتها وبنوتها وأنوثتها.. إلى آخر هذه الأوهام الخرفة المضحكة، التي تتهاوى عند اللمسة الأولى.

- ووقفت أمام الكائن البشري ينشأ من الأرض، وأمام الأجنة في بطون الأمهات، وعلم الله يتابعها ويحيط بها.

- وارتجف كياني تحت وقع اللمسات المتتابعة في المقطع الأخير من السورة.. الغيب المحجوب لا يراه إلا الله.

والعمل المكتوب لا يند، ولا يغيب عن الحساب والجزاء، والمنتهى إلى الله في نهاية كل طريق يسلكه العبيد.

- والحشود الضاحكة، والحشود الباكية، وحشود الموتى، وحشود الأحياء.

- والنطفة تهتدي في الظلمات إلى طريقها، وتخطو خطواتها، وتبرز أسرارها، فإذا هي ذكر أو أنثى، والنشأة الأخرى، ومصارع الغابرين.

- والمؤتفكة أهوى[2]، فغشاها ما غشى!

-واستمعت إلى صوت النذير الأخير، قبل الكارثة الداهمة: ﴿**هذا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولى. أَزِفَتِ الآزِفَةُ لَيْسَ لَها مِنْ دُونِ اللَّهِ كاشِفَةٌ**﴾.

---

(١) وهنا إشكال: وهو أن هذه الآيات تحكي رحلة الإسراء، وقد وقعت بعد هذه الحادثة على المشهور!
وجوابه: أنه قد تكون السورة نزلت منجمة بحسب الأحداث، أو أنها نزلت قبل الإسراء؛ إشارة إليه، ثم وقع تأويلها من بعد، ولم أظفر على من حرره، وإن كان الأقرب للظاهر أنها نزلت بعد الإسراء، فلعل الحادثة متأخرة خلافًا للجمهور، والله أعلم.

(٢) ﴿**وَالْمُؤْتَفِكَةَ**﴾: مدينة قوم لوط؛ لأنها ائتفكت بهم، أي انقلبت. أهْوى: أسقط. يقال: هوى، إذا سقط. ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة: (٣٧٢).

- ثم جاءت الصيحة الأخيرة، واهتز كياني كله أمام التبكيت الرعيب: ﴿**أَفَمِنْ هذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ. وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ. وَأَنْتُمْ سامِدُونَ**﴾.

- فلما سمعت: ﴿**فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا**﴾.. كانت الرجفة قد سرت من قلبي حقًا إلى أوصالي، واستحالت رجفة عضلية مادية، ذات مظهر مادي، لم أملك مقاومته، فظل جسمي كله يختلج، ولا أتمالك أن أثبته، ولا أن أكفكف دموعًا هاتنة، لا أملك احتباسها مع الجهد والمحاولة!

- وأدركت في هذه اللحظة أن حادث السجود صحيح، وأن تعليله قريب، إنه كامن في ذلك السلطان العجيب لهذا القرآن، ولهذه الإيقاعات المزلزلة في سياق هذه السورة.

- ولم تكن هذه أول مرة أقرأ فيها سورة النجم أو أسمعها، ولكنها في هذه المرة كان لها هذا الوقع، وكانت مني هذه الاستجابة.. وذلك سر القرآن»[1].

المعنى الإجمالي للآيات:

- يقول تعالى منكرًا على المشركين في استماعهم القرآن، وإعراضهم عنه، وتلهيهم: ﴿**أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ**﴾ من أن يكون صحيحًا، ﴿**وَتَضْحَكُونَ**﴾ منه استهزاء وسخرية، ﴿**وَلاَ تَبْكُونَ**﴾ أي: كما يفعل الموقنون به، كما أخبر عنهم: ﴿**وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا**﴾[الإسراء: ١٠٩].

- وقوله: ﴿**وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ**﴾ قال سفيان الثوري، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: الغناء، هي يمانية، اسمد لنا: غن لنا. وكذا قال عكرمة.

- وفي رواية عن ابن عباس: ﴿**سَامِدُونَ**﴾: معرضون. وكذا قال مجاهد، وعكرمة.

وقال الحسن: غافلون. وهو رواية عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

وفي رواية عن ابن عباس: تستكبرون. وبه يقول السدي[2].

---

(١) اتجاهات التفسير: (٣/ ١٠٠٧).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير: (٧/ ٤٦٨).

ثم قال آمرًا عباده بالسجود له، والعبادة المتابعة لرسوله ﷺ، والتوحيد والإخلاص: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ أي: فاخضعوا له، وأخلصوا، ووحدوا، وعظموا من هذه آلاؤه، وآياته.

هدايات الآيات:

- منها: عظمة هذا القرآن، وبلاغة أساليبه، وسبكها في سياقها، ونظمها في عقدها، الذي يضفي عليها ذلكم الإبداع البلاغي، بل الإيقاع السماعي، فيدرك سلطانه كل من له حسّ وذوق، حتى وإن لم يكن عربيًّا، وهو سر تأثر أولئك المشركين، واستكانتهم عند سماع تلاوته، وخشوعهم عند ترتيله، ثم سجودهم عند الأمر به.
- منها: شدة كبر أولئك المشركين، الذي حملتهم جوارحهم على السجود لسماع القرآن، ومع ذلك تنكروا له، وعتوا عنه عتوًا كبيرًا، وكان مقتضى هذا الحدث مراجعتهم لأنفسهم، لكن منعهم كبرهم من ذلك.
- قال الجزائري: «من هداية الآيات:

١- بيان قرب الساعة، وخفاء ساعتها عن كل خلق الله، حتى تأتي بغتة.

٢- ذم الضحك، مع الانغماس في الشهوات.

٣- الترغيب في البكاء من خشية الله.

٤- كراهية الغناء، واللهو واللعب.

٥- مشروعية السجود عند تلاوة هذه الآية، لمن يتلوها، ولمن يستمع لها، وهي من عزائم السجدات في القرآن الكريم، ومن خصائص هذه السجدة أن المشركين سجدوها مع رسول الله ﷺ، حول الكعبة كما في الصحيح»[1].

صحيح الروايات:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن قريشًا وعدوا رسول الله ﷺ أن يعطوه مالاً، فيكون أغنى رجل بمكة، ويزوجوه ما أراد من النساء، ويطؤوا عقبه.

(١) أيسر التفاسير: (٥/ ٢٠٤).

فقالوا له: هذا لك عندنا يا محمد، وكف عن شتم آلهتنا، فلا تذكرها بسوء، فإن لم تفعل فإنا نعرض عليك خصلة واحدة، فهي لك ولنا فيها صلاح.

قال: «**ما هي؟**».

قالوا: تعبد آلهتنا سنة: اللات والعزى، ونعبد إلهك سنة.

قال: «**حتى أنظر ما يأتي من عند ربي**»(١).

وكان لذلك سبب ذكره كثير من المفسرين عند قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ [الحج: ٥٢](٢).

وعن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه-، قال:

«أولُ سورة أنزلت فيها سجدة «والنجم»، فقرأها النبي ﷺ بمكة، فسجد فيها، وسجد من معه، غير شيخ أخذ كفًا من حصا أو تراب فرفعه إلى جبهته، وقال: يكفيني هذا. فرأيته بعد قتل كافرًا، وهو أمية بن خلف»(٣).

وفي الصحيح، وغيره: (أن رسول الله ﷺ جلس يومًا مع المشركين، وأنزل الله عليه: ﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى...**﴾، يقرؤها عليهم حتى ختمها، وسجد، فسجد من هناك من المسلمين والمشركين والجن والإنس)(٤).

وعن المطلب بن أبي وداعة رضي الله عنه، قال: «رأيت رسول الله ﷺ سجد في النجم، وسجد الناس معه»، قال المطلب: «ولم أسجد معهم، وهو يومئذ مشرك»، فقال المطلب: « فلا أدع السجود فيها أبدًا»(٥).

---

(١) رواه ابن جرير: (٢٤/ ٦٦٢)، وهو في صحيح السيرة، ص٢٠٦.

(٢) قال ابن كثير في السيرة ص ٢٠٦: (وذكروا قصة الغرانيق، وقد أحببنا الإضراب عن ذكرها صفحًا؛ لئلا يسمعها من لا يضعها على مواضعها)، قال الألباني معلقًا: (قلت: وقد حققت ذلك رواية ودراية بما لم أسبق إليه -فيما علمت- في رسالتي: «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق» فلتراجع؛ فإنها هامة).

(٣) رواه البخاري: (٨/ ٤٨٠)، كتاب التفسير - سورة النجم- باب (الآية)، رقم: (٤٨٦٣)، ومسلم: (١/ ٤٠٥)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب سجود التلاوة.

(٤) رواه البخاري: (٨/ ٤٨٠)، كتاب التفسير - سورة النجم، باب (الآية)، رقم: (٤٨٦٢).

(٥) رواه أحمد في المسند (١٥٤٦٤)، والنسائي في الكبرى (١٠٣٠).

المبحث الثاني: عام الحزن

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: وفاة أبي طالب

- قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦)﴾[القصص: ٥٦].

- قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣) وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (١١٤)﴾[التوبة: ١١٣-١١٤].

***

في هذه الأيام وقع حدث أليم على قلب رسول الله ﷺ، وهو وفاة عمه الذي رباه وآواه صغيراً، ونصره وحماه كبيراً.

ومما زاد النبي ﷺ حزنًا في ذلك: وفاته على الشرك، ورسول الله ﷺ يسابق أنفاسه لينقذه من النار، إلا أن الأمر كله لله جل في علاه.

فتنزل هذه الآيات تواسي خليل الرحمن[1]، وتبين أن هداية القلوب هي محض حق علام الغيوب.

وتذكره الآيات الأخرى بجده الخليل، وأنه حصل له ذلك مع أبيه، وفي ذلك أعظم عبرة، فلا نسب إلا التوحيد، ولا شفاعة إلا بالإيمان.

(١) معلوم أن الخلة ثابتة للنبي ﷺ كما ثبتت لإبراهيم، فقد قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلاً كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً»، رواه مسلم: (٥٣٢)، وقال: «وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، وَلَكِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ الله»، رواه مسلم: (٢٣٨٣).

وتسمية هذا العام بعام الحزن مشهورة عند المتأخرين؛ لوفاة خديجة، وأبي طالب في عام واحد، وقد ذكروا أنه كان في السنة العاشرة، وروي أنه سماه النبي ﷺ بذلك[1]، لكنه لم يصح في ذلك شيء، وليس له إسناد[2].

المعنى الإجمالي للآيات:

- **الآية الأولى:**

قال ابن الجوزي: «وفي قوله تعالى: ﴿**مَنْ أَحْبَبْتَ**﴾: قولان:

- أحدهما: من أحببتَ هدايته.

- والثاني: من أحببتَه لقرابته.

﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ**﴾: أي: يُرْشِد لدينه من يشاء.

﴿**وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ أي: بمن قدَّر له الهُدى»[3].

آيات سورة التوبة:

- لما مات أبو طالب على الشرك بعد أن عرض عليه الرسول ﷺ كلمة التوحيد، فأبى أن يقولها، وقال: هو على ملة عبد المطلب، قال له النبي ﷺ: لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عن ذلك، واستغفر بعض المؤمنين أيضًا لأقربائهم الذين ماتوا على الشرك، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**﴾ إذ ماتوا على الشرك، ومن مات على الشرك قضى الله تعالى بأنه في النار، وما صح ولا انبغى للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا لهم.

---

(١) كما ذكره الساعاتي في الفتح الرباني: (٢٠/ ٢٢٦)، وعزاه للمواهب اللدنية للقسطلاني.

(٢) وقد بين ذلك الألباني في كتابه: دفاع عن الحديث النبوي والسيرة، ص١٨، وانظر تفصيله في: ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية، ص٦٧، ٦٨.

والحزن لفظ مذموم في القرآن، نهى الله تعالى نبيه ﷺ عن التلبس به في آيات كثيرة.

(٣) زد المسير: (٣/ ٣٨٨).

- ولما قال بعضٌ إن إبراهيم قد استغفر لأبيه وهو مشرك، قال تعالى جوابًا: ﴿**وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ**﴾ وهي قوله: ﴿**قَالَ سَلاَمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا**﴾[مريم: ٤٧]، لكنه عليه السلام لما تبين له أن أباه عدو لله، أي مات على الشرك، ﴿**تَبَرَّأَ مِنْهُ**﴾، ولم يستغفر له.

- وقوله: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ**﴾: تعليل لمواعدة إبراهيم أباه بالاستغفار له؛ لأن إبراهيم كان كثير الدعاء، والتضرع، والتأسف فلذا واعد أباه، بالاستغفار له[1].

هدايات الآيات:

الآية الأولى:

- فيها: تقرير أنه لا هادي إلا الله، والهداية المنفية هي إنارة قلب العبد، وشرح صدره، وتوفيقه للإيمان، وعمل الصالحات، وترك الشرك والمعاصي، وهي التي تسمى بهداية التوفيق والإلهام.

والهداية المثبتة في قوله الله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [الشورى: ٥٢]: هي هداية الدعوة والدلالة والإرشاد، ومنها قوله تعالى: ﴿**وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾[الرعد: ٧]، أي يدعوهم إلى الهدى.

- وفيها: مواساة النبي ﷺ بوفاة عمه على الشرك، وأن هذا الأمر قدره الله تعالى وقضاه، وليس للخلق في أمر الهداية إلا البلاغ، كما قال تعالى: ﴿**وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ**﴾[العنكبوت: ١٨].

آيات سورة التوبة:

- فيها: أن الموت على الشرك والكفر مانع من الاستغفار، ولا تشمله رحمة الله الواسعة، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾[النساء: ٤٨، ١١٦]، وقال: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[العنكبوت: ٢٣].

(١) ينظر: أيسر التفاسير: (٢/ ٤٣٢).

- وفيها: وجوب الوفاء بالوعد، كما في موعدة إبراهيم لأبيه، إلا إذا كان في غير المشروع.

- وفيها: أنه لا نسب إلا التوحيد، وأن الشرك تتعطل معه الأنساب، وتنقطع به الأسباب.

صحيح الروايات:

- عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: «لما حضرت أبا طالب الوفاة: جاءهُ رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال: أي عمّ، قل: لا إله إلا الله، كلمةً أحاجّ لك بها عند الله.

فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟

فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويُعيدانه بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا الله إلا الله.

قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك**».

فأنزل الله ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ**﴾.

وأنزل الله في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ: ﴿**إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾»[1].



(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب سورة القصص، رقم: (٤٧٧٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت، رقم: (٢٤).

المطلب الثاني: في الطائف

- قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢)﴾ [الزخرف: ٣١-٣٢].

***

هذه الآيات فيها إشارة إلى استكبار صناديد قريتين على النبي ﷺ، وهما قريتا: مكة والطائف.

والآيات ليست فيها دلالة مباشرة على رحلة النبي ﷺ للطائف، لكنها تتضمن بيان تكذيبهم له، وتواطئهم عليه، وادعائهم أحقية الرسالة؛ فكانت مناسَبة تستدعي ذكر موقف أهل الطائف من دعوة النبي ﷺ؛ حيث اشتركوا مع أهل مكة في إيذائه، والصد عن دعوته.

قال عبدالله بن جعفر: «لما توفي أبو طالب خرج النبي ﷺ إلى الطائف، ماشيًا على قدميه، يدعوهم إلى الإسلام»[1].

ولكنه لما لم يجد منهم إلا الأذى والصد: قفل راجعًا حزينًا عليهم، محتسبًا عند ربه ما لقيه منهم.

المعنى الإجمالي للآيات:

- ﴿وَقَالُوا﴾ لما قهرهم ما ذكروا به مما يعرفونه، فلم يتهيأ لهم الإصرار على العناد بإنكار أن يكون النبي من البشر، فأنكروا التخصيص بما أتوا به من التخصيص في قولهم: ﴿لَوْلَا﴾ أي هل لا، ولولا.

(١) رواه ابن إسحاق، وقال الهيثمي: (٦/ ٣٥)، ورجاله ثقات، وفيه ابن إسحاق، وهو مدلس ثقة، صحيح السيرة للصوياني: (١/ ١٧٩).

- ولما كان إنزال القرآن نجومًا على حسب التدريج، عبروا بما يوافق ذلك فقالوا: ﴿**نُزِّلَ**﴾ أي من المنزل الذي ذكره محمد ﷺ وعينوا مرادهم، ونفوا اللبس، فقالوا بقسر وغلظة كلمة على من يطلبهم لإصلاح حالهم ﴿**هَذَا الْقُرْآنُ**﴾ أي الذي جاء به محمد ﷺ وادعى أنه جامع لكل خير، ففيه إشارة إلى التحقير ﴿**عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ**﴾ أي مكة والطائف، ولم يقل: إحدى - اغتناء عنها بوحدة رجل.

- ﴿**عَظِيمٍ**﴾ أي بما به عندهم من العظمة والجاه والمال والسن ونحو ذلك، ولما تضمن قولهم إثبات عظمة لأنفسهم بالاعتراض على الملك، قال منكرًا عليهم موبخًا لهم بما معناه أنه ليس الأمر مردودًا إليهم، ولا موقوفًا عليهم، بل هو إلى الله وحده ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾ [الأنعام: ١٢٤]، ﴿**أَهُمْ**﴾ أي أهؤلاء الجهلة العجزة ﴿**يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ**﴾ أي إكرام المحسن إليك، وإنعامه وتشريفه بأنواع اللطف والبر، وإعظامه بالإرسال إليهم، بتأهيلهم للإنقاذ من الضلال.

ولما نفى أن يكون لهم شيء من القسم قال جوابًا لمن كأنه قال: فمن القاسم؟ دالاً على بعدهم عن أن يكون إليهم شيء من القسم، لافتًا القوم عن صفة الإحسان إلى مظهر العظمة؛ إشارة إلى أنها تأبى المشاركة في شيء، وتقتضي التفرد: ﴿**نَحْنُ قَسَمْنَا**﴾ بصفة العظمة ﴿**بَيْنَهُمْ**﴾ أي في الأمر الذي يعمهم، ويوجب تخصيص كل منهم بما لديهم ﴿**مَعِيشَتَهُمْ**﴾ التي يعدونها رحمة ويقصرون عليها النعمة ﴿**فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ التي هي أدنى الأشياء عندنا، ﴿**وَرَفَعْنَا**﴾ بما لنا من نفوذ الأمر ﴿**بَعْضَهُمْ**﴾ وإن كان ضعيف البدن قليل العقل ﴿**فَوْقَ بَعْضٍ**﴾ وإن كان قويًا عزيز العقل ﴿**دَرَجَاتٍ**﴾ في الجاه والمال، ونفوذ الأمر، وعظم القدر؛ لينتظم حال الوجود.

ولما ذكر ذلك، علله بما ثمرته عمارة الأرض فقال: ﴿**لِيَتَّخِذَ**﴾ أي بغاية جهده ﴿**بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا**﴾: أي أن يستعمله فيما ينوبه أو يتعسر أو يتعذر عليه مباشرته ويأخذ للآخر منه من المال ما هو مفتقر إليه، فهذا بماله، وهذا بأعماله.

- ﴿ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ أي المربي لك، والمدبر لأمرك، بإرسالك، وإنارة الوجود برسالتك، التي هي لعظمتها جديرة بأن تضاف إليه، ولا يسمى غيرك رحمة ﴿خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من الحطام الفاني؛ فإنه وإن تأتي فيه خير باستعماله في وجوه البر بشرطه، فهذا بالنسبة إلى النبوة لا شيء[1].

هدايات الآيات:

- قال البيضاوي: (﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ﴾ من إحدى القريتين مكة والطائف. عَظيم بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي، فإن الرسالة منصب عظيم لا يليق إلا بعظيم، ولم يعلموا أنها رتبة روحانية، تستدعي عظم النفس بالتحلي بالفضائل، والكمالات القدسية، لا التزخرف بالزخارف الدنيوية)[2].

- قوله: ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: فيها: إشارة إلى أنها حياة ناقصة، لا يرضاها عاقل، وأما الآخرة فعبر عنها بالحيوان، ودار الخلود، والنعيم المقيم؛ لدوامها.

- قوله: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾: فيها: أنه لا بد في انتظام الحياة من تشارك الموجودين وتعاونهم، والتفاوت بينهم في القوى والهمم؛ ليقتسموا الصنائع، والمعارف والبضائع، ويكون كل ميسر لما خلق له، وجانحًا إلى ما هي له لتعاطيه، فلم يقدر أحد من دنيء أو غني أن يعدو قدره، ويرتقي فوق منزلته؛ لأنه لو تساوت المقادير لتعطلت المعايش، فلم يقدر أحد أن ينفك عما جعلناه إليه من هذا الأمر الدنيء، فكيف يطمعون في الاعتراض في أمر النبوة، أيتصور عاقل أن يتولى قسم الناقص، ونكل العالي إلى غيرنا.

قال ابن الجوزي: «فإذا كانت الأرزاق بقدر الله لا بحول المحتال، وهي دون النبوة، فكيف تكون النبوة؟!»[3].

---

(١) ينظر: نظم الدرر للبقاعي: (١٧/ ٤١٩-٤٢٤).
(٢) تفسير البيضاوي: (٥/ ٩٠).
(٣) زاد المسير: (٤/ ٧٦).

- وفيها: أنه مهما تزخرفت الدنيا، وحصل العبد من نعيمها: فإن رحمة الله تعالى وجنته خير مما يجمعون، قال ﷺ: «**يؤتي بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب. ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم، هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط**»(١).

صحيح الروايات:

- وقد ورد ذكر هذين الرجلين عن مجاهد -رحمه الله-، فقال: «عتبة بن ربيعة: من أهل مكة، وابن عبد ياليل الثقفي: من الطائف»(٢).

وعن قتادة، قال: «الرجل: الوليد بن المغيرة، قال: لو كان ما يقول محمد حقًا أنزل عليَّ هذا، أو على ابن مسعود الثقفي.

والقريتان: الطائف ومكة، وابن مسعود الثقفي من الطائف اسمه عروة بن مسعود»(٣).

- وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنّبيّ ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشدّ من يوم أحد؟ قال: «**لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشدّ ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت. فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلاّ وأنا بقرن الثّعالب**(٤)**، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلّتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إنّ الله قد سمع قول قومك لك، وما ردّوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال؛ لتأمره بما شئت فيهم..**

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: صفة القيامة، باب: صبغ أنعم أهل الدنيا في النار وصبغ أشدهم بؤسًا في الجنة، رقم: (٢٨٠٧).

(٢) أخرجه الطبري: (٢١/ ٥٩٣)، بسند صحيح، كما في التفسير الصحيح: (٤/ ٣٠٢).

(٣) أخرجه الطبري: (٢١/ ٥٩٣)، بسند حسن، كما في التفسير الصحيح: (٤/ ٣٠٢).

(٤) قرن الثعالب: مكان قريب من مكة.

فناداني ملك الجبال، فسلّم عليّ، ثمّ قال: يا محمّد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين(١).

فقال النّبيّ ﷺ: «**بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئًا**»(٢).



(١) الأخشبين: جبلان بمكة. قال ابن الأثير: الأخشبان الجبلان المطيفان بمكة، وهما أبو قبيس والأحمر، وهو جبل مشرف وجهه على قعيقعان (موضع بمكة أيضًا) والأخشب كل جبل خشن غليظ الحجارة. النهاية (٢/ ٣٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٢٣١)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٧٩٥).

المبحث الثالث: الإسراء والمعراج

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإسراء

- قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)﴾ [الإسراء: ١].

***

- الإسراء برسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس، ثم يأتي المعراج، وهو عروجه من بيت المقدس إلى السماوات، وما رأى هنالك من الآيات.

ذكر ابن عساكر أحاديث الإسراء في أوائل البعثة، وأما ابن إسحاق فذكرها في هذا الموطن بعد البعثة بنحو من عشر سنين وهو الأظهر[1]، ولم يصح في تحديد تاريخه أثر صحيح[2].

وهذه الآية تتحدث عن الإسراء، والآيات بعدها في سورة النجم تتحدث عن المعراج.

ووقع هنا قبل الإسراء حادثة شق صدره ﷺ للمرة الثانية، كما سيأتي في صحيح الروايات، وكانت تهيئة لتحمل ما سيرى من آيات ربه الكبرى، بعد أن كانت الحادثة الأولى في طفولته؛ لشرح صدره، وتطهير قلبه، وعدم مقارفته لأرجاس الجاهلية.

وصلى بالأنبياء إعلانًا لوحدة دينهم، كما قال ﷺ: «**الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد**»[3].

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير، مع صحيح السيرة للألباني، ص ٢٣٤.

(٢) ينظر: صحيح السيرة النبوية للصوياني: (١/ ١٨٣).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾، رقم: (٣٤٤٣)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، رقم: (٢٣٦٥). أولاد العلات: هم الإخوة لأب. فأصلُ دين الرسل واحد، وشرائعهم مختلفة. النهاية في غريب الحديث: (٣/ ٢٩١).

المعنى الإجمالي للآيات:

- قوله: ﴿**سُبْحانَ**﴾: يمجد تعالى نفسه، وينزه ذاته العلية عما لا يليق بجلاله، ويعظم شأنه لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه، فلا إله غيره.

- ﴿**أَسْرَىَ**﴾: بمعنى ﴿**سرى**﴾ يقال: أسراه وأسرى به وسرى به، وقال: ﴿**أسرى**﴾ لإفادة السرعة في السير، والإسراء سير الليل كله، ثم قال: ﴿**لَيْلاً**﴾: إفادة تقليل الوقت الذي كان الإسراء والرجوع فيه. أي أنه كان في بعض الليل أخذًا من تنكيره.

- ﴿**بِعَبْدِه**﴾: العبد، لغة: الإنسان مطلقًا، والمملوك.

والعبودية: الذل والخضوع والرق والطاعة، كالعبادة والعبودة.

- ﴿**الأَقْصَى**﴾: بمعنى الأبعد. سمي بذلك لبعده عن مكة.

- وقوله تعالى: ﴿**الَّذي بارَكْنا حَوْلَهُ**﴾: أي جوانبه ببركات الدين والدنيا؛ لأن تلك الأرض المقدسة مقر الأنبياء ومهبط وحيهم، ومنمى الزروع والثمار.

- وقوله تعالى: ﴿**لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا**﴾: إشارة إلى حكمة الإسراء. أي لكي نري محمدًا ﷺ من آياتنا العظيمة، التي من جملتها ذهابه في برهة من الليل، مسيرة شهر، ومشاهدة بيت المقدس، وتمثل الأنبياء له، ووقوفه على مقاماتهم العلية.

- وقوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾: أي السميع لأقوال عباده، والبصير لأفعالهم، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء[1].

هدايات الآيات:

- قوله: ﴿**سُبْحَانَ**﴾: فيها إشارة إلى عظمة ما سيذكر من حدث، فقدم بالتقديس والتعظيم والتنزيه عن تكذيب المكذبين، وعدم تعظيمهم ربَهم القادر على كل شيء.

- قوله: ﴿**بِعَبْدِه**﴾: في ذكره بعنوان العبودية مع الإضافة إلى ضمير الجلالة، وفيه من جلائل التشريف والتنويه والتنبيه على اختصاصه به عزّ وجلّ، وانقياده لأوامره.

(١) محاسن التأويل للقاسمي: (٦/ ٤٢٧-٤٣٠).

قال ابن القيّم: «أكمل الخلق: أكملهم عبودية، ومحبة، وأصحهم حالاً، وأقومهم معرفة، وأتمهم إرادة»[1]، وأعظمهم شهوداً لفقره، وضرورته، وحاجته إلى ربه، وعدم استغنائه عنه طرفة عين.

ولذلك ذكر وصفه بالعبودية في أشرف المقامات:

- في مقام اختصاصه بالوحي، فقال سبحانه: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا**﴾[الكهف: ١]، وقال: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**﴾[الفرقان: ١].

- وفي مقام التحدي به، فقال: ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[البقرة: ٢٣].

- وفي مقام الدعوة إليه، فقال: ﴿**وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا**﴾[الجن: ١٩].

- قوله: ﴿**لَيْلاً**﴾: في تخصيص الليل إعلام بفضل هذا الوقت؛ لأنه وقت السر والنجوى، والتجلي الأسمى؛ ولذلك كانت أكثر عبادته ﷺ بالليل.

- كما أن تخصيص الليل بهذه الرحلة أعظم في إعجازها؛ حيث لا دليل يرشد إليها، ولا ضوء يُستهدى به في طريقها.

- قوله: ﴿**الْمَسْجِدِ الأَقْصَى**﴾: لماذا كانت الرحلة إلى بيت المقدس، ولم تبدأ من المسجد الحرام إلى سدرة المنتهى مباشرة؟.

لقد ظلّت النبوّات دهوراً طوالاً وهي وقف على بني إسرائيل، وظلّ بيت المقدس مهبط الوحي، ومشرق أنواره على الأرض، وقصبة الوطن المحبب، فلما أهدر اليهود كرامة الوحي، وأسقطوا أحكام السماء، حلّت بهم لعنة الله، وتقرّر تحويل النبوة عنهم إلى الأبد!

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ص٢٢٠.

ومن ثمّ كان مجيء الرسالة إلى محمد ﷺ؛ انتقالا بالقيادة الروحية في العالم، من أمة إلى أمة، ومن بلد إلى بلد، ومن ذرية إسرائيل إلى ذرية إسماعيل.

وقد كان غضب اليهود مشتعلاً لهذا التحوّل، مما دعاهم إلى المسارعة بإنكاره:

- ﴿**بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاؤُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ**﴾[البقرة: ٩٠].

لكنّ إرادة الله مضت، وحمّلت الأمة الجديدة رسالتها، وورث النبيّ العربيّ تعاليم إبراهيم وإسماعيل ويعقوب، وقام يكافح لنشرها، وجمع الناس عليها، فكان من وصل الحاضر بالماضي، وإدماج الكلّ في حقيقة واحدة أن يعتبر المسجد الأقصى الثالث بعد الحرمين، في الاسلام، وأن ينتقل إليه الرسول ﷺ في إسرائه، فيكون هذا الانتقال احترامًا للإيمان الذي درج - قديمًا- في رحابه.

ثم يجمع الله المرسلين السابقين من حملة الهداية في هذه الأرض وما حولها؛ ليستقبلوا صاحب الرسالة الخاتمة؛ لبيان أنّ النبوات يصدّق بعضها بعضًا، ويمهّد السابق منها للاّحق[1].

- وقيل في خصائص «**الأقصى**»: إنه متعبد الأنبياء السابقين، ومسرى خاتم النبيين، ومعراجه إلى السماوات العلى، والمشهد الأسمى.
- بيت نوّه الله به في الآيات المفصلة، وتليت فيه الكتب الأربعة المنزلة.
- لأجله أمسك الله الشمس على يوشع أن تغرب؛ ليتيسر فتحه على من وعدوا به ويقرب. وهو قبلة الصلاة في الملتين، وفي صدر الإسلام بعد الهجرتين.
- وهو أولى القبلتين، وثاني المسجدين، والثالث مكانة بعد الحرمين[2].
- وقوله تعالى: ﴿**لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا**﴾: أراد تعالى أن يريه ﷺ من الآيات الحسية بعدما

(١) فقه السيرة للغزالي، ص١٤٠-١٤١، بتصرف.

(٢) محاسن التأويل للقاسمي: (٦/ ٤٢٩)، وعبارة: ثالث الحرمين-المشتهرة-، لا تصح؛ فإنه لم يثبت كونه حرمًا، أو أن له أحكامًا تخصه كالحرمين، ينظر: فتاوى ابن تيمية: (٢٧/ ١٤)، معجم المناهي اللفظية، لبكر أبوزيد، ص٢٠٧.

أراه الآيات العقلية؛ لأن الآيات الحسية أكبر في قطع الشبهة، ودفع الوساوس من العقلية؛ إذ لا يشك أحد فيما كان سبيل معرفته الحس والعيان.

وقد تعترض الشبهة والوساوس في العقليات، فشاء عزّ وجلّ أن يري رسوله آيات حسية، فتدفع المنصفين إلى قبولها، والإيمان بها، والإقرار له بالرسالة؛ إذ ليس ذلك عمل سحر، ولا افتراء، ولا أساطير الأولين[1].

صحيح الروايات:

- عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما قال:

قال النبي ﷺ: «**بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان** -وذكر يعني رجلا بين الرجلين- **فأتيت بطست من ذهب ملآن حكمة وإيمانًا، فشق من النحر إلى مراق البطن، ثم غسل البطن بماء زمزم، ثم ملئ حكمة وإيمانًا، وأتيت بدابة أبيض دون البغل، وفوق الحمار: البراق**»[2].

«ومر على موسى، وهو يصلي في قبره»[3].

«فأتى جبريل الصخرة ببيت المقدس، فوضع إصبعه فيها، فخرقها، فشد بها البراق»[4].

«فلما دخل المسجد الأقصى قام يصلي فالتفت ثم التفت، فإذا النبيون أجمعون يصلون معه»[5].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**لما كذبتني قريش**

(١) التأويلات للماتريدي: (٧/ ٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم: (٣٢٠٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ، رقم: (١٦٤).

(٣) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ، رقم: (٢٣٧٥).

(٤) هذه رواية في الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة بني إسرائيل، رقم: (٣١٣٢).

(٥) هذه رواية أحمد: (١/ ٢٥٧)، وغيره. ينظر: الإسراء والمعراج وذكر أحاديثهما وتخريجها وبيان صحيحها، للألباني، ص٧٤.

قمت في الحجر، فجلى الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته، وأنا أنظر إليه»[1].

وورد في فضل بيت المقدس عن ابن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل ربه ثلاثًا. فأعطاه اثنتين، وأنا أرجو أن يكون أعطاه الثالثة:**

سأله حكمًا يصادف حكمه: فأعطاه إياه.

وسأله ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده: فأعطاه إياه.

وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد- يعني ببيت المقدس- **خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه.**

قال النبي ﷺ: **ونحن نرجو أن يكون الله أعطاه ذلك»**[2].



(١) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة بني إسرائيل، رقم: (٣١٣٣)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: (٢/ ١٧٦)، رقم: (٦٦٤٤)، وأخرجه النسائي في: المساجد، ٦- باب فضل المسجد الأقصى والصلاة فيه، وهو في صحيح الترغيب والترهيب، للألباني، برقم: (١١٧٨).

المطلب الثاني: المعراج

- قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦) وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (١٨)﴾[النجم: ١-١٨]

***

- بعد أن أُسري بالنبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى: عُرج به إلى السموات العلى، في رحلة إيمانية، صور الله تعالى بعض جلائلها في هذه الآيات.

ففي هذا المطلع من سورة النجم نعيش لحظات في ذلك الأفق السماوي الوضيء، الذي عاش فيه قلب محمد -ﷺ- مع بدنه الشريف، ونرف بأجنحة النور إلى ملكوت ذلك الملأ الأعلى الطليق، ونستمع إلى عيون هذه العبارات، في عمق المعاني، وإيحائها الذي يتغلغل في سويداء القلوب، ويعمر جنبات الأرواح.

«ذلك والله عز وجلّ يتيح لرسله فرص الاطّلاع على المظاهر الكبرى لقدرته؛ حتى يملأ قلوبهم ثقة فيه، واستناداً إليه؛ إذ يواجهون قوى الكفار المتألّبة، ويهاجمون سلطانهم القائم.

فقبل أن يرسل الله موسى شاء أن يريه عجائب قدرته، فأمره أن يلقي عصاه، قال: ﴿أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى (٢١) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (٢٢) لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾[طه: ٢٠-٢٣].

فلمّا ملأ قلبه إعجابًا بمشاهد هذه الآيات الكبرى، قال له بعد: ﴿**اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى**﴾[النازعات: ١٧].

وقد علمت أنّ ثمرة الإسراء والمعراج إطلاع الله نبيّه على هذه الآيات الكبرى، وربّما تقول: إنّ ذلك حدث بعد الإرسال إليه بقريب من اثني عشر عامًا[١]، على عكس ما وقع لموسى!

وهذا حق، وسرّه ما أسلفنا بيانه من أنّ الخوارق في سير المرسلين الأولين: قصد بها قهر الأمم على الاقتناع بصدق النبوة؛ فهي تدعيم لجانبهم، أمام اتّهام الخصوم لهم بالادّعاء، وسيرة محمد ﷺ فوق هذا المستوى.

فقد تكفّل القرآن الكريم بإقناع أولي النهى من أول يوم، وجاءت الخوارق في طريق الرسول ﷺ ضربًا من التكريم لشخصه، والإيناس له، غير معكرة، ولا معطلة للمنهج العقلي العادي الذي اشترعه القرآن»[٢].

المعنى الإجمالي للآيات:

- ﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى**﴾: يقسم تعالى بالنجم عند هويه، أي: سقوطه في الأفق في آخر الليل، عند إدبار الليل وإقبال النهار، والمقسم عليه، تنزيه الرسول ﷺ عن الضلال في علمه، والغي في قصده.

- وقال: ﴿**صَاحِبُكُمْ**﴾: لينبههم على ما يعرفونه منه، من الصدق والهداية، وأنه لا يخفى عليهم أمره، ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى**﴾: أي: ليس نطقه صادرًا عن هوى نفسه.

- ﴿**إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى**﴾ أي: لا يتبع إلا ما أوحى الله إليه من الهدى والتقوى، في نفسه وفي غيره.

---

(١) بحسب رأي بعض المؤرخين، وقد سبق بيان المشهور، وأنه بعد نحو عشر سنين، ينظر: صحيح السيرة النبوية للصوياني: (١/ ١٨٣).

(٢) فقه السيرة للغزالي، ص١٤٤.

ثم ذكر المعلم للرسول ﷺ، وهو جبريل - عليه السلام-، فقال: ﴿**عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**﴾ أي: شديد القوة الظاهرة والباطنة، قوي على تنفيذ ما أمره الله بتنفيذه، قوي على إيصال الوحي إلى الرسول ﷺ.

- ﴿**ذُو مِرَّةٍ**﴾ أي: قوة، وخلق حسن، وجمال ظاهر وباطن.

- ﴿**فَاسْتَوَى**﴾ جبريل عليه السلام، ﴿**وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى**﴾ أي: أفق السماء الذي هو أعلى من الأرض، فهو من الأرواح العلوية، التي لا تنالها الشياطين، ولا يتمكنون من الوصول إليها.

- ﴿**ثُمَّ دَنَا**﴾ جبريل من النبي ﷺ، لإيصال الوحي إليه.

- ﴿**فَتَدَلَّى**﴾ عليه من الأفق الأعلى، ﴿**فَكَانَ**﴾ في قربه منه ﴿**قَابَ قَوْسَيْنِ**﴾ أي: قدر قوسين، ﴿**أَوْ أَدْنَى**﴾ أي: أقرب من القوسين، وهذا يدل على كمال المباشرة للرسول ﷺ بالرسالة، وأنه لا واسطة بينه وبين جبريل عليه السلام.

- ﴿**فَأَوْحَى**﴾ الله بواسطة جبريل عليه السلام ﴿**إِلَى عَبْدِهِ**﴾ محمد ﷺ.

- ﴿**مَا أَوْحَى**﴾ أي: الذي أوحاه إليه من الشرع العظيم، والنبأ المستقيم.

- ﴿**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى**﴾ أي: اتفق فؤاد الرسول ﷺ ورؤيته على الوحي الذي أوحاه الله إليه، وتواطأ عليه سمعه وقلبه وبصره، ويحتمل أن المراد بذلك ما رأى ﷺ ليلة أُسري به، من آيات الله العظيمة، وأنه تيقنه حقًا بقلبه ورؤيته.

- قال: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى**﴾ أي: رأى محمد جبريل مرة أخرى، نازلاً إليه.

- ﴿**عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى**﴾ وهي شجرة عظيمة جدًا، فوق السماء السابعة، سميت سدرة المنتهى؛ لأنه ينتهي إليها ما يعرج من الأرض، وينزل إليها ما ينزل من الله، من الوحي وغيره، أو لانتهاء علم الخلق إليها؛ أي: لكونها فوق السماوات والأرض، فهي المنتهى في علوها، أو لغير ذلك، والله أعلم.

- عند تلك الشجرة ﴿جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ أي: الجنة الجامعة لكل نعيم، بحيث كانت محلاً تنتهي إليه الأماني، وترغب فيه الإرادات، وتأوي إليها الرغبات، وهذا دليل على أن الجنة في أعلى الأماكن، وفوق السماء السابعة.

- ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ أي: يغشاها من أمر الله، شيء عظيم لا يعلم وصفه إلا الله عز وجل.

- ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ أي: ما زاغ يمنة ولا يسرة عن مقصوده، ﴿وَمَا طَغَى﴾ أي: وما تجاوز البصر.

- ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ من الجنة والنار، وغير ذلك من الأمور التي رآها ﷺ ليلة أُسري به[1]، كما سيأتي.

هدايات الآيات:

- أقسم تعالى بالنجم على صحة ما جاء به الرسول ﷺ من الوحي الإلهي، وفي ذلك مناسبة عجيبة، فإن الله تعالى جعل النجوم زينة للسماء، وحفظًا لها من الشياطين، وإضاءة لظلمتها، فكذلك الوحي وآثاره زينة للأرض، وحفظ لها، وضياء، فلولا العلم الموروث عن الأنبياء، لكان الناس في ظلمة أشد من الليل البهيم، ولأغوتهم الشياطين، ولتخبطوا فيما فيه إهلاكهم.

- ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾: فيها إشارة إلى علمهم بهم، ومعرفتهم لأصله وأخلاقه، وأنه على ما كان عليه مما عهدتموه، لم يتغير خلقه، كما قال تعالى منكرًا عليهم: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾[المؤمنون: ٦٩].

- ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾: دلت على أن السنة وحي من الله لرسوله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[النساء: ١١٣]: وأنه معصوم فيما يخبر به عن الله تعالى وعن شرعه؛ لأن كلامه لا يصدر عن هوى، وإنما يصدر عن وحي يوحى.

- ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾: قال الرازي: «فيه فوائد:

(١) تفسير السعدي، ص ٨١٨.

- **الأولى**: أن مدح المعلم مدح المتعلم، فلو قال: علمه جبريل، ولم يصفه: ما كان يحصل للنبي ﷺ فضيلة ظاهرة.

- **الثانية**: هي أن فيه رداً عليهم حيث قالوا: أساطير الأولين، سمعها وقت سفره إلى الشام، فقال: لم يعلمه أحد من الناس، بل معلمه شديد القوى، والإنسان خلق ضعيفًا، وما أوتي من العلم إلا قليلاً.

- **الثالثة**: فيه: وثوق بقول جبريل عليه السلام، فقوله تعالى: ﴿**عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**﴾ جمع ما يوجب الوثوق؛ لأن قوة الإدراك شرط الوثوق بقول القائل؛ لأنا إن ظننا بواحد فساد ذهن، ثم نقل إلينا عن بعض الأكابر مسألة مشكلة لا نثق بقوله، ونقول: هو ما فهم ما قال، وكذلك قوة الحفظ حتى لا نقول: أدركها لكن نسيها، وكذلك قوة الأمانة حتى لا نقول: حرفها وغيرها، فقال: ﴿**شَدِيدُ الْقُوَى**﴾؛ ليجمع هذه الشرائط فيصير كقوله تعالى: ﴿**ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ**﴾ إلى أن قال: ﴿**أَمِينٍ**﴾[التكوير: ٢٠-٢١][1].

- ﴿**مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى**﴾: فيها كمال الأدب منه صلوات الله وسلامه عليه، أن قام مقامًا أقامه الله فيه، ولم يقصر عنه، ولا تجاوزه ولا حاد عنه، وهذا أكمل ما يكون من الأدب العظيم، الذي فاق فيه الأولين والآخرين، فإن الإخلال يكون بأحد هذه الأمور:

- إما أن لا يقوم العبد بما أمر به.

- أو يقوم به على وجه التفريط.

- أو على وجه الإفراط.

- أو على وجه الحيدة يمينًا وشمالاً.

وهذه الأمور كلها منتفية عنه ﷺ[2].

---

(١) التفسير الكبير: (٢٨/ ٢٣٧-٢٣٨).

(٢) تفسير السعدي، ص ٨١٨.

- ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ :

- فيها : بيان عظمة الله تعالى ؛ فإن ما رآه من عجائب الآيات ، واتساع السماوات ، وضخامة المخلوقات : ما هي إلا بعض من آيات الله تعالى التي لا يحيط بها خلقه .

-كما أن فيها كرامة النبي ﷺ عند ربه ؛ حيث اختصه بمشاهدة تلك الآيات الكبرى ، وقربه إليه في تلك المنزلة العليا ، التي تخشع فيها الملائكة ، حتى قال ﷺ : « **مررت على جبريل في الملأ الأعلى كالحلس[1] البالي من خشية الله عز وجل**»[2] .

صحيح الروايات:

- عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : «**بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان** -وذكر يعني رجلاً بين الرجلين- **فأتيت بطست من ذهب ملآن حكمة وإيمانًا، فشق من النحر إلى مراق البطن، ثم غسل البطن بماء زمزم، ثم ملئ حكمة وإيمانًا، وأتيت بدابة أبيض، دون البغل، وفوق الحمار: البراق .**

فانطلقت مع جبريل، حتى أتينا السماء الدنيا، قيل: من هذا؟

قال جبريل، قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبًا به، ولنعم المجيء جاء.

فأتيت على آدم فسلمت عليه، فقال: مرحبًا بك من ابن ونبي.

فأتينا السماء الثانية، قيل: من هذا؟ قال جبريل، قيل: من معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به، ولنعم المجيء جاء.

فأتيت على عيسى ويحيى، فقالا: مرحبًا بك من أخ ونبي.

فأتينا السماء الثالثة، قيل: من هذا؟ قيل: جبريل، قيل من معك؟. قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به، ولنعم المجيء جاء.

---

(١) الحلس : هو كساء على ظهر البعير ، ويبسط في البيت . ينظر القاموس المحيط ، ص٥٣٨ .

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة : (٦٢١)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة : (٢٢٨٩) .

فأتيت على يوسف فسلمت، فقال: مرحبًا بك من أخ ونبي.

فأتينا السماء الرابعة، قيل من هذا؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قيل: محمدﷺ، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به، ولنعم المجيء جاء.

فأتيت على إدريس فسلمت عليه، فقال: مرحبًا بك من أخ ونبي.

فأتينا السماء الخامسة، قيل: من هذا؟ قيل: جبريل، قيل: ومن معك؟ قيل: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به، ولنعم المجيء جاء.

فأتينا على هارون، فسلمت عليه، فقال: مرحبًا بك من أخ ونبي.

فأتينا على السماء السادسة، قيل: من هذا؟ قيل: جبريل، قيل: من معك؟ قيل: محمد ﷺ، قيل: وقد أرسل إليه؟ مرحبًا به، نعم المجيء جاء.

فأتيت على موسى فسلمت عليه، فقال: مرحبًا بك من أخ ونبي.

فلما جاوزت بكى، فقيل: ما أبكاك؟ قال: يا رب، هذا الغلام الذي بعث بعدي، يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتي.

فأتينا السماء السابعة، قيل: من هذا؟ قيل: جبريل، قيل: من معك؟ قيل: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ مرحبًا به، ولنعم المجيء جاء.

فأتيت على إبراهيم، فسلمت عليه، فقال: مرحبًا بك من ابن ونبي.

فرفع في البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور، يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم.

ورفعت لي سدرة المنتهى، فاذا نبقها كأنه قلال هجر، وورقها كأنه آذان الفيول، في أصلها أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران، فسألت جبريل، فقال: أما الباطنان: ففي الجنة، وأما الظاهران: النيل والفرات.

ثم فرضت علي خمسون صلاة، فأقبلت حتى جئت موسى، فقال: ما صنعت؟ قلت: فرضت علي خمسون صلاة، قال: أنا أعلم بالناس منك، عالجت بني إسرائيل أشد

المعالجة، وإن أمتك لا تطيق، فارجع إلى ربك فسله، فرجعت فسألته، فجعلها أربعين، ثم مثله ثم ثلاثين، ثم مثله فجعل عشرين، ثم مثله فجعل عشراً، فأتيت موسى، فقال مثله، فجعلها خمساً: فأتيت موسى، فقال: ما صنعت؟ قلت: جعلها خمساً، فقال مثله، قلت: فسلمت، فنودى: إني قد أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي، وأجزي الحسنة عشراً»[1].



(١) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم: (٣٢٠٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله، رقم: (٤٦٢)، وله طرق وزيادات كثيرة، جمعها الألباني في جزء الإسراء والمعراج.

الفصل الرابع:

الهجـــرة النبويـــة

وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول: ما قبل الهجرة**

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: سنة الإخراج**
- **المطلب الثاني: الأمر بالهجرة**

- **المبحث الثاني: أحداث الهجرة**

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: طلائع الهجرة**
- **المطلب الثاني: المهاجرون الأول**



المبحث الأول: ما قبل الهجرة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: سنة الإخراج

- قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠)﴾[الأنفال: ٣٠].

***

- «حُرِم مشركو مكة الخيرَ كله منذ جحدوا الرسالة، وقعدوا بكلّ صراط يوعدون، ويصدّون عن سبيل الله من آمن به، ويبغونها عوجًا.

ولئن نجحت دعايتهم الكاذبة في منع قبائل كثيرة من دخول الإسلام، فإنّ الحق لا بدّ أن يعلو، وأن يثوب إليه المضلّلون والمخدوعون، على شرط أن يظل أهله أوفياء له، حراصًا عليه، صابرين محتسبين.

وقد قيّض الله للإسلام من استنقذه من البيئة التي صادرته، فأنس بعد وحشة، واستوطن بعد غربة، وشق طريقه في الحياة، بعد أن زالت الجلامد الصلدة الملقاة في مجراه.

وبدأ هذا التحول على أيدي الوفود القادمة من «يثرب» إلى مكة في موسم الحج»[1].

وفي هذه الأثناء لم يقف المشركون مكتوفي الأيدي، بل بدأوا يتآمرون حول الحلقة الأخيرة من الصراع في مكة مع هذه الرسالة الظاهرة: إما شد الوثاق، أو القتل، أو الإخراج، كما حكت هذه الآيات.

وهي آية مدنية لكنها نزلت تذكر النبي ﷺ والمؤمنين بما كانوا عليه، وبما صاروا إليه،

(١) فقه السيرة للغزالي، ص١٥١.

كما قال تعالى في آية قبلها: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[الأنفال: ٢٦]، قال البغوي: «واذكر إذ يمكر بك الذين كفروا، وإذ قالوا اللهم؛ لأن هذه السورة مدنية، وهذا المكر والقول إنما كانا بمكة، ولكن الله ذكرهم بالمدينة، كقوله تعالى: ﴿إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾»[(١)].

وقال القرطبي: «هذا إخبار بما اجتمع عليه المشركون من المكر بالنبي ﷺ في دار الندوة، فاجتمع رأيهم على قتله فبيتوه، ورصدوه على باب منزله، طول ليلتهم ليقتلوه»[(٢)].

المعنى الإجمالي للآيات:

- قال السعدي: «واذكر أيها الرسول، ما منَّ الله به عليك.

- ﴿إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾حين تشاور المشركون في دار الندوة فيما يصنعون بالنبي ﷺ، إما أن يثبتوه عندهم بالحبس ويوثقوه.

وإما أن يقتلوه فيستريحوا - بزعمهم - من شره.

وإما أن يخرجوه ويجلوه من ديارهم.

فكلٌّ أبدى من هذه الآراء رأيًا رآه، فاتفق رأيهم على رأي: رآه شريرهم أبو جهل لعنه الله، وهو أن يأخذوا من كل قبيلة من قبائل قريش فتًى، ويعطوه سيفًا صارمًا، ويقتله الجميع قتلة رجل واحد؛ ليتفرق دمه في القبائل.

فيرضى بنو هاشم ثَمَّ بديته، فلا يقدرون على مقاومة سائر قريش، فترصدوا للنبي ﷺ في الليل؛ ليوقعوا به إذا قام من فراشه.

(١) معالم التنزيل: (٢/ ٢٨٧).
(٢) أحكام القرآن: (٧/ ٣٩٧).

فـجـاءه الوحي من السـمـاء، وخـرج عليـهـم، فـذرَّ على رءوسـهـم التـراب وخـرج، وأعمى الله أبصارهم عنه»[1].

هدايات الآيات:

- فيـهـا: «التذكير بنعم الله تعالى على العبـد؛ ليجد العبد في نفسه داعية الشـكر فيشكر.

- بيـان مدى مـا قاومت به قـريش دعـوة الإسلام، حـتى إنها أصـدرت حكمـهـا بقـتل الرسول ﷺ.

- بيان موقف المشركين من الدعوة الإسلامية، وأنهم بذلوا كل جهد في سبيل إنهائها والقضاء عليه»[2].

- في قوله: ﴿**وَاللَّهُ خَيْرُ الْـمَـاكِرِينَ**﴾: تساءل العلماء هنا حول معنى التفضيل، مع أنه لا خير في مكرهم! وقد قيل في جواب ذلك ما يلي:

قد يكون المراد: أقوى الماكرين، فوضع «خير» موضع أقوى وأشد؛ لينبه بذلك على أن كل مكر فهو يبطل في مقابلة مكر الله تعالى.

أو يكون المراد: ﴿**خَيْرُ الْـمَاكِرِينَ**﴾: لو قدر في مكرهم ما يكون خيراً وحسنًا.

أو أن المراد من قوله: ﴿**خَيْرُ الْـمَاكِرِينَ**﴾: ليس هو التفضيل، بل المراد أنه في نفسه خير[3].

وقال الزمخشري: «﴿**وَاللَّهُ خَيْرُ الْـماكِرِينَ**﴾: أي مكره أنفذ من مكر غيره، وأبلغ تأثيراً.

---

(١) تفسير السعدي، ص٣١٩.

(٢) أيسر التفاسير للجزائري: (٢/ ٣٠٢).

(٣) التفسير الكبير للرازي: (١٥/ ٤٧٨).

أو لأنه لا ينزل إلا ما هو حق وعدل، ولا يصيب إلا بما هو مستوجب»[1].

- وفيها: أنه مهما مكر الأعداء المكر الكبار بالليل والنهار، فإن دين الله تعالى ظاهر ومنصور، كما قال تعالى: ﴿**وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ**﴾[إبراهيم: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾[التوبة: ٣٣].

-وفيها: بيان شرف النبي ﷺ، ومكانته عند الله تعالى، وصبره في ذاته، «فكأنه تعالى يقول: انظروا إلى مصداق ما وعدتكم به في أحوال النبي ﷺ؛ فإنه كان وحده، وجميع الناس يخالفونه، فثبت على أداء الرسالة إليهم، وإبلاغ النصيحة لهم، على ما يصله منهم من الأذى، ولا يزيده أذاهم له إلا اجتهاداً في أداء ما ينفعهم إليهم»[2].

صحيح الروايات:

- عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله: ﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ**﴾ قال: «تشاورت قريش ليلة بمكة، فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق، يريدون النبي ﷺ، وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: بل أخرجوه، فأطلع الله عز وجل نبيه على ذلك فبات عليٌّ على فراش النبي ﷺ تلك الليلة، وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار.

وبات المشركون يحرسون عليًا، يحسبونه النبي ﷺ، فلما أصبحوا ثاروا إليه، فلما رأوا عليًا رد الله مكرهم، فقالوا: أين صاحبك هذا؟

قال: لا أدري.

(١) الكشاف: (٢/ ٢١٦). ومع اعتزالية الزمخشري إلا أنه في هذا الموضع جاء بما عليه أهل السنة من إثبات ظاهر النص، وعدم التعرض لتعطيله.

(٢) نظم الدرر للبقاعي: (٨/ ٢٦٨).

فاقتصوا أثره، فلما بلغوا الجبل خلط عليهم، فصعدوا في الجبل، فمروا بالغار، فرأوا على بابه نسج العنكبوت.

فقـالوا: لو دخل ها هنا لم يكن نسج العنكبـوت على بابه، فـمكث فيـه ثلاث ليال»[1].

(١) رواه أحمد في المسند: (٣٢٥١)، وقال الحافظ ابن كثير: إسناده حسن، وهو أجود ما روي في قصة نسج العنكبوت على فم الغار. البداية والنهاية: (٣/ ١٨١). وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح: (٧/ ٢٣٦)، ونازعهم في ذلك أحمد شاكر في التعليق على المسند (٥/ ٨٧)، والألباني في السلسلة الضعيفة: (٣/ ٢٦٣)، وقال بعد بيان علة ضعفه: (ثم إن الآية المتقدمة ﴿**وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا**﴾ فيها ما يؤكد ضعف الحديث؛ لأنها صريحة بأن النصر والتأييد إنما كان بجنود لا ترى، والحديث يثبت أن نصره صلى الله عليه وسلم كان بالعنكبوت، وهو مما يرى، فتأمل!

والأشبه بالآية أن الجنود فيها إنما هم الملائكة، وليس العنكبوت ولا الحمامتين، ولذلك قال البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٧٤) للآية:

«وهم الملائكة نزلوا يصرفون وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته)، وانظر: ما شاع ولم يثبت في السيرة، ص٨٠، وما بعدها.

وقصة مكر قريش بالنبي ﷺ رواها بطولها: الطبري في التفسير: (١٥٩٦٥)، وأبو نعيم في دلائل النبوة: (١/ ٦٣)، والبيهقي في دلائل النبوة: (٢/ ٤٦٨-٤٦٩)، من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس، وكذلك أخرجها ابن سعد في الطبقات: (١/ ٢٢٧)، من حديث عائشة، وابن عباس، وعلي، وسراقة بن جعشم رضي الله عنهم.

المطلب الثاني: الأمر بالهجرة

-قوله تعالى: ﴿ **وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (٨٠)** ﴾[الإسراء: ٨٠].

***

- آيات سورة الإسراء من أواخر ما نزل بمكة؛ لذلك قرن ابن عباس رضي الله عنهما وجماعة من السلف بين هذه الآية وبين الهجرة.

فأُمر النبي ﷺ بالهجرة، وأول ما يبدأ به في هذه المسيرة الاستعانة بالله تعالى، ودعاؤه بمثل هذا الدعاء، والتوكل عليه، ثم ستبدأ بعد ذلك الخطوات العملية في اتخاذ الأسباب، واستنفار الصحابة، وحثهم عليها.

قال الطبري: «وأشبه هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك، قول من قال: معنى ذلك: وأدخلني المدينة مُدْخل صدق، وأخرجني من مكة مُخْرج صدق.

وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية؛ لأن ذلك عقيب قوله: ﴿**وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾[الإسراء: ٧٦].

وقد دللنا فيما مضى، على أنه عَنَى بذلك أهل مكة؛ فإذ كان ذلك عقيب خبر الله عما كان المشركون، أرادوا من استفزازهم رسول الله ﷺ، ليخرجوه عن مكة، كان بيِّنًا، إذ كان الله قد أخرجه منها، أن قوله: ﴿**وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ**﴾ أمر منه له بالرغبة إليه في أن يخرجه من البلدة التي همَّ المشركون بإخراجه منها مُخْرج صدق، وأن يدخله البلدة التي نقله الله إليها مُدْخل صدق»[1].

ويمكن حمل الآية على عموم الدعاء، كما قال ابن عطية: «ظاهر هذه الآية، والأحسن فيها أن يكون دعاء في أن يحسن الله حالته، في كل ما يتناول من الأمور،

(١) تفسير الطبري: (١٧/ ٥٣٥).

ويحاول من الأسفار والأعمال، وينتظر من تصرف المقادير في الموت والحياة، فهي على أتم عموم، معناه: رَبِّ أصلح لي وردي، في كل الأمور وصدري»[1].

المعنى الإجمالي للآيات:

- ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾: أي: ادع الله تعالى، وقل: رب اجعل مداخلي ومخارجي كلها في طاعتك، وعلى مرضاتك، وذلك لتضمنها الإخلاص، وموافقتها الأمر، ومنها الهجرة من مكة إلى المدينة.

- ﴿وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾: أي: حجة ظاهرة، وبرهانًا قاطعًا على جميع ما آتيه، وما أذره[2]..

هدايات الآيات:

- فيها: أن الدعاء هو أول المراتب في تحقيق المطالب، ودفع المصائب، ولذلك كان هو حقيقة العبادة وأصلها، فهو ينتظم حق التوكل، وغاية التذلل، والرجاء والطمع.

- وفيها: أن هذا الدعاء الذي في الآية يتضمن أعلى حالة ينزلها الله العبد، وهي أن تكون أحواله كلها خيرًا وصدقًا، ومقربة له إلى ربه، وأن يكون له -على كل حالة من أحواله- دليل ظاهر، وسلطان مبين، وذلك متضمن للعلم النافع، والعمل الصالح.

- وفيها: رعاية الله تعالى لنبيه ﷺ وتعليمه وتربيته على جلائل الفضائل، فيزداد بذلك قربًا من الله تعالى.

- وفيها: أن المآل إلى الخير لا يعلمه إلا الله تعالى، وما على العبد إلا التوكل عليه في جميع أحواله، ويزيد توكله بسؤال ربه ودعائه.

---

(١) تفسير ابن عطية: (٣/ ٤٧٩).

(٢) ينظر: تفسير السعدي: ، ص٤٦٤.

صحيح الروايات:

- قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: «كان رسول الله ﷺ بمكة فأُمر بالهجرة، وأُنزل عليه: ﴿وَقُلْ رَبِّ..﴾[1].

- وعن الحسن -رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾: «من مكة إلى المدينة، و﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾: قال: الجنة»[2].

- عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ -وهو يومئذ بمكة- للمسلمين: «**قد أريت دار هجرتكم؛ أريت سبخة ذات نخل بين لابتين**»[3].



(١) رواه أحمد: (١٩٤٨)، والترمذي: (٣٣٦٠)، وقال: حسن صحيح، لكن في إسناده قابوس؛ ولذلك ضعفه الألباني، كما في ضعيف السنن: (٦١١)، ينظر في تحرير هذا السبب: المحرر في أسباب نزول القرآن للمزيني: (٢/ ٦٦٦).

(٢) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح، كما التفسير الصحيح: (٣/ ٢٨٠).

(٣) رواه البخاري، كتاب الكفالة، باب جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ وعقده، رقم: (٢١٧٥)، ومسلم، كتاب الفرائض، باب من ترك مالا فلورثته، رقم: (١٦١٩).

المبحث الثاني: أحداث الهجرة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: طلائع الهجرة

- قوله تعالى: ﴿إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(٤٠)﴾[التوبة: ٤٠]

***

- بدأت الهجرة المباركة: لتكون بدايةً لنهاية الظلم ودولته، وانقضاء الطغيان وصولته.

بدأت لتذكرنا بتلك السُّنة الماضية لأعداء الرسالات حتى مع أعظم خلق الله تعالى، سنة الإخراج من الأوطان، والتشريد عن الأهل والجيران: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾[إبراهيم: ١٣]، ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[الأعراف: ٨٢]، فهكذا كانت عادتهم، وكان هذا فعلهم، وكانت تلكم خصالهم.

بدأت الهجرة لتجدد في قلوبنا عظمة الرسول الكريم، الذي تحمل العبء العظيم، الذي تنوء عنه العصبة أولي القوة، تحمل ذلكم في ذات الله سبحانه؛ أداء لأمانة الحق، وحرصًا منه على هداية الخلق، ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة: ١٢٨].

بدأت الهجرة لتذكرنا بتلك الأمجاد والبطولات، والمواقف والتضحيات، من صفوة خلق الله: رسول الله ﷺ، وأصحابه الكرام، وأهله العظام.

تلكم التضحيات التي لا ينبغي أن تمر بنا مر الخواطر، أو تكون مجرد عبارات تسطر في القماطر، بل تستثمر في واقعنا؛ لننظر كيف قام رسول الله ﷺ بحقها، فتكون رسالة صبر، وزاد سلوان إلى أولئك الذين سامهم سوء العذاب، وقاسوا الذل والهوان، وعانوا الإذلال والحرمان، والتشريد عن الأوطان.

المعنى الإجمالي للآيات:

- قوله تعالى: ﴿**إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ**﴾ هذا إعلام من الله عز وجل أنه المتكفل بنصر رسوله، وإعزاز دينه، أعانوه أو لم يعينوه، وأنه قد نصره عند قلة الأولياء، وكثرة الأعداء، فكيف به اليوم وهو في كثرة من العَدد والعُدد؟

- ﴿**إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ من مكة حين مكروا به، وأرادوا تبييته، وهموا بقتله.

- ﴿**ثَانِيَ اثْنَيْنِ**﴾ أي: هو أحد الاثنين، والاثنان: أحدهما رسول الله ﷺ، والآخر أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

- ﴿**إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ**﴾ وهو نقب في جبل ثور بمكة.

- ﴿**إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾ قال الشعبي: عاتب الله عز وجل أهل الأرض جميعًا في هذه الآية غير أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وقوله عز وجل: ﴿**لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾ لم يكن حزن أبي بكر جبنًا منه، وإنما كان إشفاقًا على رسول الله ﷺ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه حدثهم، قال: «نظرت إلى أقدام المشركين فوق رؤوسنا، ونحن في الغار فقلت: يا رسول الله: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه أبصرنا، فقال: «**يا أبا بكر: ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»[1].

قوله عز وجل: ﴿**فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ**﴾ قيل: على النبي ﷺ.

(١) أخرجه البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب المهاجرين: (٧/ ٨-٩)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر رضي الله عنه، برقم (٢٣٨١).

وقال ابن عباس: على أبي بكر رضي الله عنه؛ فإن النبي ﷺ كانت عليه السكينة من قبل.

- ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ وهم الملائكة، نزلوا يصرفون وجوه الكفار، وأبصارهم عن رؤيته.

- ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾ وكلمتهم الشرك، وهي السفلى إلى يوم القيامة، ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ إلى يوم القيامة، والله عزيز لا يغلبه شيء، حكيم في تقديراته وتشريعاته[1].

هدايات الآيات:

- فيها: ضرورة الاعتماد على الله تعالى، مع استنفاد الوسع والطاقة، في بذل الأسباب، فرسول الله ﷺ أقرب الخلق إلى ربه، لم يركن إلى هذه المنزلة، بل بذل ما استطاع من الأسباب، فاتخذ هاديًا خرّيتًا أي دليلاً خبيرًا، واتخذ زادًا ورفيقًا، وأعمى الآثار، وأخفى الخبر عن الديار، ثم خرج معلقًا قلبه بالله تعالى، من قبل ومن بعد.

- فيها: أن الله تعالى أراد أن يقطع جميع الأطماع التي تصرف البشر عنه، فأبطل تلك الأسباب مع كثرتها، ولم يبق لهما إلا التعلق الصادق بربهم؛ حيث «اقتفى المشركون أثر رسول الله ﷺ، وكانت أدقّ لحظة مرّت بها الإنسانيّة، في رحلتها الطويلة، وكانت لحظة حاسمة، فإمّا امتداد شقاء لا نهاية له، وإمّا افتتاح سعادة لا آخر لها، وقد حبست الإنسانية أنفاسها، ووقفت خاشعة حين وصل الباحثون إلى فم الغار، ولم يبق بينهم وبين العثور على منشودهم إلا أن ينظر أحدهم إلى تحت قدميه»[2].

مع كل تلك الأسباب التي اتخذها رسول الله ﷺ؛ ليعلم الجميع أن القلوب لا بد أن تتعلق أصالة بعلام الغيوب.

---

(١) ينظر: تفسير البغوي: (٤/ ٤٩-٥٣).

(٢) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ص٢٤٢.

- فيها: أن العاقبة للمتقين؛ فقد خرج رسول الله ﷺ شريداً طريداً، فما كانت إلا أعوام قلائل لا تعد شيئًا في حساب الزمن، فيرجع رسول الله ﷺ إلى تلك البلدة التي استضعفته فاتحًا عزيزًا، فيرتقي منبر العز الذي لم يزل عليه، فتخضع له أنوف الجبابرة، وتذل له أعناق القياصرة، بل تكسر له معاقل الأكاسرة.

فيأتي رسول الله ﷺ فيدك بيديه الشريفتين معاقل الشرك والوثنية والأصنام، ويطهر البيت الحرام من الحرام، فيتلو ﷺ قوله تعالى: ﴿**وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾[الإسراء: ٨١].

- فيها: إيقاظ هذه الأمة ليكون لها مع هذا المقام أعظم وقفة، حتى تنظر في واقعها التي تشابكت فيه حلقات المحن، وتقاذفته أمواج الفتن، فتعلم أن الله جل وعلا جاعل كلمته العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ**﴾[البقرة: ٢١٤].

- وفيها: أن كلمة الله تعالى هي العليا في كل حال، في الضعف والقوة، فتأمل في كلمات التوحيد التي كانت تخرج ضعيفة الصوت، قوية القلب في مكة في نموذج واحد وهو ذلكم الرجل الذي علا شأنه عند الله، وإن انخفض قدره عند أعداء الله، وهو بلال -رضي الله عنه وأرضاه- كانت تخرج كلمات التوحيد من بين الصخور، تحت وطأة العذاب، وبعد ذلك صدع بها في مكة؛ حيث أدخله رسول الله ﷺ معه الكعبة، ليرفع أصوات التوحيد، ويعلي منارة الآذان، الذي ينتظم عظائم الكمالات لله جل في علاه، في تلك الربوع التي مارست فيهم أبشع صور الإرهاب، وصنوف العذاب.

- فيها: أن كلمة الله هي العليا، والله تعالى لا يحتاج إلى نصرة أحد، وإنما طَلَبُ تلك النصرة نوع من الابتلاء للمؤمنين، وتمييزًا بين الصابرين والمجاهدين، كما قال تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ**

شُهَدَاءَ﴾[آل عمران: ١٤٠]، وقال سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾[العنكبوت: ٣].

- فيها: أن للنصر صوراً متعددة، فقد سمى الله تعالى خروجه ﷺ من بلده، واختفاءه في الغار نصراً؛ وذلك لأن فيها حفاظًا على الرسالة، ونشراً لها في ربوع الأرض، كما أن مآلها إلى النصر والتمكين، وبناء دولة الإسلام، ومجتمع أهل الإيمان.

- وفيها: ضرورة الإيمان بالقدر، وأن ما قدره الله تعالى كان، مهما كانت الأسباب، فهي تتخذ دون ركون إليها؛ لذلك قال ﷺ: «**لا يغني حذر من قدر**»(١).

- فيها: فضيلة الصديق الأكبر، والصحابي البر أبي بكر، صاحب الفضل والسيادة، وصفي الخير والريادة -رضي الله عنه وأرضاه-، ذلكم الرجل العظيم الذي كانت الهجرة بالنسبة له شرفًا مرومًا، ومقامًا عظيمًا، تقول عائشة -رضي الله عنها-: لما أذن لرسول الله ﷺ بالهجرة أخبر أبا بكر بذلك في ساعة لم يكن يدخل فيها عليه، فقال أبو بكر -رضي الله عنه- لما سمع هذا الإذن من الله جل في علاه، قال تلك المقالة العظيمة التي كانت بعد ذلك دستوراً عظيمًا لكل المسابقين بالخيرات، والمبتغين رضى رب البريات، -قال: يا رسول الله: «الصحابة الصحابة»(٢)، أي أسألك مصاحبتك في هذه الهجرة، فوافق رسول الله ﷺ.

قالت عائشة رضي الله عنها: «فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدًا يبكي من الفرح، حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ»(٣).

وما ذاك إلا لحرصه على دين الله، ومحبته لرسول الله ﷺ، فكانت هذه الرفقة مذخورة له عند ربه، مسطورة في كتابه: ﴿**إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا**﴾[التوبة: ٤٠]، فهذه التحفة العظيمة

(١) أخرجه ابن عدي: (٣/ ١٠٦٨)، والحاكم: (١/ ٤٩٢)، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم: (٧٧٣٩).
(٢) سيأتي تخريجه، عند سرده بنصه.
(٣) السيرة لابن إسحاق: (٣/ ١١).

خالصة لأبي بكر نال فيها ثلاثًا من الخصال -كما سبق-، هي من أعظم خصال الدنيا والآخرة: وسام ثاني اثنين، وشرف الصحبة، وبشارة: لا تحزن إن الله معنا.

- فيها: أن شرف الدين أعظم من شرف المكان، فهذا رسول الله ﷺ يقف على أعتاب مكة، مخاطبًا لها بتلك الكلمات الرقيقة، التي تواسيها الأعين الدفيقة: «**والله إنك لأحب البقاع إلى الله، وأحب البقاع إليّ، ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت**»[1]، يقول هذه العبارات وكله شوق وحنين، وصبابة وأنين، لكنها التضحية لهذا الدين.

صحيح الروايات:

- عن أنس رضي الله عنه، قال: «حدثني أبو بكر -رضي الله عنه- قال: «كنت مع النبي ﷺ في الغار، فرأيتُ آثار المشركين، قلتُ: يا رسول الله، لو أن أحدهم رفع قدمه رآنا، قال: «**ما ظنّك باثنين، الله ثالثهما**»»[2].

- عن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: «جاء أبو بكر الصديق إلى أبي في منزله فاشترى منه رَحْلاً، فقال لعازب: ابعث معي ابنك يحمله معي إلى منزلي.

فقال لي أبي: احمله. فحملته.

وخرج أبي معه ينتقد ثمنه، فقال له أبي: يا أبا بكر حدثني كيف صنعتما ليلة سريتَ مع رسول الله ﷺ قال: نعم.

أسرينا ليلتنا كلها حتى قام قائم الظهيرة، وخلا الطريق، فلا يمرّ فيه أحد، حتى رُفعت لنا صخرة طويلة لها ظل، لم تأت عليه الشمس بعد، فنزلنا عندها، فأتيت الصخرة فسوّيت بيدي مكانًا ينام فيه النبي ﷺ في ظلها، ثم بسطتُ عليه فروة، ثم قلت: نم يا رسول الله، وأنا أنفض لك ما حولك. فنام.

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب أبواب المناقب، باب في فضل مكة، رقم: (٣٩٢٦)، والحاكم في كتاب المناسك، برقم: (١٧٨٧)، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه).

(٢) رواه البخاري: (٨/ ١٧٦-١٧٧)، كتاب التفسير - سورة التوبة، (الآية)، رقم: (٤٦٦٣)، ومسلم: (٤/ ١٨٥٤)، كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -.

وخرجتُ أنفض ما حوله، فإذا أنا براعي غنم مُقبل بغنمه إلى الصخرة، يريد منها الذي أردنا، فلقيته فقلت: لمن أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من أهل المدينة.

قلتُ: أفي غنمك لبن؟ قال: نعم.

قلتُ: أفتحلب لي؟ قال: نعم.

فأخذ شاة، فقلت له: انفض الضرع من الشعر والتراب والقذى، -قال: فرأيت البراء يضرب بيده على الأخرى ينفض- فحلب لي، في قعب[1] معه، كثبة من لبن، قال: ومعي إداوة أرتوى فيها للنبي ﷺ؛ ليشرب منها ويتوضأ.

قال: فأتيت النبي ﷺ، وكرهت أن أُوقظه من نومه، فوافقته استيقظ، فصببت على اللبن من الماء حتى برد أسفله، فقلت: يا رسول الله اشرب من هذا اللبن، قال: فشرب حتى رضيتُ.

ثم قال: «**ألم يأن للرحيل؟**» قلتُ: بلى. قال فارتحلنا بعد مازالت الشمس.

واتبعنا سراقة بن مالك. قال: ونحن في جَلد من الأرض.

فقلت: يا رسول الله أُتينا. فقال: «**لا تحزن، إن الله معنا**».

فدعا عليه رسول الله ﷺ، فارتطمت فرسه إلى بطنها.

أُرى فقال: إني قد علمت أنكما قد دعوتما عليّ، فادعوا لي، فالله لكما أن أرُد عنكما الطلب. فدعا الله، فنجى. فرجع لا يلقى أحداً إلا قال: قد كفيتكم ما ههنا.

فلا يلقى أحداً إلا ردّه. قال: ووفي لنا»[2].

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «لم أعقل أبويَّ قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار: بكرة وعشية، فلما ابتُلي المسلمون، خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة، حتى بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة -وهو سيد القارة- فقال أين تريد يا أبا بكر؟

(١) هو القدح الغليظ، ينظر: لسان العرب: (١/ ٦٨٣).

(٢) رواه البخاري: (٤/ ٢٣٠٩) - كتاب الزهد والرقائق، باب في حديث الهجرة، رقم: (٢٠٠٩).

فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي، قال ابن الدغنة: فإنّ مثلك يا أبا بكر لا يَخرُج ولا يُخرَج، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكَلّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار، ارجع واعبد ربَك ببلدك.

فرجع، وارتحل معه ابن الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يُخرج، أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل ويقري الضيف، ويُعين على نوائب الحق؟

فلم تكذّب قريش بجوار ابن الدغنة، وقالوا لابن الدغنة: مرْ أبا بكر فليعبد ربه في داره، فليصل فيها وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا.

فقال ذلك ابن الدغنة لأبى بكر، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره، ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره.

ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره، وكان يصلي فيه، ويقرأ القرآن، فيتقذف عليه نساء المشركين، وأبناؤهم، وهم يعجبون منه، وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدم عليهم، فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره، فأعلن بالصلاة، والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فانْهَهُ، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبي إلا أن يعلن بذلك فسلْه أن يرد إليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفرك، ولسنا بمقرين لأبي بكر الاستعلان.

قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر، فقال: قد علمت الذي عاقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن ترجع إليّ ذمتي، فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له، فقال أبو بكر: فإني أرُد إليك جِوارك، وأرضى بجوار الله عز وجل.

والنبي ﷺ يومئذ بمكة.

فقال النبي ﷺ للمسلمين: «**إني أريت دارَ هجرتكم، ذات نخل، بين لابتين**». وهما الحرّتان».

فهاجر من هاجر قِبَل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة.

وتجهزّ أبو بكر قِبَل المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: «**على رسلك، فإني أرجو أن يؤذن لي**».

فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: «**نعم**».

فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر -وهو الخبط- أربعة أشهر.

قال ابن شهاب: قال عروة: قالت عائشة: فبينما نحن يومًا جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة، قال قائل لأبى بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعًا -في ساعة لم يكن يأتينا فيها-، فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر.

قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن، فأذن له، فدخل فقال النبي ﷺ لأبى بكر: «أخرِجْ مَن عندك».

فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله، قال: **فإني قد أذن لي في الخروج**.

فقال أبو بكر: الصحبة بأبي أنت يا رسول الله.

قال رسول الله ﷺ: «**نعم**».

قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتيّ هاتين.

قال رسول الله ﷺ: **بالثمن**.

قالت عائشة: فجهزّناهما أحثّ الجِهاز، وصنعنا لهما سُفرة في جِراب، فقطعت

أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سُميت ذات النطاق.

قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثَور، فكَمنا فيه ثلاث ليال، يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر، وهو غلام شاب ثَقف لَقن، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أَمرًا يُكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام.

ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم، فيُريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رسل -وَهو لَبنُ منحتهما ورضيفهما- حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغَلَس، يفعل ذلكَ فيً كل ليلة من تلك الليالى الثلاث.

واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الديل، وهو من بني عبد بن عدي هاديًا خرّيتًا -والخريت: الماهر بالهداية- قد غمس حلفًا في آل العاص بن وائل السهميَ، وهو على دين كفار قريش، فأمناه، فدفعا راَحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صُبح ثلاث، وَانطلق معهما عامر بن فهيرة، والدليل، فأخذ بهم طريق السواحل»[1].

عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: «أقبل نبيّ الله ﷺ إلى المدينة، وهو مردف أبا بكر، وأبو بكر شيخ يُعرفَ، ونبي الله ﷺ شاب لا يعرف، قال: فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكر مَن هذا الرجل الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل يهدينى السبيل، قال: فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق، وإنما يعني سبيل الخير.

فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم، فقال: يا رسول الله، هذا فارس قد لحق بنا، فالتفت نبي الله ﷺ فقال: «**اللهمَ اصرعْه**». فصرعه الفرس، ثم قامت تحمحم، فقال: يا نبي الله، مرني بما شئت. قال: **فقف مكانك، لا تتركنّ أحدًا يلحق** بنا. قال: فكان أول النهار جاهدًا على نبي الله ﷺ، وكان آخر النهار مَسْلحة له»[2].

(١) رواه البخاري: (٧/ ٢٧١-٢٧٣)، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، رقم: (٣٩٠٥).

(٢) رواه البخاري: (٧/ ٢٩٣-٢٩٤) - كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، رقم: (٣٩١١).

المطلب الثاني: المهاجرون الأول

- قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨)﴾[الحشر: ٨].

- قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧)﴾[البقرة: ٢٠٧].

- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[النحل: ٤١]

***

- تصور لنا هذه الآيات تلك المسيرة الإيمانية، لأولئك الصفوة المختارة، الذين اختارهم الله تعالى لتحمل أمانة الرسالة، ونشرها للعالمين، وكلاء عن الرسول الأمين ﷺ، فبذلوا في سبيل ذلك أرواحهم، وأبدانهم، وأموالهم، وأهلهم، وأوطانهم.

فقد «كانت فتنة المسلمين من أصحاب النبي ﷺ، في مكة، فتنة الإيذاء والتعذيب، وما يرونه من المشركين من ألوان الهزء والسخرية.

فلما أذن لهم الرسول بالهجرة، أصبحت فتنتهم في ترك وطنهم، وأموالهم، ودورهم، وأمتعتهم.

ولقد كانوا أوفياء لدينهم، مخلصين لربهم، أمام الفتنة الأولى، والثانية: قابلوا المحن والشدائد بصبر ثابت، وعزم عنيد.

حتى إذا أشار لهم الرسول بالهجرة إلى المدينة، توجهوا إليها، وقد تركوا من ورائهم الوطن، وما لهم فيه من مال ومتاع ونشب[1]، ذلك أنهم خرجوا مستخفين متسللين»[2].

(١) النشب: هو المال والعقار، كما في لسان العرب: (١/ ٧٥٧).

(٢) فقه السيرة للبوطي ص١٣٠.

المعنى الإجمالي للآيات:

آية سورة الحشر:

- هذه الآية -وإن كانت مدنية- إلا أنها تحكي حال أولئك المهاجرين الصادقين، الذين هجروا المحبوبات والمألوفات، من الديار والأوطان، والأحباب والخلان، والأموال والدور، رغبة في الله تعالى، ونصرة لدين الله سبحانه، ومحبة لرسوله ﷺ؛ فهؤلاء هم الصادقون حقًا، الذين عملوا بمقتضى إيمانهم، وصدقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة، بل العبادات الشاقة، بخلاف من ادعى الإيمان، وهو لم يصدقه بالجهاد والهجرة، وغيرهما من العبادات، والتضحيات.

آية سورة البقرة:

- هذه الآية قيل: إنها نزلت في صهيب رضي الله عنه، وقيل: بل في المهاجرين عمومًا، ولا تعارض بينهما؛ فصهيب رضي الله عنه هو من المهاجرين، وهو نموذج من تلك النماذج المضيئة في تاريخ نصرة الدين، وصفحات التضحية في ذات رب العالمين.

قال الطاهر بن عاشور: «هذا قسيم: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...**﴾ [البقرة: ٢٠٤]، وذكره هنا بمنزلة الاستطراد استيعابًا لقسمي الناس؛ فهذا القسم هو الذي تمحض فعله للخير حتى بلغ غاية ذلك، وهو تعريض نفسه التي هي أنفس الأشياء عليه للهلاك؛ لأجل تحصيل ما يرضي الله تعالى، وإنما رضا الله تعالى بفعل الناس للخير الذي أمرهم به.

- و﴿**يَشْرِي**﴾: معناه: يبيع، كما أن يشتري بمعنى يبتاع، . . . والمعنى: ومن الناس من يبذل نفسه للهلاك ابتغاء مرضاة الله، أي هلاكًا في نصر الدين، وهذا أعلى درجات الإيمان؛ لأن النفس أغلى ما عند الإنسان»[1].

(١) التحرير والتنوير: (٢/ ٢٧٤).

- ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾: أي بالغ الرحمة بهم؛ حيث كلفهم وأعانهم، فقد قال ﷺ: «**إن الله تعالى ينزل المعونة على قدر المؤونة، وينزل الصبر على قدر البلاء**»(١).

آية سورة النحل:

- قال ابن الجوزي: «اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال:

- **أحدها**: أنها نزلت في ستة من أصحاب رسول الله ﷺ، بلال، وعمار، وصهيب، وخبَّاب بن الأرتِّ، وعايش، وجبر مَولَيان لقريش، أخذهَم أهل مكة، فجعلوا يُعذِّبونهم؛ ليردُّوهم عن الإسلام، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

- **والثاني**: أنها نزلت في أبي جندل بن سهيل بن عمرو، قاله داود بن أبي هند.

- **والثالث**: أنهم جميع المهاجرين من أصحاب رسول الله ﷺ، قاله قتادة»(٢).

ومعناها: «والذين تركوا ديارهم من أجل الله، فهاجروا، بعدما وقع عليهم الظلم، لنسكننهم في الدنيا دارًا حسنة، ولَأجر الآخرة أكبر؛ لأن ثوابهم فيها الجنة.

لو كان المتخلفون عن الهجرة يعلمون علم يقين ما عند الله من الأجر والثواب للمهاجرين في سبيله، ما تخلَّف منهم أحد عن ذلك»(٣).

هدايات الآيات:

آية سورة الحشر:

- فيها: بيان شرف المهاجرين، فنزلت هذه التزكية الربانية، والشهادة القرآنية، التي تخلد ذكرهم، وترفع قدرهم، بجملة من جلائل الخصال:

- **أولها**: أنهم فقراء، وفقرهم لله؛ حيث تركوا أموالهم في سبيله جل في علاه.

- **وثانيها**: أنهم مهاجرون في الله تعالى، حفظًا لدينه ونشرًا له.

- **وثالثها**: أنهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم؛ فكفار مكة أحوجوهم إلى الخروج، وأخرجوهم من خير البقاع.

---

(١) رواه البزار في مسنده، ص ١٥٦، وهو في السلسلة الصحيحة للألباني: (١٦٦٤).
(٢) زاد المسير: (٢/ ٥٦٠).
(٣) التفسير الميسر، ص٢٧١.

- **ورابعها**: أنهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا: والمراد بالفضل: ثواب الجنة، وبالرضوان: قوله: ﴿**وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾ [التوبة: ٧٢].

- **وخامسها**: قوله: ﴿**وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾: أي بأنفسهم وأموالهم.

- **وسادسها**: قوله: ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾: يعني أنهم لما هجروا لذات الدنيا، وتحملوا شدائدها؛ لأجل دينهم: ظهر صدقهم(١).

- وفيها: فضل إخوانهم الذين آثروهم عليهم، والذين لم يجدوا في صدورهم حاجة مما أوتوا، بل شاطروهم أغلى شيء لديهم، إنهم الأنصار الذين جعل رسول الله ﷺ حبهم من الإيمان فقال: «**الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله**»(٢)، وما ذلك إلا لأنهم أقاموا بينهم الوشيجة الإيمانية، والعلقة الإسلامية، التي آثرت إخوانهم على أنفسهم، كما سيأتي في العهد المدني؛ لذلك قال تعالى بعد هذه الآية: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[الحشر: ٩].

آية سورة البقرة:

- فيها: الترغيب في الجهاد بالنفس والمال، وجواز أن يخرج المسلم من كل ماله في سبيل الله تعالى، «ولا يعد ذلك إسرافًا ولا تبذيرًا؛ إذ الإسراف والتبذير في الإنفاق في المعاصي والذنوب»(٣).

---

(١) ينظر: تفسير الرازي: (٢٩/ ٥٠٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب حب الأنصار، رقم: (٣٧٨٣)، ومسلم، كتاب في الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنهم من الإيمان، رقم: (٧٥).

(٣) أيسر التفاسير للجزائري: (١/ ١٨٦).

- فيها: بيان سعة رحمة الله تعالى بالعباد؛ حيث لم يكلفهم ما لا يطيقون، وحيث جعل عظم الأجر بقدر ما يصيبهم من المشقة؛ فقد قال ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «**ولكنها على قدر نصبك**»(١).

آية سورة النحل:

- فيها: التذكرة بأصل عظيم، هو قاعدة كريمة لا بد للمؤمن أن يتخلق بها، وهي أن من ترك شيئًا لله عوضه الله خيراً منه(٢)، وهذا ما ترجمه أصحاب رسول الله ﷺ في هجرتهم إلى الله تعالى، يقول خباب بن الأرت -رضي الله عنه-: «هاجرنا مع رسول الله ﷺ، نبتغي وجه الله، فوجب أجرنا على الله، ومنا من مضى -أو ذهب- ولم يأكل من أجره شيئًا، كان منهم مصعب بن عمير، قتل يوم أحد، لم يترك إلا نمرة، كنا إذا غطينا بها رأسه: خرجت رجلاه، وإذا غُطِّيَ بها رجلاه: خرجت رأسه... قال: ومنا من أينعت له ثمرته، فهو يهدبها»(٣). أي يجنيها ويتمتع بها(٤).

تركوا أوطانهم وأموالهم فعوضهم الله جل وعلا بأن ملكوا مفاتيح البلاد، وقلوب العباد، كما قال ﷺ: «**من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له**»(٥).

---

(١) رواه البخاري كتاب أبواب العمرة، باب أجر العمرة على قدر النصب، رقم: (١٧٨٧)، ومسلم، كتاب الحج، باب: بيان وجوه الإحرام، وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع والقران، وجواز إدخال الحج على العمرة، ومتى يحل القارن من نسكه، رقم: (١٢١١).

(٢) ويروى حديث بهذا اللفظ، ولا يصح، ينظر: المقاصد الحسنة للسخاوي ص٦٣٦، وكشف الخفاء للعجلوني: (٢/ ٢٨٣)، والدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة للسيوطي ص ١٨٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الجنائز، باب إذا لم يجد كفنًا إلا ما يواري رأسه، أو قدميه غطى رأسه، رقم: (١٢٧٦)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الجنائز، باب في كفن الميت، رقم: (٩٤٠).

(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٥/ ٢٤٩).

(٥) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٤٢- ٦٤٣) كتاب «صفة القيامة» باب: (٣٠) (٢٤٦٦)، وابن ماجه (٢/ ١٣٧٦) كتاب الزهد، باب: الهم بالدنيا (٤١٠٧)، وأحمد (٢/ ٣٥٨). وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

فأتت الدنيا أصحاب رسول الله ﷺ مع أنهم لم يطلبوها، فهذا أبو هريرة رضي الله عنه، يلي أمر البلاد والعباد في المدينة، فيجلس على كرسيه، ثم يمتخط بثوبين ممشقين[1] من كتان، ثم يتذكر نعمة الله عليه، ويترجم ذلك الإيمان بربه، وما أسبغه عليهم من فضله، فيقول: «بخ بخ، أبو هريرة يتمخط في الكتان، لقد رأيتني وإني لأخرُّ فيما بين منبر رسول الله ﷺ إلى حجرة عائشة، مغشيًا عليّ، فيجيء الجائي، فيضع رجله على عنقي، ويرى أني مجنون، وما بي من جنون، ما بي إلا الجوع»[2].

فأكرم الله سبحانه وتعالى أصحاب رسول الله ﷺ لما ابتغوا فضله، ولما أرادوا أجره، ولما طلبوا مرضاته ورضاه، أكرمهم في الدنيا، ثم خلد ذكرهم، وجعل أجرهم محفوظًا لهم في الآخرة: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[التوبة: ١٠٠].

صحيح الروايات:

- عن قتادة -رحمه الله تعالى- في قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ**﴾ قال: «هم المهاجرون والأنصار»[3].

عن عكرمة رضي الله عنه، قال: لما خرج صهيب مهاجرًا تبعه أهل مكة، فنثل كنانته، فأخرج منها أربعين سهمًا، فقال: «لا تصلون إليّ حتى أضع في كل رجل منكم سهمًا، ثم أصير بعد إلى السيف، فتعلمون أني رجل، وقد خلفت بمكة قينتين فهما لكم»[4].

(١) مصبوغان بالمشق، وهو الطين الأحمر.

(٢) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما ذكر النبي ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم، وما أجمع عليه الحرمان مكة، والمدينة، وما كان بها من مشاهد النبي ﷺ والمهاجرين، والأنصار، ومصلى النبي ﷺ والمنبر والقبر، رقم: (٧٣٢٤).

(٣) رواه عبد الرزاق بسند صحيح، كما في التفسير الصحيح: (١/ ٣٢٠).

(٤) أخرجه الحاكم: (٣/ ٤٥٠)، برقم: (٥٧٠٠)، وسكت عنه الذهبي، وله طرق يتقوى بها، كما في الإصابة لابن حجر: (٣/ ٣٦٥).

وعن أنس - نحوه -، ونزلت على النبي ﷺ: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ**﴾، فلما رآه النبي ﷺ قال: «**أبا يحيى ربح البيع**» قال: وتلا عليه الآية[1].

وبهذه الهجرة الجليلة، والأحداث النبيلة، طويت صفحة الاستضعاف والظلم، وبقيت للمؤمنين ذكرياتها في قلوبهم، وخلودها في أمتهم إلى قيام الساعة.

لتفتح بعد ذلك صفحات التمكين، ونشر أنوار الرسالة في العالمين، وهذا ما وقع في دولة الإسلام الأولى: المدينة المنورة[2].

نسأل الله تعالى أن يعيد للأمة عزها، إنه أعظم مسؤول.

كما نسأله سبحانه أن يبارك لنا فيما كتبنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يزيدنا علمًا نافعًا، وعملاً صالحًا.

والحمد لله أولاً وآخرًا.



(١) أخرجه الحاكم: (٣/ ٤٥٠)، وقال: (صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه)، وقال الوادعي في الصحيح المسند من أسباب النزول ص٣٣: (الحديث له طرق أخر أغلبها مراسيل، كما في الإصابة: (٢/ ١٨٨)، وفي الطبقات لابن سعد: (٣/ ١٦٣ و١٦٣)، من القسم الأول، وهي بمجموعها تزيد الحديث قوة وتدل على ثبوته).

(٢) ومن محاسن التقدير أن النظر الختامي لهذه السيرة المباركة كان في المدينة المنورة، في يوم الإثنين: (٢٣/ شوال/ ١٤٣٨هـ).



الخاتمة

بعد تطوافنا بين تلك الأفنان الندية، - واستراحنا بين الدياح الظليلة، واقتباسنا من جذوة أنوار الوحي، وعيشنا في تلك الأوراق مع منارة الائتساء، وقبلة الاقتداء محمد رسول الله ﷺ، على هامش جوانب من سيرته العلية، من خلال ما قصه الله تعالى عنه في كتابه العظيم- بعد كل ذلك نأتي إلى ختم هذا الموضوع كتابيًا، وإن بقي ملازمًا لنا قلبيًا وعمليًا، «فالسيرة لم تكن ماضيًا أبدًا، بل هي شعلة توقد شموس الحياة، ودماء تتدفق في عروق المستقبل والأجيال»[1].

وأقول في خاتمتها:

أولاً: النتائج:

إنني توصلت في هذه الطريقة المبتكرة من عرض السيرة النبوية إلى نتائج عديدة، منها:

١- أن أعظم مصدر من مصادر السيرة النبوية هو القرآن الكريم، وقد ذكر جوانب كثيرة من أحداثها وأخبارها، وأضاء إضاءات عديدة على درر من أسرارها.

٢- أن أكثر أحداث السيرة مضمنة في القرآن الكريم، فهي إما أن تذكر تأصيلاً أو تفصيلاً، وإما أن ينص عليها تصريحًا، أو أن يشار إليها تلويحًا.

٣- أن القرآن الكريم إنما يذكر من السيرة أهم وقائعها، ويشير في تفاصيلها إلى ما يحقق الهداية منها؛ فالهداية هي غاية القرآن، ومقصوده الأول.

٤- أن القرآن الكريم في عرضه للسيرة، لا يعتني بذكر الأشخاص، وإنما يركز على الأوصاف التي تتحقق بها الأهداف من ذكر الواقعة؛ لتكون صالحة في مختلف الأزمنة والأمكنة.

٥- أن هدايات آيات السيرة لا حصر لها، فهي واسعة الشعب، كثيرة الفروع، تنتظم الجوانب العقدية والتعبدية والخلقية والدعوية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

(١) السيرة النبوية للصوياني: (١/ ٨).

٦- أن من أعظم ما يفيد الأمة في واقعها أن تستلهم علاجها لمشكلاتها، وخروجها من مآزقها من السيرة القرآنية، وبخاصة في عهدها المكي الذي يلتقي مع الواقع في جهات متعددة.

٧- «أن السيرة النبوية هي الوحي المنزل في صورة تطبيقية؛ ولذا كانت مدارستها تصويراً حيًا للإسلام، وكان فهمها هو البداية الصحيحة للعمل بالإسلام»(١).

٨-«إنه مثلما حفظ الله تعالى القرآن الكريم عمود الدين، حفظ كذلك دعامته سنة رسول الله ﷺ، وأرضيته سيرته؛ إذ كان هذا الحفظ هو حفظ النصوص وحفظ الدروس، أعني التطبيق العملي، والشرح الواقعي لمضامين الإسلام، قرآنًا وسنة وسيرة.

وكانت السيرة الشريفة مستوعبة -من الناحية العملية- للإسلام كله، قرآنًا وسنة وسيرة، بكل أبعاده وأمجاده وإرفاده، وكل جهده وجهاده واجتهاده، بحيث يرى المسلم الإسلام كاملا في السيرة النبوية الشريفة»(٢).

٩- أن السيرة المكية في القرآن رسمت للأمة منهجها في حال ضعفها، فغرست الإيمان في قلوبها، وربتها على الصبر والتضحية والاحتساب، كما أنها أشعلت في نفوسها آمال التبشير، وبشارات التمكين في الدنيا، والنعيم في الآخرة، فهي جمعت بين حلاوة الصبر على الحال، وحلاوة التفاؤل بالمآل.

١٠- أن القرآن رغم حكايته للمكر الكبار للكفار بالليل والنهار، إلا أنه بين هوانه على المؤمنين، إن هم تحققوا بما أمروا به من الإيمان، واليقين، والتوكل على الله تعالى.

١١- أن المصائب مهما تعددت أصنافها، وتتابعت حلقاتها فهي إلى زوال، فتبقى ذكرياتها مضيئة بقدر حسن التعامل معها، والصبر في تجاوزها، ثم تكون في الآخرة بركتها.

١٢-وأخيراً: أنه لا بد لهذه الأمة أن تجعل من سيرة رسول الله ﷺ منارة تهتدي بها،

(١) السيرة النبوية لأحمد غلوش، ص ٥٦٣.
(٢) السيرة النبوية منهجية دراستها واستعراض أحداثها، للحجي، ص٣٧١.

مهما توالت عليها الخطوب، ومهما تتابعت عليها المصائب والكروب، فينبغي أن يكون لهم مع سيرة رسول الله ﷺ أعظم الأمل، للجد والسعي والعمل.

ثانيًا: التوصيات:

وفي نهاية هذه الرحلة القرآنية الإيمانية المباركة: أوصي بما يلي:

١- الاهتمام بهذا الملحظ المهم، وهو الربط بين القرآن الكريم، والسيرة النبوية؛ لقوة التلازم بينهما، وجعل ذلك هو الأساس الذي يصدر عنه مدرسو السيرة المطهرة.

٢- إقامة المحاضرات العلمية والوعظية في آيات السيرة، وما فيها من هدايات قرآنية؛ لتربية الأمة على التعلق بهما، ومعرفة العلاقة بينهما.

٣- نشر مثل هذه البحوث في مراكز التحفيظ، وحلقات القرآن والمدارس؛ ليزداد فهمهم لمعاني هذه الآيات، مما يقوي حفظهم، وينمي مداركهم.

٤- إعداد دورات تدريبية في كيفية استنباط هدايات آيات السيرة، من خلال التدريب على طرق العلماء في الاستنباط، والتي ذكر بعضها في المقدمة.

٥- زيادة البحوث في هذا الباب؛ فلا زالت هدايات آيات السيرة تحتاج إلى العلماء المتدبرين، والمفسرين المتخصصين؛ ليغوصوا في أغوارها، ويستنبطوا مزيدًا من أسرارها، وما هذا الكتاب إلا مجرد مفتاح لهذا الباب.

وبالله التوفيق.



الفهارس

وفيها :

- أولاً: المصادر والمراجع.
- ثانيًا: فهرس الآيات.
- ثالثًا: فهرس الأحاديث والآثار.
- رابعًا: فهرس الموضوعات.

أولاً: المصادر والمراجع

١- أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٠٥هـ.

٢- أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

٣- الإسراء والمعراج وذكر أحاديثهما وتخريجها وبيان صحيحها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ٤٢٠هـ)، المكتبة الإسلامية، الطبعة الأولى: ٢٠٠٠م- ١٤٢١هـ.

٤- الأسماء والصفات للبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.

٥- الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥هـ.

٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيرت - لبنان، عام النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٧- ألفية السيرة النبوية - نظم الدرر السنية الزكية، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم ابن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ)، دار المنهاج - بيروت، الطبعة: الأولى- ١٤٢٦هـ.

٨- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ.

٩- أوائل المؤلفين في السيرة النبوية، عبد الشافي محمد عبد اللطيف. (الشاملة).

١٠- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١١- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

١٢- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٣- بدائع الفوائد، ابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

١٤- البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ)، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، عام النشر: ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٥- بلوغ الأرب في أحوال العرب، للألوسي، بغداد، مطبعة دار السلام، (١٣١٤هـ، ١٨٩٦م).

١٦- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٧- التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٨- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤هـ.

١٩- تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، العراقي (٧٢٥ - ٨٠٦ هـ)، ابن السبكى (٧٢٧ - ٧٧١ هـ)، الزبيدي (١١٤٥ - ١٢٠٥هـ)، استخرَاج: أبي عبد اللَّه مَحمُود بن مُحَمّد الحَدّاد، دار العاصمة للنشر - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م.

٢٠- تطور كتابة السيرة النبوية، عمار عبودي محمد حسين نصار، الثقافية العامة - بغداد، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ.

٢١- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث - بيروت.

٢٢- تفسير الإمام ابن عرفة، محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (المتوفى: ٨٠٣هـ)، المحقق: د. حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية - تونس، الطبعة: الأولى، ١٩٨٦م.

٢٣- تفسير الشعراوي - الخواطر، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم.

٢٤- تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٢٥- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٢٦- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢٧- تفسير القرآن العظيم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩هـ.

٢٨- تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٢٩- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٣٠- التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية، الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٣١- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد ابن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٣٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

جـ٦: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

جـ٧: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٣٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٣٤- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ابن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية -القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٣٥- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد ابن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف - الرياض.

٣٦- حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي، الشهير بـ «بَحْرَق» (المتوفى: ٩٣٠هـ)، دار المنهاج - جدة، تحقيق: محمد غسان نصوح عزقول، الطبعة: الأولى - ١٤١٩هـ.

٣٧- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق ابن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٣٨- الخلاصة البهية في ترتيب أحداث السيرة النبوية، جمع وترتيب: وحيد بن عبد السلام بالي، دار الفوائد - دار ابن رجب، الطبعة: الثانية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٣م.

٣٩- الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت.

٤٠- الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: الدكتور محمد بن لطفي الصباغ، الناشر: عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض.

٤١- دفاع عن الحديث النبوي والسيرة، الألباني، نشر مجلة التمدن الإسلامي، دمشق.

٤٢- دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبدالبر عباس، دار النفائس، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٤٣- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٠٥هـ.

٤٤- الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ)، دار الهلال - بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع)، الطبعة: الأولى.

٤٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن

عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٤٦- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، المحقق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٤٧- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى: ١٤٢٢هـ.

٤٨- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، عام النشر: جـ١ - ٤: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٤٩- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٥٠- سنن ابن ماجه، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

٥١- سنن أبي داود، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة.

٥٢- سنن الترمذي، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨م.

٥٣- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنات، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٥٤- سنن النسائي، عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب الطبعة: الثانية، ١٤٠٦- ١٩٨٦.

٥٥- سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر - بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٥٦- السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٦م.

٥٧- السيرة النبوية الصحيحة، أكرم العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٢هـ.

٥٨- السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية للدبيسي (الشاملة).

٥٩- السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، دار القلم - دمشق، الطبعة: الثامنة - ١٤٢٧هـ.

٦٠- السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة، محمد الصوياني، مؤسسة الريان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٦١- السيرة النبوية من خلال أهم كتب التفسير، عصام بن عبد المحسن الحميدان، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

٦٢- السيرة النبوية منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن على الحجي، دار ابن كثير -دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

٦٣- السيرة النبوية، علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار ابن كثير - دمشق، الطبعة: الثانية عشرة، ١٤٢٥هـ.

٦٤- شرح بغية المبتدي في الفنون الثلاثة، محمد يوسف الأزهري، دار النور المبين، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

٦٥- الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، الناشر: دار الوطن - الرياض/ السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٦٦- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة -بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

٦٧- صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٦٨- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٦٩- صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة: الخامسة.

٧٠- صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي.

٧١- صحيح السيرة النبوية، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، المكتبة الإسلامية - عمان - الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٧٢- صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٧٣- صحيح المنقولات في أسباب نزول السور والآيات، فخرالدين الزبير، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

٧٤- صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، الناشر : الدرر السنية - دار الهجرة، الطبعة : الثالثة ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

٧٥- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٧٦- الصواعق المرسلة المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

٧٧- ضعيف الجامع الصغير وزيادته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي.

٧٨- الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.

٧٩- طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٤هـ.

٨٠- عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المعروف بابن البناء المراكشي (المتوفى: ٧٢١هـ)، حققته وقدمت له: هند شلبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٩٠م.

٨١- غريب القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: سعيد اللحام.

٨٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٨٣- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

٨٤- فضائل الصحابة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ - ١٩٨٣م.

٨٥- فقه السيرة للغزالي، دار القلم - دمشق، تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ.

٨٦- فقه السيرة، للبوطي، دار الفكر - دمشق، الطبعة: الخامسة والعشرون، ١٤٢٦هـ.

٨٧- في رحاب أمثال القرآن، للمؤلف، الدار الأثرية.

٨٨- في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: ١٣٥٩هـ)، علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٨٩- فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ.

٩٠- الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد بن عدي الجرجاني (المتوفى: ٣٦٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض، شارك في تحقيقه: عبد

الفتاح أبو سنة، الكتب العلمية - بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٩١- كتاب الأصنام، أبو المنذر هشام بن محمد أبي النضر بن السائب بن بشر الكلبي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، المحقق: أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية -القاهرة، الطبعة: الرابعة، ٢٠٠٠م.

٩٢- كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٩٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ.

٩٤- كشف الأستار عن زوائد البزار، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٩٥- كشف الخفاء ومزيل الإلباس، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء (المتوفى: ١١٦٢هـ)، المكتبة العصرية، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٩٦- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ.

٩٧- لمسات بيانية، للسامرائي (الشاملة).

٩٨- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة

المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق، الطبعة: الثانية - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٩٩- ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية، د. محمد العوشن، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

١٠٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

١٠١- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

١٠٢- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

١٠٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٠٤- المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، خالد بن سليمان المزيني، دار ابن الجوزي، الدمام - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م.

١٠٥- مستدرك الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

١٠٦- مسند أحمد، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

١٠٧- مسند البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

١٠٨- مسند الدارمي المعروف بـ(سنن الدارمي)، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن ابن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م.

١٠٩- مصادر السيرة النبوية، ضيف الله بن يحيى الزهراني، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

١١٠- مصادر تلقي السيرة النبوية، محمد أنور بن محمد علي البكري، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

١١١- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر ابن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (المتوفى: ٨٤٠هـ)، المحقق: محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.

١١٢- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد

الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)، المحقق : عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ.

١١٣- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١١٤- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة: الأولى.

١١٥- المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة.

١١٦- معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ، بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى: ١٤٢٩هـ)، دار العاصمة للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤١٧هـ -١٩٩٦م.

١١٧- معجم معالم الحجاز (الشاملة).

١١٨- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١١٩- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ.

١٢٠- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

١٢١- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، المحقق: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٢٢- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٢٣- موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة- المدينة النبوية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٢٤- موسوعة النحو والصرف الإعراب، إيميل بديع يعقوب، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

١٢٥- موقع فتاوى ابن عثيمين (الشبكة).

١٢٦- موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، للزنداني (الشبكة).

١٢٧- النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣ هـ)، المحقق: علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠هـ)، المطبعة التجارية الكبرى.

١٢٨- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

١٢٩- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.

١٣٠- الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، الفريق البحثي بكرسي الملك عبدالله بن عبدالعزيز للقرآن الكريم، مكتبة المتنبي، الطبعة الأولى، ١٤٣٨هـ.

١٣١- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١٣٢- هذا الحبيب يا محب، أبو بكر الجزائري، مكتبة الدعوة، الطبعة الأولى.

١٣٣- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

١٣٤- وقفات تربوية مع السيرة النبوية، أحمد فريد، دار ابن القيم، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

●●●

ثانيًا: فهرس الآيات

الآيـــــات	الصفحة
﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[النحل: ٦٤]	٣
﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأنعام: ١٥٧]	٣
﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢]	٣
﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣]	٣
﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[يونس: ٥٧]	٣
﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[يوسف: ١١١]	٣
﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[الجاثية: ٢٠]	٣
﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾[البقرة: ١٨٥]	٣
﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[المائدة: ١٥-١٦]	٣

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[الإسراء: ٩]..... ٤
﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ [الإسراء: ١٢]..... ٤
﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة: ٦]..... ٥
﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة: ٢]..... ٥
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]..... ٥
﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢]..... ٥
﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ [التوبة: ٦١]..... ٥
﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]..... ٥
﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]..... ٥
﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]..... ٥
﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾[الأحزاب: ٤٦]..... ٦
﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[الأعراف: ١٥٨]..... ٦
﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾[النور: ٥٤]..... ٦
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[الأحزاب: ٢١]..... ٦
﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[الأنعام: ٩٢]..... ٧
﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لاَ رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[الشورى: ٧]..... ٧
﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ

أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١) وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ....﴾[النمل: ٩١-٩٢]..... ٧

﴿قَالَ خُذْهَا وَلاَ تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى﴾ [طه: ٢١]..... ١٥

﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾[الزخرف: ٤٤]..... ١٩

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[البقرة: ٢٥]..... ٢٤

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ .....(١٦)﴾ [المائدة: ١٥-١٦] ٢٥

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٧)﴾[فصلت: ١٧]..... ٢٦

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٤)﴾ [الحجر: ٢٤]..... ٢٨

﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً (٦١)﴾[الأحزاب: ٦١]..... ٢٨

﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾[النساء: ١٦١]..... ٢٨

﴿أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى(٧)﴾[العلق: ٧]..... ٢٨

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٤٨)﴾[البقرة: ١٤٨]..... ٢٨

﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾[النساء: ٥٩]..... ٢٩

﴿الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]... ٢٩

﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦)﴾[الطور: ٢٦]. ٣١

﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ ..﴾[البقرة: ١٧٧] ٣١

﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤)﴾ [التكوير: ٢٤]. ٣١

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠)﴾[المؤمنون: ٦٠]. ٣٢

﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ (٤٥)﴾ [ق: ٤٥]. ٣٢

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا (٤٥)﴾) [النازعات: ٤٥]. ٣٢

﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]. ٣٣

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلاَ تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (١١٩)﴾ [البقرة: ١١٩]. ٣٣

﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[البقرة: ٢٥٦]. ٣٤

﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (٩٠) [هود: ٩٠]. . . ٣٤

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤)﴾ [البروج: ١٤]. ٣٤

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا....(١٢)﴾[فاطر: ١٢]. ٣٥

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤)﴾[البلد: ٤]. ٣٧

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

﴿وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)﴾ [البقرة: ١٢٩]. ٤١

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ...(٦)﴾ [الصف: ٦]. ٤١

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ... (٨١)﴾ [آل عمران: ٨١]. . . . ٤١

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ...﴾[يوسف: ١١١]. ٤١

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]. ٤٤

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ...﴾[البقرة: ١٢٦]. ٤٥

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾[البقرة: ١٢٥]. ٤٥

﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[القصص: ٥٧]. ٤٥

﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾[السجدة: ٣]. . . . ٤٥

﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾[يس: ٦]. ٤٥

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ...﴾[آل عمران: ١٦٤]. ٤٦

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ...﴾[الجمعة: ٢] ٤٦

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) .... (٥)﴾ [الفيل] ٥١

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) .... (٤) ﴾[قريش] ٥١

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ﴾ [الرعد: ٦] ٥٤

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى(٨)فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ (٩) ... ﴾ [الضحى: ٦-١١] ٥٩

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيْمَانُ﴾[الشورى: ٥٢] ٦٠

﴿وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[التوبة: ٧٤] ٦١

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا ...﴾[الكهف: ١١٠] ٦٢

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤)﴾ [الشرح: ١-٤] ٦٤

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا ... (١٣٦)﴾ [الأنعام: ١٣٦] ٦٩

﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا

عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ....(١٣٧)﴾[الأنعام: ١٣٧]. ٦٩
﴿وَلاَ تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا
وَسَاءَ سَبِيلاً (٢٢) ﴾[النساء: ٢٢]. ٦٩
﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ (٦٩) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ
إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ....(٧٠)﴾[يونس: ٦٩-٧٠]. ٧١
﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلاَدَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً
عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[الأنعام: ١٤٠]. ٧٢
﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾[التكوير: ٨، ٩]. ٧٢
﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ
لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦)﴾ [البقرة: ١٤٦]. ٧٤
﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ
عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا .... (٨٩) ﴾[البقرة: ٨٩]. ٧٤
﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ
وَالإِنْجِيلِ... ﴾[الأعراف: ١٥٧]. ٧٤
﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ
الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) ... (٥)﴾[العلق: ١-٥]. ٨٣
﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ
مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) ..... (٥) ﴾[القدر]. ٨٣
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ

﴿ ٤) أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) ...(٦) ﴾[الدخان: ٣-٦]. . . . ٨٣
﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾[طه: ١٤]. ٨٤
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾[الكهف: ١] ٨٧
﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾[القصص: ٨٦] ٩١
﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ(٤)
وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلاَ تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦) ... (٧)﴾ [المدثر: ١-٧]. . ٩٤
﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلَلآخِرَةُ
خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى (٤) ....(٥)﴾[الضحى: ١-٥]. ٩٤
﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[النساء: ١١٣]. ٩٩
﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾[ص: ٤٦]. ٩٩
﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ (٢١٤) ﴾[الشعراء: ٢١٤]. ١٠١
﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَى نَارًا
ذَاتَ لَهَبٍ (٣).....(٥)﴾[المسد]. ١٠١
﴿وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾]البقرة: ١٩٥]. ١٠٢
﴿وَلاَ تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾]البقرة: ٤١]. ١٠٤
﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا
مَسْتُورًا﴾[الإسراء: ٤٥]. ١٠٦
﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً(٣)
.... ﴾[المزمل: ١-١١]. ١٠٨

﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الحشر: ٢١]. ١١٠

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾[الرعد: ٣١]. ١١٠

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾[الأحزاب: ٧٢]. . . ١١٠

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الأنفال: ٤٥]. ١١١

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾[الأعراف: ٢٠٥]. ١١١

﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[الفرقان: ٥٢]. ١١١

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]. ١١٢

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[الأحقاف: ٣٥]. ١١٢

﴿وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران: ١٥٢]. ١١٣

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) ...(٢١)﴾[الليل: ١٧-٢١]. ١١٥

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) .....(١٠)﴾ [عبس: ١-١٠]. ١١٥

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ...(٢٨)﴾[الكهف: ٢٨]..... ١١٥

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[الحجرات: ١٣]..... ١١٧

﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ ...﴾[هود: ٢٧]..... ١٢٢

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾[الأعراف: ١٣٧]..... ١٢٢

﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ....﴾[الأنعام: ٥٢]..... ١٢٣

﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلاَءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾[الأنعام: ٥٣]..... ١٢٣

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[الأنعام: ٥٤]..... ١٢٣

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا(١)...(١٣)﴾[الجن: ١- ١٣]..... ١٢٦

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا... (٢٩)..... (٣٢)﴾[الأحقاف: ٢٩-٣٢]..... ١٢٦

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٧]..... ١٢٦

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦]. ١٢٦
﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾[الرحمن: ١٥]. ١٢٧
﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾[الحجر: ٢٧]. ١٢٧
﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ﴾[الأعراف: ٢٦]. ١٢٧
﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ
يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾[الجن: ٢٦-٢٧]. ١٣٠
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[ق: ٣٧] ١٣٢
﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ ..... (٣)﴾[العنكبوت: ٢-٣]. ١٣٦
﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ(٦)
..... (١٠)﴾[البروج: ٤-١٠]. ١٣٦
﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى
(١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢) .....(١٩)﴾[العلق: ٩-١٩]. ١٣٦
﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ
الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا .....﴾[البقرة: ٢١٤]. ١٣٧
﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ
الصَّابِرِينَ﴾[آل عمران: ١٤٢]. ١٣٧
﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ
أَخْبَارَكُمْ﴾[محمد: ٣١]. ١٣٧

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[التوبة: ١٦]. . ١٣٨

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ.....﴾[البقرة: ١١٤]. ١٤١

﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[هود: ٥٦] ١٤٣

﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ﴾[الرحمن: ٤١]. ١٤٣

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾[المدثر: ٣١]. ١٤٣

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) .....(٣٦)﴾[المطففين: ٢٩-٣٦]. ١٤٧

﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٤) أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥) ...(٨)﴾[ص: ٤-٨]. ١٤٧

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (٤).....(٦)﴾[الفرقان: ٤-٦]. ١٤٧

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالا مَمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤)... (٢٥)﴾[المدثر: ١١-٢٥]. . . ١٤٧

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا(٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً(٢٨)....(٢٩)﴾[الفرقان: ٢٧-٢٩]. ١٤٨

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (١٠٣)﴾[النحل: ١٠٣]. ١٤٨

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ(٢٦)﴾[فصلت: ٢٦] ١٤٨

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣)﴾[الأنعام: ٣٣] ١٤٨

﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً(١١٠)﴾ [الإسراء: ١١٠] ١٤٨

﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) .....﴾[هود: ٣٨-٣٩] ١٥٥

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرادى كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[الأنعام: ٩٤] ١٥٨

﴿وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾[الفرقان: ٣٣] ١٥٩

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) .....﴾[التوبة: ٣٢-٣٣] ١٥٩

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾[المؤمنون: ٦٩] ١٦٠

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾[الكهف: ٦] ١٦٠

﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[الشعراء: ٣] ١٦٠

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً..... (٥٩)﴾[الزخرف: ٥٧-٥٩] ١٦٤

﴿أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ..... (٨٣)﴾[يس: ٧٧-٨٣] ١٦٤

﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[العنكبوت: ٤١] ١٦٤

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[الأنبياء: ١٨] ١٦٤

﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾[النازعات: ١١-١٢] ١٦٨

﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾[الإسراء: ٤٩، ٩٨] ١٦٨

﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[ق: ١٥] ١٦٩

﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾[الأنبياء: ١٠٤] ١٦٩

﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[غافر: ٥٧] ١٧٠

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[الأحقاف: ٣٣] ١٧٠

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ ..... (٩٣)﴾[الإسراء: ٩٠-٩٣] ١٧٢

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلاَ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (٧) ..... (٩)﴾[الفرقان: ٧-٩] ١٧٢

﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٢) .....(٣٣)﴾[الأنفال: ٣٢-٣٣] .. ١٧٢

﴿إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾[سبأ: ٩]. ١٧٣
﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾[المدثر: ٥٢]. ١٧٣
﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾
[الأنعام: ١٢٤]. ١٧٣
﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ﴾[إبراهيم: ١١]. ١٧٤
﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلاَ أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً
وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾[العنكبوت: ٥٣]. ١٧٥
﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾[ص: ١٦]. ١٧٥
﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِنَ اللَّهِ ذِي
الْمَعَارِجِ﴾[المعارج: ١-٣]. ١٧٥
﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[الشعراء: ١٨٧] ١٧٥
﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا
مُعْرِضُونَ﴾[يوسف: ١٠٥]. ١٧٥
﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا
إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[الأنعام: ٧]. ١٧٦
﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلا
مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾[الأنعام: ١١١]. . ١٧٦

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾[الحجر: ١٤-١٥]..... ١٧٦

﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾[يونس: ٩٦-٩٧]..... ١٧٦

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا﴾[الإسراء: ٥٩]..... ١٧٨

﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩)﴾[القلم: ٩]..... ١٧٩

﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢)...(٧٤)﴾[آل عمران: ٧٢-٧٤].. ١٧٩

﴿حم (١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا .....(١٣)﴾ [فصلت: ١-١٣].. ١٧٩

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) .....(٦) ﴾[الكافرون]..... ١٧٩

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ .... (٦٦)﴾[الزمر: ٦٤-٦٦] ١٨٠

﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾[الأنبياء: ٤٥]..... ١٨٧

﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾[ق: ٤٥]..... ١٨٧

﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾[النازعات: ٣٠]..... ١٨٧

﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[سبأ: ١٣]. ١٨٩

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ..... (٥)﴾[القمر: ١-٥]. ١٩٣

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ (٤٤) .....(٤٦)﴾[القمر: ٤٣-٤٦] ١٩٣

﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ (١١) ﴾[ص: ١١]. ١٩٣

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ(١٧٣)﴾[الصافات: ١٧١-١٧٣]. ١٩٣

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥)الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ(٩٦)﴾[الحجر: ٩٥-٩٦]. ١٩٣

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ .... (٣٤)﴾[الأنعام: ٣٤]. ١٩٣

﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[النحل: ١]. ١٩٤

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾[الأنبياء: ١]. ١٩٤

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ...﴾[النور: ٥٥]. ١٩٩

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) .....﴾[التوبة: ٦٥-٦٦]. ٢٠٠

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ .....(٣٤)﴾[الأنعام: ٣٤]..... ٢٠٠

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا .....(٨٥)﴾[المائدة: ٨٣-٨٥]..... ٢٠٧

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[البقرة: ١٤٣]..... ٢٠٨

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ ....﴾[النساء: ٩٧-١٠٠]..... ٢٠٩

﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلاَ تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ (٦١) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا (٦٢)﴾[النجم: ٥٩-٦٢]..... ٢١٣

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ....﴾[الحج: ٥٢]..... ٢١٧

﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦)﴾[القصص: ٥٦]..... ٢١٨

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ(١٣) ....﴾[التوبة: ١٣-١٤].... ٢١٩

﴿قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾[مريم: ٤٧]..... ٢٢٠

﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[الشورى: ٥٢]..... ٢٢٠

﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[الرعد: ٧]. ٢٢٠

﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾

[النساء: ٤٨، ١١٦]. ٢٢٠

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[العنكبوت: ٢٣]. ٢٢٠

﴿وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) أَهُمْ

يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ .....(٣٢)﴾[الزخرف: ٣١-٣٢]. ٢٢٢

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[الأنعام: ١٢٤]. ٢٢٣

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي

بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)﴾ [الإسراء: ١]. . . ٢٢٧

﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ

فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاؤُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾[البقرة: ٩٠]. . . ٢٣٠

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى

(٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى (٤) ....(١٨)﴾[النجم: ١-١٨]. ٢٣٣

﴿أَلْقِها يا مُوسى فَأَلْقاها فَإِذا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعى (٢٠) قالَ خُذْها وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُها

سِيرَتَهَا الأُولى (٢) ..... لِنُرِيَكَ مِنْ آياتِنَا الْكُبْرى﴾[طه: ٢٠-٢٣]. ٢٣٣

﴿وَأَنزلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[النساء: ١١٣]. ٢٣٦

﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ) .....(أَمِينٍ)﴾[التكوير: ٢٠-٢١] ٢٣٧

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠)﴾[الأنفال: ٣٠]. ٢٤٣

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[الأنفال: ٢٦] ٢٤٤

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾[إبراهيم: ٤٦]. ٢٤٦

﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (٨٠)﴾[الإسراء: ٨٠]. ٢٤٦

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلا قَلِيلا﴾[الإسراء: ٧٦]. ٢٤٨

﴿إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا .....(٤٠)﴾[التوبة: ٤٠]. . . ٢٥١

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾[إبراهيم: ١٣]. ٢٥١

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[الأعراف: ٨٢]. ٢٥١

﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة: ١٢٨]. ٢٥١

﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾[آل عمران: ١٤٠] ٢٥٤

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨)﴾[الحشر: ٨] ... ٢٦١

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧)﴾[البقرة: ٢٠٧] ٢٦١

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[النحل: ٤١] ٢٦١

﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[التوبة: ٧٢] ٢٦٤

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ.....﴾[الحشر: ٩] .. ٢٦٤

﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ..﴾ [التوبة: ١٠٠] ٢٦٦

●●●

ثالثًا: فهرس الأحاديث والآثار

الحديث أو الأثر	الصفحة
عائشة: (فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن)	٥
(يا علي سل الله الهدى والسداد، واذكر بالهدى هدايتك الطريق..)	٢٦
(لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون، ويصلون، ويتصدقون،...)	٣٢
(خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة...)	٣٦
ابن عباس: (أجلُ رسول الله ﷺ أعلمه إياه،...)	٣٦
(لَقيتُ إبْرَاهيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ.....)	٤٣
(إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين، وإنَّ آدم لمنجدل في طينته...)	٤٩
(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق...)	٤٩
عبدالله بن عمرو: (أجل، والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن...)	٥٠
قيس بن مخرمة: (ولدت أنا ورسول الله عام الفيل...)	٥١
ابن عباس: (إنه ولد في يوم الفيل)	٥١
(ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق...)	٥٣
(فضل الله قريشًا بسبع خلال: أني منهم، وأن النبوة فيهم...)	٥٦
قتادة: (أقبل أبرهة الأشرم من الحبشة يومًا، ومن معه...)	٥٧
(استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي، واستأذنته...)	٦٣
(إني أتيت قبر أم محمد فسألت ربي الشفاعة - يعني: لها - فمنعنيها...)	٦٣
(هذا قبر آمنة بنت وهب، استأذنت ربي في أن أزور قبرها فأذن لي...)	٦٣
جابر: (لما بُنيت الكعبة ذهب رسول الله ﷺ ينقل الحجارة..)	٦٦
زيد بن حارثة: (كان صنم من نحاس - يقال له: «إساف» و«نائلة»...)	٦٦

(ما هممت بما كان أهل الجاهلية يهمون به إلا مرتين من الدهر، . . .) . . . ٦٦
(أتاه جبريل -وهو يلعب مع الغلمان- فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه. . .) ٦٧
(وإن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا. . .) . . . ٦٩
(رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار، . . .) ٧٢
ابن عباس: (إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة. . .) ٧٢
ابن عباس: (إن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج. . .) ٧٦
سلمة بن سلامة بن وقش: (كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل. . .) ٧٦
(قصة بحيرا الراهب) ٧٧
حسان بن ثابت: (والله إني لغلام يفعة ابن سبع سنين أو ثمان، . . .) . . . ٧٨
زيد بن عمرو بن نفيل: (قال لي حبر من أحبار الشام: قد خرج في بلدك نبي. .) ٧٩
ابن عباس: (أنزل الوحي على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة) ٨٣
(خير نسائها مريم ابنة عمران، وخير نسائها خديجة) ٨٨
(اللهم إنك تحب العفو فاعف عني) ٩٠
ابن عباس: (إنك لترى الرجل يمشي في الأسواق وقد وقع اسمه في الموتى. .) ٩٠
عائشة: (أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا. . .) ٩١
(أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان، . . .) ٩٢
ابن عباس: (أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة من الذكر الذي عند رب العزة، . .) ٩٣
(اللهم بارك لأمتي في بكورها) ٩٨

(فبينا أنا أمشي، سمعت صوتًا من السماء، فرفعت رأسي...) ٩٩
جندب بن سفيان: (اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثًا..... ١٠٠
عائشة: (أبطأ جبريل على رسول الله ﷺ، فقال المشركون..) ١٠٠
(كل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين...) ١٠٣
(لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده) ١٠٤
(أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدّقي؟...) ١٠٥
(يا معشر قريش! اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئًا ١٠٥
أسماء بنت أبي بكر: (أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب، ولها ولولة...) ١٠٦
(قم أبا تراب) ١٠٩
(أتاني جبريل، فقال: يا محمد: عش ما شئت فإنك ميت...) ١١٠
(جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم) ١١١
أبو الدرداء: (إنا لنكشر في وجوه قوم، ونضحك إليهم...) ١١٢
ابن عباس: (ألا أدلّك على أعلم أهل الأرض بوتر رسول الله ﷺ) ١١٣
أبوهريرة: (كان رسول الله ﷺ إذا أوحى إليه...) ١١٤
(إن أمنَّ الناس عليَّ في ماله وصحبته أبو بكر،....) ١١٦
(ما نفعني مالٌ ما نفعني مال أبي بكر) ١١٦
(إن الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبت. وقال أبو بكر: صدق...) ١١٦
حسان: (إذا تذكرت شجوًا من أخي ثقة...) ١١٦
بكر بن عبدالله المزني: (ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة...) ١١٩
(والصدقة برهان) ١١٩
عائشة: (أن ابن أم مكتوم أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول...) ٣١٦

خباب بن الأرت: (جاء الأقرع بن حابس التميمي، وعيينة بن حصن الفزاري...) ١٢٣
خباب: (فكنا نقعد مع النبي ﷺ، فإذا بلغنا الساعة...) ١٢٤
سعد: (كنا مع النبي ﷺ ستة نفر...) ١٢٤
(خلقتْ الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار....) ١٢٧
(الجن ثلاثة أصناف: فصنف يطير في الهواء،...) ١٢٧
الحسن: (وما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط،....) ١٢٧
ابن عمر: (ما سمعت عمر، لشيء قط يقول: إني لأظنه كذا...) ١٣٢
ابن عباس: (انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه...) ١٣٣
مسروق: (آذنت بهم شجرة...) ١٣٤
ابن مسعود: (ما صحبه منا أحد، ولكن قد افتقدناه ذات ليلة وهو بمكة...) ١٣٤
(أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته) ١٤٣
(أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء) ١٤٤
أبوهريرة: (قال أبو جهل: هل يُعفر محمد وجهه بين أظهركم؟...) ١٤٤
ابن عباس: (كان النبي ﷺ يُصلي، فجاء أبو جهل...) ١٤٥
أبوهريرة: (سجدنا مع النبي ﷺ...) ١٤٥
قتادة: (محمد كان على الهدى، وأمر بالتقوى...) ١٤٥
ابن عباس: (أول من ظهر إسلامه سبعة: رسول الله، وأبوبكر، وعمار بن ياسر، ..) ١٤٥
ابن مسعود: (أن النبي ﷺ كان يصلي عند البيت،...) ١٤٦
ابن عباس: (إن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ، فقرأ القرآن...) ١٦١
ابن عباس: (أن أبا معيط كان يجلس مع النبي ﷺ بمكة لا يؤذيه..) ١٦٢

ابن عباس: (أن رسول الله ﷺ كثيراً ما يجلس عند المروة، إلى مبيعة . . .) ١٦٣
علي: (قال أبو جهل للنبي ﷺ: قد نعلم يا محمد أنك تصل الرحم . .) . . ١٦٣
ابن عباس: (نزلت ورسول الله ﷺ مختف بمكة . . .) ١٦٣
(ما ضل قوم بعد هُدى كانوا عليه إلا أتوا الجدل) ١٦٨
ابن عباس رضي الله عنهما، قال: (لقد علمت آية من القرآن ما سألني عنها
رجل قط ١٧٠
ابن عباس: (جاء العاص بن وائل إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل . .) . . . ١٧١
ابن عباس: (كان فيهم أمانان: النبي ﷺ، والاستغفار . . .) ١٧٥
ابن عباس: (سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا . .) . . ١٧٨
أنس: (قال أبو جهل: (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ . . .) ١٧٨
(اقرأ: (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) ثم نم على خاتمتها، . . .) ١٨٥
مجاهد: (﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾، قال: لو تركن إلى آلهتهم . . .) ١٨٩
ابن عباس: (قال عبد الله بن الصيف، وعدي بن زيد، والحارث بن
عوف . .) ١٨٩
قتادة: (فقال بعضهم لبعض: أعطوهم الرضى بدينهم أول النهار . . .) ١٩٠
مجاهد: (يهود تقوله، صلت مع محمد صلاة الصبح، وكفروا آخر
النهار . .) ١٩٠
جابر: (اجتمعت قريش يومًا فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة
والشعر فليأت . . .) ١٩٠
ابن عباس: (فجاء الوحي من اللوح المحفوظ: (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ)
السورة . . .) ١٩٢
ابن مسعود: (انشق القمرُ على عهد رسول الله ﷺ فرقتين . .) ٢٠١
أنس: (سأل أهل مكة أن يُريهم آية فأراهم انشقاق القمر) ٢٠١

قتادة: (رأى أهل الضلالة شيئًا من آيات الله، قالوا: إنما هذا عمل السحر...) ٢٠١
(اللهم إني أنشدُك عهدك، ووعدك، اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم) ٢٠٢
خباب: (شكونا إلى رسول الله ﷺ، وهو متوسد بردة له...) ٢٠٢
مجاهد: (قريش من الأحزاب، قال: القرون الماضية)..... ٢٠٢
ابن عباس: (المستهزؤون: الوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث الزهري...) ٢٠٢
ابن مسعود: (بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي...)..... ٢٠٨
(مات اليوم رجل صالح، فقوموا، فصلوا على أخيكم أصحمة)..... ٢٠٩
ابن عباس: (كان رسول الله ﷺ وهو بمكة يخاف على أصحابه...)..... ٢١٠
ابن عباس: (أن قريشًا وعدوا رسول الله ﷺ أن يعطوه مالاً،..)..... ٢١٦
ابن مسعود: (أولُ سورة أنزلت فيها سجدة «والنجم»، فقرأها...)..... ٢١٧
(أن رسول الله ﷺ جلسَ يومًا مع المشركين...)..... ٢١٧
المطلب بن أبي وداعة: (رأيت رسول الله ﷺ سجد في النجم، وسجد..) ٢١٧
(وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا منْ أَهْلِ الأَرْضِ خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً)..... ٢١٨
(إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلاً كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً)..... ٢١٨
سعيد بن المسيب: (لما حضرت أبا طالب الوفاة: جاءهُ رسول الله ﷺ..). ٢٢١
عبدالله بن جعفر: (لما توفي أبو طالب خرج النبي ﷺ إلى الطائف،...). ٢٢٢
مجاهد: (عتبة بن ربيعة: من أهل مكة، وابن عبد ياليل الثقفي: من الطائف)..... ٢٢٥
قتادة: (الرجل: الوليد بن المغيرة، قال: لو كان ما يقول محمد حقًا أنزل علي هذا..)..... ٢٢٥
(لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشدّ ما لقيت منهم يوم العقبة،...)..... ٢٢٥

(الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد) ٢٢٧
(بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان . . .) ٢٣١
(ومر على موسى، وهو يصلي في قبره) ٢٣١
(فأتى جبريل الصخرة ببيت المقدس، فوضع إصبعه فيها، فخرقها . . .) . . ٢٣١
(فلما دخل المسجد الأقصى قام يصلي فالتفت ثم التفت، فإذا
النبيون . . .) ٢٣١
(لما كذبتني قريش قمت في الحجر، فجلى الله لي بيت المقدس . . .) ٢٣١
(إن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل ربه ثلاثًا. فأعطاه اثنتين، وأنا أرجو . .) ٢٣٢
(بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان . . .) ٢٣٨
ابن عباس: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ﴾ قال: (تشاورت قريش
ليلة بمكة . . .) ٢٤٦
ابن عباس: (كان رسول الله ﷺ بمكة فأمر بالهجرة، وأنزل عليه . . .) . . ٢٥٠
الحسن: (في قوله تعالى: (مُخْرَجَ صِدْقٍ): (من مكة إلى المدينة . . .) . . ٢٥٠
(قد أريت دار هجرتكم؛ أريت سبخة ذات نخل بين لابتين) ٢٥٠
أبوبكر: (نظرت إلى أقدام المشركين فوق رؤوسنا، ونحن في الغار فقلت:
يا رسول الله . . .) ٢٥٢
(لا يغني حذر من قدر) ٢٥٥
عائشة: (فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدًا يبكي من الفرح . . .) ٢٥٥
(ما ظنّك باثنين، الله ثالثهما) ٢٥٦
البراء: (جاء أبو بكر الصديق إلى أبي في منزله فاشترى منه رَحْلاً، فقال
لعازب . . .) ٢٥٦
عائشة: (لم أعقل أبويَّ قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا
يأتينا فيه . .) ٢٥٧

أنس: (أقبل نبيّ الله ﷺ إلى المدينة، وهو مردف أبا بكر...) ٢٦٠
(إن الله تعالى ينزل المعونة على قدر المؤونة، وينزل الصبر على قدر البلاء).
(الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق....) ٢٦٣
خباب بن الأرت: (هاجرنا مع رسول الله ﷺ، نبتغي وجه الله...) ٢٦٥
(من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة..) ٢٦٥
أبوهريرة: (بخ بخ، أبوهريرة يتمخط في الكتان، لقد رأيتني وإني لأخرُّ...) ٢٦٦
قتادة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ قال: (هم المهاجرون والأنصار) ٢٦٦
عكرمة: (لما خرج صهيب مهاجرًا تبعه أهل مكة، فنثل كنانته، فأخرج منها...) ٢٦٦
(أبا يحيى ربح البيع) ٢٦٧

●●●

رابعًا: فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
أهمية الموضوع وأسباب اختياره	٦
الدراسات السابقة ذات الصلة بالموضوع	٨
منهج البحث	٩
خطة البحث	١٠
التمهيد، وفيه مبحثان	١٥
المبحث الأول: مقدمات حول السيرة النبوية، وفيه ستة مطالب	١٥
- المطلب الأوّل: مفهوم السيرة	١٥
- المطلب الثاني: نشأة علم السيرة وتاريخه، ومراحل الكتابة فيه	١٧
- المطلب الثالث: مناهج ومدارس الكتابات في السيرة	١٨
- المطلب الرابع: أقوم الطرق في دراسة السيرة	٢٠
- المطلب الخامس: فوائد السيرة وأهميتها	٢٢
- المطلب السادس: علاقة السيرة بالعلوم الأخرى، ونسبتها إليه	٢٤
المبحث الثاني: مقدمات حول الهدايات القرآنية، وفيه خمسة مطالب	٢٥
- المطلب الأول: مفهوم الهدايات القرآنية	٢٥
- المطلب الثاني: العلاقة بين التفسير والهدايات	٢٧
- المطلب الثالث: تعبيرات علماء التفسير عن علم الهدايات	٢٨
- المطلب الرابع: مجالات الهدايات القرآنية	٣٠

- المطلب الخامس : طرق الوصول للهدايات ٣١

الفصل الأول: ما قبل البعثة، وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: ما قبل الميلاد الكريم، وفيه مطلبان ٤١

- المطلب الأول : الرسالة الخاتمة على ألسنة الرسل ٤١

- المطلب الثاني : التمهيد لميلاد السراج المنير ٥١

المبحث الثاني: الميلاد والنشأة اليتيمة، وفيه مطلبان ٥٩

- المطلب الأول : المولد والنشأة ٥٩

- المطلب الثاني : حادثة شق الصدر ٦٤

المبحث الثالث: أحوال مكة وبشارات النبوة، وفيه مطلبان ٦٩

- المطلب الأول : أحوال أهل مكة ٦٩

- المطلب الثاني : أهل الكتاب يبشرون بنبوة محمد ﷺ ٧٤

الفصل الثاني: في البعثة وبداية الدعوة، وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: تهيئة بيت النبوة للوحي، وفيه مطلبان ٨٣

- المطلب الأول : ليلة النور المبين ٨٣

- المطلب الثاني : تتابع الوحي والتكليف بتبليغه ٩٤

المبحث الثاني: استقبال مكة للرسالة، وفيه أربعة مطالب ١٠١

- المطلب الأول : أمانة الصدع بالدعوة ١٠١

- المطلب الثاني : التربية الإيمانية ١٠٨

- المطلب الثالث : السابقون الأولون ١١٥

- المطلب الرابع : إسلام الجن ١٢٦

المبحث الثالث: الابتلاءات والشبهات والمساومات والبشارات، وفيه ستة مطالب ١٣٦

- المطلب الأول: الابتلاءات في ذات الله ١٣٦
- المطلب الثاني: الاستهزاء والتكذيب والافتراء ١٤٧
- المطلب الثالث: إثارة الشبهات ١٦٤
- المطلب الرابع: التحدي والجواب ١٧٢
- المطلب الخامس: المساومات والمفاوضات ١٧٩
- المطلب السادس: المعجزات وبشارات التمكين ١٩٣

الفصل الثالث: هجرة الحبشة والإسراء، وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: هجرة الحبشة، وفيه مطلبان ٢٠٧
- المطلب الأول: الهجرة الأولى إلى الحبشة ٢٠٧
- المطلب الثاني: الهجرة الثانية إلى الحبشة ٢١٣

المبحث الثاني: عام الحزن، وفيه مطلبان ٢١٨
- المطلب الأول: وفاة أبي طالب ٢١٨
- المطلب الثاني: في الطائف ٢٢٢

المبحث الثالث: الإسراء والمعراج، وفيه مطلبان ٢٢٧
- المطلب الأول: الإسراء ٢٢٧
- المطلب الثاني: المعراج ٢٣٣

الفصل الرابع: الهجرة النبوية، وفيه مبحثان

المبحث الأول: ما قبل الهجرة، وفيه مطلبان ٢٤٣
المطلب الأول: سنة الإخراج ٢٤٣
المطلب الثاني: الأمر بالهجرة ٢٤٨

المبحث الثاني: أحداث الهجرة، وفيه مطلبان ٢٥١
المطلب الأول: طلائع الهجرة ٢٥١

المطلب الثاني: المهاجرون الأول ٢٦١
الخاتمة، وفيها: ٢٦٩
- النتائج ٢٧١
- التوصيات ٢٧٣
الفهارس، وفيها: ٢٧٥
- أولاً: المصادر والمراجع ٢٧٧
- ثانيًا: فهرس الآيات ٢٩٥
- ثالثًا: فهرس الأحاديث والآثار ٣١٧
- رابعًا: فهرس الموضوعات ٣٢٥

●●●